لمحـــات من الأدب العـــبرى الحديث

مع نمـــاذج مترجمة

دكتور رشـــاد الشـامى
مدرس الأدب العبرى الحديث
آداب عين شمس

القـــاهرة

١٩٧٨

الناشر
مكتبة سعيد رأفت

تمهيـــد

هذا الكتاب يشتمل على عدة أجزاء : الجزء الاول منه هو ترجمة لكتيب صدر بالإنجليزية بعنوان الأدب العبرى الحديث للمؤلف اليعيزر شفايد ضمن سلسلة « إسرائيل اليوم » العدد رقم ٣٠ ـــ القدس أبريل ١٩٦٤ ، وجدت أنه يفى بالغرض المطلوب وهو توفير صـــورة عامة عن الأدب العبرى الحديث للقارىء العربى .

والجزء الثانى عبارة عن شروح لبعض المفاهيم والاصطلاحات المتصلة بالأدب العبرى الحديث وإضافات تتضمن المزيد من التفاصيل عن رواد هذا الأدب . والجزء الثالث عبارة عن نماذج من الأدب العبرى الحديث المترجمة عن أصلها العبرى .

والجزء الأول من الكتيب لا يعتبر سجلا كاملا للأدب العبرى الحديث منذ بداياته الأولى فى شرق أوروبا وحتى مرحلته الحالية المتمثلة فى الأدب العبرى الإسرائيلى ، إذ لا يمكن إعطاء سجل كامل للأدب العبرى الحديث فى إطار هذا الكتيب المحدود . كما أن صفحات الكتيب لا تصدر أحكاما على الأعمال الأدبية الواردة فيه ولا تحدد العمل الأدبى الذى له أهمية كبرى أو الذى له أهمية ثانوية لأن هذا مستحيل داخل هذا الإطار المحدود .

إن الغرض من هذا الكتيب كما هو إعطاء نظرة شـــاملة للاتجاهات الأساسية عن طريق معالجة عامة توفر للقارىء التوجيه المبدئى الذى يسير فيه . وقد

تم اختيار الأعمال الأدبية التى يعالجها الكتيب على أساس مراعاة هذا المعيار . وهذا لا يعنى أن هؤلاء الأدباء والشعراء لهم أهمية فى رأى المؤلف ، أو أن هؤلاء الذين استبعدوا ليست لهم أهمية . إن الهدف من الإشارة إلى العينات والنماذج هو توفير صورة عامة فحسب . ويبدو أن الاختيار كان يتم بمحض المصادفة أحياناً وأنه تأثر بالقراءة الشخصية .

لذلك فإن ما يتعرض له هذا الكتيب هو مجرد موقف من مواقف كثيرة ممكنة عبر دراسات أخرى فى المستقبل ، من وجهات نظر مختلفة تكشف عن نواحى ومظاهر أخرى من تيارات الأدب العبرى الحديث والأدب الإسرائيلى .

ونظراً لأن بنية الكتيب (الجزء الأول) لم تكن وافية فى بعض جوانبها من أجل إعطاء صورة عامة ، فلقد لجأت بعد ترجمته إلى القيام ببعض الإضافات الضرورية من أجل استكمال الصورة بقدر الإمكان .

إن المؤلف على سبيل المثال ، قد تجاهل تماماً الإشارة إلى أدباء « عصر التنوير اليهودى » (الهسكالاه) ، بالرغم من الإجماع بين الباحثين والنقاد على أن بدايات « الأدب العبرى الحديث » تبدأ من هذه الفترة ، ولذا فقد حرصت لدى تعرضى لشرح « الهسكالاه » على تقديم فكرة عن « الهسكالاه الأدبية » توفر للقارىء فكرة عامة ووافية عن هذه المرحلة من تاريخ الأدب العبرى الحديث . كذلك فإننى لدى تعرضى فى الجزء الثانى للمفاهيم المتصلة بالأدب العبرى الحديث وتراجم الأدباء ، راعيت أن أتعرض للنقاط التى لم يتعرض لها الكتيب بالنسبة لهذه المفاهيم أو بالنسبة لحياة الأديب أو إنتاجه الأدبى أو اتجاهاته الأدبية ، ولذلك فسوف يلاحظ القارىء أننى قد أفضت بعض الشىء بالنسبة لبعض الأدباء الذين لم يعرهم المؤلف اهتماما كافياً ، بينما حدث العكس بالنسبة للأدباء الذين أفاض المؤلف فى

التعرض لأدبهم أو لاتجاهاتهم الأدبية . كذلك فإن الكتيب لم يتعرض إطلاقاً للمرحلة المعاصرة من « الأدب العبرى الحديث » ، وهى المرحلة التى تبدأ اعتباراً من الستينات ، والتى تميز بداية موجة جديدة فى هذا الأدب ويمثلها كل من : أفراهام بن يهوشع ، وعاموس عوز ، وعماليا كهنا كرمون ، وأهارون أفليفيد ، وإسحاق أورباز وغيرهم ممن يسميهم جرشون شيكد أستاذ الأدب العبرى بجامعة تل أبيب « جيل البلد » . ولكن هذه الجماعة ستكون موضوع بحث مستقل فى كتاب سيصدر لى قريباً بإذن الله . وقد وجدت أن الكتيب فى حاجة إلى نماذج أدبية يطلع عليها القارىء العربى ، ولذلك فقد اخترت بعض النماذج الأدبية الممثلة لبعض الأدباء المشار إليهم فى هذا الكتيب وترجمتها عن أصولها العبرية ، وهى قصتا : « قشرة البرتقال » و « الشموع » لشموئيل يوسف عجنون ، وقصتا « ماتيريكو » و « ابنة الطبيب » ليهودا بورلا ، وقصة « وجبة هزيلة » لاسحق شنهار ، ونموذج من الأدب الاوتوبيوجرافى العبرى ممثلا فى قصة « النبات الشيطانى » للشاعر العبرى حييم نحمان بياليك .

والله الموفق ؟

دكتور رشاد الشامى

القاهرة — مايو ١٩٧٨

مقدمة

إن الطريق الوحيد لفهم الأدب العبرى الحديث الإسرائيلى (*) اليوم هو اقتفاء أثر تطور الأدب العبرى الحديث منذ بداية القرن الماضى دون مناقشة النقاط التى ثارت حولها الجدل بين العلماء حول المنابع الدقيقة لهذا الأدب وملامحه المميزة. ولكن تجدر الإشارة إلى تلك النقاط التى اتفق عليها الجميع :

أولا : إن الأدب العبرى ليس له تقليد أدبى مستمر ، ففى خارج فلسطين كان الأدب العبرى يخدم مطالب الحياة الدينية وكان يوجد أساساً فى الأعمال المتعلقة « بالهالاخاه » (القانون الإلزامى لليهود والمواعظ الأخلاقية والدينية) ، والنصوص الدينية أو فى الشعر الدينى للمعابد اليهودية . وكانت هناك فترات شهدت تطور وازدهار الأدب العبرى فى أشكال أخرى فى أسبانيا الإسلامية فى القرن

(*) الأدب العبرى الإسرائيلى : يقصد بإصطلاح الأدب العبرى الحديث تلك الآداب التى كتبت بالعبرية خلال الفترة الحديثة من التاريخ اليهودى اعتباراً من فترة التنوير اليهودى « الهسكالاه » . أما الأدب الإسرائيلى فيقصد به ذلك الأدب الذى أنتج بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ فصاعداً . ويقصد بتعبير الأدب العبرى الإسرائيلى ، ذلك الأدب الذى أنتج فى إسرائيل مكتوباً بالعبرية وذلك لأن هناك بعض الإنتاجات الأدبية تكتب فى إسرائيل بلغات أخرى مثل اليديشية والعربية وغيرها من اللغات ، وهى يمكن أن تدخل ضمن إطار اصطلاح « الأدب الإسرائيلى » ، ولكن من أجل التوضيح يمكن أن نقول : « الأدب العبرى الإسرائيلى» والأدب اليديشى الإسرائيلى والادب العربى الإسرائيلى ...الخ .
(المترجم)

الحادى عشر ، والثانى عشر وفى إيطاليا ، فى عصر النهضة ، لكن هذه الاستثناءات لم تكن تشكل تقليداً مستمراً يمكن أن ينمى أدبا فنيا فى إنماطه وأشكاله وأن كان لا بد لنا من أن نسلم بأن الأدب العبرى الحديث ينبع كثيراً من الأدب القديم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وخاصة فى لغته وأسلوبه .

ثانياً : لم يكن هناك تقليد أدبى حقيقى باللغة العبرية ، لأن اللغة العبرية كانت تعتبر بالنسبة للاستخدام اليومى لغة مقدسة لا يجوز إستخدامها لأغراض دنيوية . ورغم أنه لا يمكن وصفها بأنها كانت لغة ميته تماماً حيث أن كل يهودى كان لا بد وأن يكون على علم كاف باللغة العبرية من أجل الصلاة وقراءة التوراة ، إلا أن هذه اللغة لم تكن قادرة على التعبير عن المظاهر المتعددة للحياة الإنسانية ، وكانت تستخدم كوسيلة فقط من أجل مجالات الحياة اليهودية الصارمة . وكانت هذه المجالات محددة بالضرورة فى إطار مناطق التجمع اليهودى الرئيسية فى أوروبا عامة وفى شرق أوروبا بصفة خاصة(٥) .

لقد إرتبط خلق الآداب الرفيعة العبرية على النمط الأوروبى بتسلل نفوذ قوى من خارج الطائفة اليهودية من ناحية ، وبالتأثر كذلك بالتغييرات الثورية التى حدثت فى جميع قطاعات الحياة اليهودية من ناحية أخرى . وقد خلق هذا بالنسبة للغة العبرية تحديا من أجل التغلب على حدودها الضيقة ، وأصبحت الحياة اليهودية مصدراً للكتابة اليهودية الخلاقة التى تعالج موضوعات مماثلة لتلك الموجودة فى الآدب الاوروبى .

---

(٥) كان يطلق على مناطق التجمع اليهودى فى شرق أوروبا عامة وفى روسيا خاصة اسم «منطقة الاستيطان» ، وكانت عبارة عن مجموعة من القرى والمدن الصغيرة التى يقطنها اليهود ، إذ لم تكن إقامة اليهود فى روسيا قاصرة على النمط الغرب أوروبى المسمى « بالجيتو » ، أو « حارة اليهود » والذى يقتصر على حى أو شارع فى مؤخرة المدينة أو القرية (المترجم) .

هذه هى الظروف الثقافية للادب العبرى الحديث مع مطلع القرن التاسع عشر فى مراكز التثقيف اليهودى فى أوروبا الشرقية والغربية ، وهو الأمر الذى جاء نتيجة الإتجاه إلى تحرير اليهود والذى كان يعنى التصالح مع الثقافة الاوربية بكافة مظاهرها مع الاحتفاظ بثقافة يهودية مستقلة ، وهو الإتجاه الذى عرف باسم حركة التنوير اليهودية (الهسكالاه)[1] .

وهكذا يجابهنا حدث أدبى له مغزى مزدوج وغير مألوف إلى حد كبير : فمن ناحية عبر الآدب العبرى الحديث عن الدعوة الملحة إلى إنعاش الثقافة اليهودية فى قالبها المحدود . ومن ناحية أخرى فإن تحقيق هذا الهدف كان يرتبط بتقبل نفوذ خارجى قوى يصاحبه نقد مدمر موجه إلى الصبغة المحدودة ذات الجانب الواحد للثقافة اليهودية فى شرق أوروبا بصفة خاصة . وإلى جانب ذلك فإن توسع ونمو الثقافة اليهودية لتغطية جميع مظاهر الحياة كان يعنى العلمانية التى قوضت دعائم حياة اليهود ككل فريد متماسك . وهكذا تحققت النهضة فى نفس الوقت مع تدمير الأشكال الإجتماعية والثقافية للحياة اليهودية . . . وهذه العملية متناقضة ذاتيا بشكل واضح . وقد عبر هذا التناقض عن نفسه أولا وقبل كل شىء فى حقيقة أن الشعور بما يسمى « بالمنفى »[2] قد ازداد تركيزا فى الآدب العبرى الحديث . ولم يصبح الاعتماد على البيئة الخارجية واضحاً فى المجالين السياسى والاقتصادى فحسب بل تم الإعتراف به فى المجال الروحى أيضاً . لقد دمرت العلمانية الموطن الروحى وحجر الأساس للحياة اليهودية وهما « المعبد » و « بيت همدراش »[3] .

أن الأديب اليهودى الذى كان مؤمنا بقيمها ويتغذى على هذه القيم لم يكن ليتقبل تدميرهما بسهولة . لقد كان يتطلع إلى رؤية روابطه مع الماضى اليهودى متداخلة مع ميوله نحو قيم الثقافة العلمانية ، رغم أنه من الطبيعى أن يكون من

الصعب حل هذه الورطة(*) .

ومن الواضح أن جميع الكتاب العبريين فى أوروبا الشرقية والغربية لم يكونوا من الصهيونيين حيث كان من بينهم من عارض فكرة العودة إلى صهيون بقوة كبيرة. لكن إذا كان من الممكن الإشارة إلى الخط العام لحركة ما دون مراعاة لجميع الأفراد المنتمين إليها فيمكننا أن نقول أن الآدب العبرى الحديث ارتبط إرتباطا وثيقاً بفكرة العودة إلى صهيون(**) . وإلى جانب ذلك فإن هذا الآدب لم تكن له توقعات بعيده المدى بخلاف تلك الفكرة . أن تدمير طريقة الحياة اليهودية من ناحية ، وتجربة إنعاش ثقافة لليهود من ناحية أخرى ، جعلا من الضرورى إقامة مركز علمانى لليهود يكون بمثابة أساس للميلاد الثقافى الكامل من جديد ، مركز لا تكون فيه اللغة العبرية لغة الآدب والفكر فحسب بل ولغة الحياة اليومية أيضاً ، مركز لا تصبح فيه العلمانية وتقبل النفوذ الأوروبى مجرد استيعاب بل تعنى خلقاً مستقلا . لذلك يجب ألا تندهش إذا ما أصبحت فلسطين موضوعا من أبرز موضوعات الآدب العبرى الحديث لأن ذلك كان حلا وفق المنظور الصهيونى لمشكلة موقف اليهود ، فى الشتات وأصبحت أثر ذلك أهم مركز له . فهناك فى فلسطين نما جمهور قراء العبرية ، وهناك ظهرت المطبعة العبرية والناشرون بالعبرية(***).

راجع :

(*) د . رشاد الشامى : التحلل الروحى فى الحياة اليهودية — قراءة فى شعر بياليك — صحيفة المساء القاهرية ٢٥ يناير ١٩٧٤ .

(**) د . رشاد الشامى : النغمة الصهيونية فى شعر بياليك — مجلة الهلال أكتوبر ١٩٦٩ .

(***) نحن لا نمس فى السطور التالية هـذا المظهر الخاص بالحياة الادبية فى إسرائيل . فهذا موضوع يحتاج الى معالجة منفصلة . وتجدر الاشارة فحسب الى ان الطباعة والنشر باللغة العبرية تركزا بسرعة فى فلسطين ثم فى إسرائيل رغم أنهما نبعا من أوروبا الشرقية والوسطى .

لذلك كان من الطبيعى أن يستقر معظم هؤلاء الذين كتبوا باللغة العبرية فى فلسطين أولا ثم فى إسرائيل وأن يبدأوا العمل هناك . لكن العملية لم تكتمل ألا بعد أن دمرت مراكز الثقافة اليهودية فى أوروبا وقد سارع معظم الكتاب باللغة العبرية من الجيل الماضى إلى المهجرة الى فلسطين مدركين ان هذه هى دارهم . والدليل هو وضع الادب العبرى بين جمهور اليهود الضخم الديناميكى الثرى فى الولايات المتحدة، فرغم انه لم يكن هناك نقص فى حياه اليهود هناك ، فلم يكتب الا قليل من الادب العبرى وكان يرتبط ارتباطا وثيقا بفلسطين وكان كتاب العبرية فى الولايات المتحدة الامريكية ينتمون الى فرع للمركز الرئيسى . والى جانب ذلك كان هؤلاء الكتاب يفتقرون الى جمهور القراء والى الحافز المباشر الذى يدفعهم الى الكتابة بالعبرية اذ ان وسيلة التعبير لدى جمهور اليهود كانت اللغة التى يتحدثونها ويقرأونها وهى الانجليزية (*)

ويمكن ان نوجز القول فنذكر ان الادب اليهودى(**) فى بداية القرن العشرين وجد نفسه فى مفترق الطرق فكان عليه أن « يختار » بين الكتابة باللغة اليديشية(٤) أو بلغة اجنبية فى الدول التى كانوا يقيمون فيها (وهى كتابة لا يمكن ان تنفصل بالطبع عن الأدب اليهودى سواء كانت مكتوبة باليديشية أو باللغات الاجنبية

(*) ان الكتابات بالعبرية للكتاب اليهود فى روسيا هى موضوع قائم بذاته. فمن جميع وجهات النظر بخلاف وجهة النظر الجغرافية كانت أعمالهم تتعلق بفلسطين

(**) الادب اليهودى : إصطلاح يطلق على كل ما يكتبه اليهود فى شتى أنحاء العالم بأى لغة من اللغات البشرية وبشرط أن تتصل هذه الكتابات بموضوعات يهودية . ويمكن أن يتسع هذا الاصطلاح ليشمل الكتابات العبرية سواء تلك التى كتبت خارج فلسطين أو التى تكتب حالياً فى دولة إسرائيل .

كما كان الحال فى معظم الاحيان)، أو الكتابة بالعبرية،أمافى فلسطين ثم فى إسرائيل أو على الأقل الاحتفاظ ببعض الصلة بفلسطين . ومن الصحيح ان نقول ان تاريخ الادب العبرى فى فلسطين فى القرن الماضى كان متماثلا فى الواقع مع تاريخ الأدب العبرى بوجه عام فى ذلك الجيل . وهذه العملية التاريخية لا تفسر فحسب الوضع المركزى لفلسطين فى الادب العبرى بل وتفسر ايضا السبب فى أن فلسطين كانت تشكل الموضوع الرئيسى فيما كتب خلال فترات الهجرة اليها .

ان التحول التاريخى فى الموضوع الرئيسى للادب العبرى من وصف حياة اليهود خارج فلسطين الى احياء حياتهم فى فلسطين ثم وصف الواقع الاسرائيلى دون اشارة الى مايسمى « الدياسبورا » (٥) . كل ذلك يوضح سمة فريدة لهذا الأدب فى فترته الحديثة . لجنبا الى جنب نجد كتابا ينتمى عملهم الأدبى سواء بالنسبة للموضوعات أو الأسلوب الى أجيال مختلفة ، ومن الطبيعى ان يظل هناك تعاقب لدرجة أننا بجد فى عمل كل كاتب على حده تغييرات تنجت عن تغير موقفه من الشتات وثقافة الشتات . وعلى هذا الأساس فان هذا الأدب يقسم الى ثلاث مجموعات مختلفة تغطى المراحل الأساسية للعملية السالفة الذكر :

المجموعة الاولى :

وتعرض لنا أعمال هؤلاء الكتاب الذين كانو أطفالا فى قرى اليهود وتربوا فى ثقافتها والذين تدور أعمالهم الأدبية حول مشكلات تحلل العالم الروحى القديم (أدب الدياسبورا)

المجموعة الثانية :

وتضم أعمال الكتاب المولودين فى « الدياسبورا » والذين رأوا فى فلسطين

حلا لتلك المشكلة وتعالج أعمالهم فلسطين فى صورة طريق للخروج من هذا الشتات (أدب الهجرتين الثانية والثالثة)

المجموعة الثالثة :

وتضم أعمال أولئك الكتاب المولودين فى فلسطين والذين كسروا نظرياً روابطهم مع طبيعة اسلافهم واستخدموا موضوعات مختلفة تماماً (أدب السابرا)

الفصل الأول

أدب « الدياســـبورا »

من أبرز ممثلي هـــذه المجموعة اثنان من الكتاب هنا : شموئيل يوسف عجنون[٢] ، وحييم هزاز[١] . لقد كتبا الكثير عن فلسطين : عجنون في « تمول شيشلوم » (منذ زمن بعيد) وفي كتب أخرى كثيرة ، وهزاز في كتبه عن الموجة الثالثة للهجرة في « هايوشيفيت بجانيم » (الجالسة في الجنان) ، و « ياعيش » و « اوفيك ناطوى » (الافق المائل) و « بيكولار ايحاد » (في طوق نجاة واحد) . لكن موضوع الارض أصبح أيضاً بمثابة جزء من الإطار العريض للدمار الاجتماعي والثقافي والديني ليهود شرق أوربا . ويعالج عجنون المشكلة في إطارات مختلفة اختلافاً كبيراً . ففي سلسلة طويلة من القصص المليئة بالبطولة يصف الأجيال الثلاث الأخيرة لليهود بأنها : جيل كان إيمانه مطلقاً : « هخناسات كالا » ، « بائنة العروس » . وجيل التغير الروحي : الذي خصص له معظم أعماله « تمول شيلشوم » (الأمس البعيد) و « اوريح ناطالالون » (ضيف جاء للمبيت) وغيرهما . وأخيراً الجيل الذي شهد الخراب المادي للطليعية : « سيفر همعسيم » (ملف الحكايات) وقصص مماثلة .

ومن مرحلة إلى أخرى يتعرض أسلوب عجنون لتغيير كبير ، وهذا يكشف نواياه في وضوح أكبر : فمن الكتابة الأسطورية الخالصة (كما هو الحال في « هخناسات كالا ») إلى الكتابة الأسطورية المحملة بالرموز والتي تسود أغلبية أعماله ، ثم إلى الكتابة الرمزية الخالية تقريباً من العنصر الأسطوري في قصصه الأخيرة . واختلاف الأسلوب يرتبط عند عجنون بتغير علاقة أبطاله بالظروف

التى يكافحون ضدها . ففى الجيل الأول نجد أن الرابطة بالتراث اليهودى واعية ومباشرة ، وفى الجيل الثانى تصبح هذه الرابطة غير واعية وغير مباشرة وتحتاج إلى معالجة رمزية . وفى الجيل الثالث يصف موقفاً لا يوجد إلا فى ذاكرته ويمضى فى أوصاف تتألف كلية من الرموز . وبهذه الطريقة نجح عجنون فى تطوير أسلوب عبرى حقق اتجاهاً نما باطراد فى أسلوب أسلافه . وتحمل اللغة داخلها قيما ثقافية تجابه أبطاله سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوا . ويظهر التوتر الروحى فى أعماله أولا وقبل أى شىء فيما بين الأسلوب والموقف الذى يصفه . وهذا التوتر يعبر عنه عجنون بطرق مختلفة . . . من المثالية البريئة فى وصف هؤلاء ذوى الإيمان المطلق إلى السخرية الأليمة فى تصوير هؤلاء الذين ابتعدوا عن هذا الإيمان .

وقصصه عن إسرائيل تخضع لهذه النبة . فحتى الهجرة إلى إسرائيل تنطوى على الازدواج الذاتى للتجربة اليهودية الحديثة : الحاجة الملحة إلى الخلاص من ناحية والدمار الأليم للإيمان الذى لا يستطيع الإنسان بدونه أن ينال خلاصه من ناحية أخرى . أن إسحق كومر بطل قصة « تمول شيلشوم » الذى ذهب إلى فلسطين لبنائها من إطلالها وليبنى نفسه بها يكتشف هناك فقط المعنى المادى والروحى الكامل للمنفى . . . المنفى الذى هو (حسب التراث اليهودى) إدراك بالغربة المتزايدة للمرء عن محيطه . والقصة لا ترينا فى هذا تفسيراً من جانب واحد للموقف اليهودى فى فلسطين . وعجنون يعتبر الراوى وكأنه يفى بواجب روحى ونرى الحل عن طريق العودة إلى الإيمان . وتفسيره هذا يعطى عمل عجنون أهمية أكبر : فالتوكيد يقع على الورطة الروحية للمنفى التى لا تعتبر بالنسبة له حقيقة سياسية وثقافية فحسب بل وشرطاً يحدد حياة البشر برمتها .

وربما خرج المرء بملاحظات مماثلة عن ظروف الأعمال التى كتبها هزاز وإن كان هناك خلاف كبير بين كتاباته وكتابات عجنون . إذ أن هزاز يصف التغير

الذى وقع لليهود فى العصر الحديث من وجهة النظر التاريخية المباشرة . والثورة الروسية هى النقطة البؤرية لاوصاف فترته الاولى . فى حين أن الحرب العالمية الثانية هى النقطة البؤرية لفترته الثانية التى تحرك فيها إلى إطار ثقافى جديد أى إلى طائفة يهود اليمن . أما الامر الشائع فى جميع أعماله فهو الالتزام بالحقيقة الدرامية التاريخية التى توصل الأزمة إلى القارىء . والاختلاف فى المعالجة الوصفية يسمح بتشعب كبير فى الاسلوب والشكل والنظرة العامة . ومع ذلك فقد نجد فى هزاز أيضاً تفسيراً جدلياً للموقف اليهودى الجديد . . . جدل العمل للخلاص الذى يردد أيضاً صدى الدمار والحطام . والأمر الشائع لدى عجنون وهزاز هو المواجهة بقيم الماضى عن طريق أسلوب يثير التناقض بين المغزى الدينى الموجود فى الكلام المقدس وبين الواقع الدنيوى لليهود الذى يزداد ابتعاداً عن هذا المغزى الدينى .

وهكذا ومن الوهلة الاولى يعتبر هـــذا الادب أدباً يصطبغ باللون اليهودى وحـده ويعالج موضوعا محدداً فحسب . لكن يجب أن نشير هنا إلى أن أولئك الكتاب قد يعتبرون على الاقل فيما يتعلق بالاسلوب من أبرز المتحدثين باسم الماضى كما يعتبرون بحق خالقى المدرسة الحديثة للادب . وهذا صحيح بوجه خاص بالنسبة لعجنون الذى كان له نفوذ حاسم على الكثير من الكتاب الشباب بالعبرية وهذا لايدعو إلى الدهشة . إن الاتجاه الحديث للادب الاوروبى الذى يمثله عجنون هو جزء لا يتجزأ من الانشغال بقيم ثقافة متحضرة . وهـــذا الإطار الخاص لا ينفى الأثر العالمى لأعماله بل أنه يعطيها ذلك الاثر . أننا نميز هنا نوعا من الدورة الأدبية : فالرابطة المباشرة الأصيلة بتراث الماضى هى الشرط المسبق للتفهم الكامل للموقف الإنسانى فى الحاضر ، وهـــذا التراث الثقافى يضفى التفردية العالمية للتجربة الشخصية للفرد .

أن أعمال عجنون وهزاز هى الرابطة بين الادب العبرى لهذا الجيل وبين الامتداد العريض للأدب العبرى فى إسرائيل والكتابة (الكلاسيكية) التى ازدهرت فى قصص « مندلى موخير سفاريم » (مندلى بائع الكتب) (٨) ، وفى شعر (حييم نحمان ياليك) (٩) . وفى أى بحث تاريخى عن تاريخ الادب العبرى الحديث يجب ان تخضع أعمال هذين الكاتبين وغيرها من كتاب جيلهما للنقاش الكامل المستفيض . إذ أنه من المستحيل أن تتجاوز ذلك كلية حتى فى وصف يقتصر على أدب الماضى . ان شعر بياليك يشكل نقطة تحول روحية فى تاريخ اليهودية الحديثة . وهذه هى الحقيقة التى تحدد وضعه الخاص فى الادب العبرى فى جيله وفى هذا الجيل ، اذ لا يزال يعتبر « الشاعر القومى » بالمعنى الكامل للكلمة « ومع ذلك يجب ان نذكر ان اعماله تفسر اليوم بطريقة مختلفة جذريا . وفى عصر بياليك ذاته كان لقب « الشاعر القومى » يرمز إلى المهمة الوطنية التى يحققها شعره فى اطار العودة الى صهيون . وقد اعتبر نبى العفة والرحمة الذى كتب مأساة المنفى . واليوم يشير ذلك الى تصويره الجو الروحى لجيله . وقد تحول الانتباه من المظاهر السياسية الوطنية إلى المظاهر الشخصية العالمية . وقد أعاد « النقاد الادبيون المحدثون » اكتشاف بياليك كما لو كان شاعرا جديدا ، وهذا فى حد ذاته يستطيع ان يعلمنا الشىء الكثير عن طريقة تطور أدب هذا الجيل فى جهوده لتحقيق التطبيق الشخصى والعالمى للموقف اليهودى وهذا يساعد على إيضاح أهمية عدد من الكتاب والشعراء فى جيل بياليك وبين تلاميذه الذين مات بعضهم والبعض الآخر لازال على قيد الحياة لكن أثر عملهم على الادب فى الوقت الحاضر واضح ومباشر .

(*) راجع بهذا الخصوص : د . رشاد الشامى : حييم نحمان بياليك — حياته — اتجاهاته الادبية — رسالة ماجستير فى الادب العبرى الحديث — كلية الاداب بجامعة عين شمس — ١٩٦٩ (غير منشورة) .

وفى هذا المجال لابد وان نذكر شاعرين يعتبرا من رواد الادب العبري الحديث : شاؤول تشير نحوفسكى [١٠] ، وزلمان شنعار [١١] . وتكمن اهميتها فى انهما زادا من غنى الشعر العبرى بالاسهام فى موضوعاته واشكاله المأخوذة من الثقافة الاوربية عن طريق معرفتهما وحبهما لتلك الثقافة . وهذه المشاركة لاتعكس دائما وعلى الفور الورطة الكامنة فى مواجهة ثقافتين رغم أن كلا الاديبين كانا على علم بهذه الورطة وعبرا عنها مباشرة فى أعمالهما . ويجدر ان نذكر عند هذه النقطة اعمال عدد من الكتاب يعدون من بين خالقى « الشعر الجديد » بعد جيل بياليك وهذا يعكس ايضا التغيرات الاكبر التى جرت مع نمو المركز الثقافى العبرى فى فلسطين. أن بعضهم مثل أشير باراش (المولود فى جاليسيا عام ١٨٨٩ ، وجاء إلى فلسطين عام ١٩١٤ وتوفى عام ١٩٥٢) ، وديفورا بارون (ولدت فى روسيا عام ١٨٨٧ وجاءت الى فلسطين عام ١٩١١ وتوفيت عام ١٩٥٦) ، واسحاق دوق بيركوفيتسى [١٢] قد واصلو وصف حياة اليهود فى « المنفى » . لكن هذا الموضوع وفر لهم ظروفا لتفسير الموضوع الانسانى العالمى ، وذلك باعتبار ان طريقة الحياة اليهودية من نظرهم لم تكن تستبعد البعد العالمى بل تجسده وتحدد بالفعل تعبيرهم عنه . وعلى عكسهم كانت هناك مجموعة ضخمة من الكتاب والشعراء اختفى فى اعمالها الاطار الاطار اليهودى المميز ولا يشار اليه الا تلميحا . وهذا حال معظم الاعمال الشعرية التى كتبها يعقوب فيخان (ولد فى بيسارابيا عام ١٨٨١ وجاء الى فلسطين عام ١٩١٢ وتوفى عام ١٩٥٨) فشعره الغنائى مثلا يخصص أساسا للتعبير عن انطباعاته تجاه المناظر الطبيعية . وهكذا الحال مع التى كتبها أورى نيسان جنسين [١٣] وتصف هذه القصص حياة اليهود الشباب الذين انعزلوا كلية عن أصلهم اليهودى ، ومع اعمال جرشون شوفان [١٤] الذى تصفه قصصه القصيرة ببساطه جوا محددا دون أى تضمينات أخرى من الظاهر لكن كل من يقرا هذه القصص بعناية سيكتشف الورطة العالمية للادب العبرى الحديث . وهذا لا يبدو واضحا فى السطح

في حين تبدو في أعمال مندلي وبياليك العلاقة بين ماهو شخصي وما هو عالمي وماهو قومي وثيقة للغاية . ومع ذلك يبدو أنه ليس من قبيل المصادفة انه يرتبط عمل هؤلاء الكتاب والشعراء ارتباطا مباشرا بإنشاء مركز إجتماعي وثقافي في فلسطين وهو المركز الذى خدمة معظمهم خلال حياتهم ككتاب ومعلمين ومحررين . وكلما أخفوا في أعمالهم ورطة الحفاظ على التفرد اليهودية كلما ابدوا إهتمامهم بهذا التفرد وبمركز الحياة اليهودية في فلسطين الذين يتبنون صبغته الخاصة دون أن يضطروا إلى تخليص انفسهم من صبغتهم الاوربية.

ومن الواضح ان المرء لا يستطيع أن يصف أعمال كل هؤلاء الكتاب في اطار واحد . فلكل اسلوبه ونظرته العامة وموضوعه ، ويمكن تبين الفروق حتى بين اعمال الاديب الواحد . وكل ماقلناه صحيح من ناحية أننا نرغب في دراسة كل أعمالهم من وجهة نظر الرابطة بينهم وبين اطارهم الثقافي لا أن نكشف اهميتهم الذاتية الجوهرية .

الفصل الثانى

أدب الهجرتين الثانية والثالثة (١٥)

إن أى تميز دقيق بين عصر خلق أدبى وعصر آخر يجب أن يكون قاطعاً ، ولكن من الصعب بوجه خاص التمييز بين مرحلة والمرحلة التالية ، وذلك لأن الخط الفاصل بين ما يسمى « المنفى » ، وفلسطين كموضوع للأدب العبرى ليس واضحاً تماماً ، ومن السهل المرور عليه بسرعة . والواقع هو أنه لوكان هناك تبرير للتمييز فانه يقوم على أساس الحاجة إلى إنجاز تصنيف مبدئى للأعمال المختلفة . لذلك فان على القارىء أن يزيل التمييز العام من ذهنه وأن يدرس السمات المميزة لكل عمل على حدة ، والوسائل المختلفة المتعلقة بالظروف التى دعت إلى ذلك .

والسمة التى تميز الفترة الثانية عن الأولى هى وضع فلسطين كموضوع للوصف الأدبى . وقد تبدو هذه السمة خارجية وحتى عرضية من الوهلة الأولى. لكنها ليست كذلك بعد النظرة الثانية ، إن فلسطين هى العامل الحاسم فى التخطيط الجديد للحياة اليهودية الذى نبع من إيدولوجية متميزة ومن فهم جديد للعالم ككل ومن ظهور نظرة عامة جديدة . لذلك فقد كان للهجرة نفوذ مباشر على طريقة بلورة الخلق الفنى . إن عجنون وهزاز كتبا الكثير عن فلسطين لكن فلسطين كانت بالنسبة لهما جزء من صورة كاملة مركزة على تدمير « بيت همدراش » اليهودى فى ما يسمى « المنفى » ، وعلى العكس من ذلك كتب أدباء إسرائيل الكثير عن « الدياسبورا » ، لكن المنفى كان بالنسبة لهم مجرد جزء من صورة كاملة مركزة على الكفاح من أجل أحياء ثقافة علمانية فى فلسطين . وبالنسبة للخط الفاصل بين

أحياء ثقافة علمانية فى فلسطين . وبالنسبة للخط الفاصل بين فترتين أدبيتين فإنه بجرد إختلاف فى التوكيد ، لكن المزيد من التدقيق يكشف تفاوتا أساسيا يظهر بشكل يكفى ليمكن القارىء من توجيه نفسه إلى مختلف إتجاهات الآدب الحديث .

وحينما تحاول تحديد السمات المميزة لآدب الهجرة وخاصة أدب الهجرتين الثانية والثالثة فإننا لا بد وأن نشير أولا إلى سمة يمكن أدراكها على الفور ويمكن تفسيرها من الوهلة الأولى بالرجوع إلى ظروفها الخاصة ، وهى : العلاقة الوثيقة بين الآيدولوجية والتعبير الأدبى . أن هذين العنصرين يندمجان فى آدب هاتين الهجرتين .

وليس هذا محض مصادفة : فالهجرة إلى فلسطين كانت خطوة إتخذت من من موقف إيديولوجى معين والمعركة الايديولوجية لا بد وأن تكون جزء لا يتجزأ من التجربة الموصوفة فى الخلق الأدبى . ألا أن الخط الفاصل بين أدب يدعو بأيديولوجية خاصة وبين الأدب الذى يصف القتال لتحقيق تلك الايديولوجية لا يكون واضحا على الدوام وهـــذان الموضوعان موجودان جنبا إلى جنب ومتداخلان مع بعضهما فى الأدب العبرى الحديث . وهذا يؤثر على الموضوع والأسلوب معاً . ولننظر أولا كمثال أول إلى واحد من أبرز كتاب هذه المجموعة : يوسف حييم برير[١٦] . أن الفارق بينه وبين عجنون يتضح فى الطريقة التى يصف بها الدياسبورا اليهودية . وهناك تشابه كبير بين الآثنين من وجهات نظر كثيرة بها بالطبع . فهما يصفان نفس الصراع الروحى لكن برير يتميز بالطرف النقدى(*)

(*) من الطبيعى أن أعمال بياليك وعجنون وهزاز تتناول فى قسوة عظيمة ، فى أغلب الآحيان ، ما هو سلبى فى حياة « الدياسبورا » وهم لا ينغمسون فى النقد بل يصفون فحسب « وقد كف بياليك فى أعماله الآخيرة عن وصف السلبى وهذا هو الفارق الجوهرى بين الأدب الآيديولوجى والأدب غير الآيديولوجى .

وتتسم نغمة أوصافه باليأس الاليم : الانحطاط والظلام والاذلال والفقر المدقع . ومجرد وجود اليهود فى « الدياسبورا لا يتعرض لحكم سلبى فحسب ، طريقة حياتهم هناك تتسم بنوع من السلبية وهناك لأول مرة تغزو وجهة نظر المؤلف مجال الوصف الأدبى .

وهناك مقصد إيديولوجى مباشر فى وصفه للدياسبورا لكن هذا جزء لا يتجزأ من نظرة الكاتب إلى الحياة وهذا يبرر وجودها فى خلقه الفنى . وبرينر لا يستطيع أن يعبر عن نظرته إلا بتلك الطريقة ، والوصف الوجودى للواقع هو وحده الذى يستطيع أن يعرض بدقة وكمال المبرر لقراره الايديولوجى وينطبق نفس الشىء على وصفه للمسرح الإسرائيلى . وهنا يتأكد أيضاً موضوع اليأس البالغ : فالإجتماع فى فلسطين يخيب الآمال وتجربة بدء الحياة من جديد وإعادة تعديلها تشكل فشلا . وأحياناً يكون الشعور بالفشل بالغ التركيز لأن التوقعات السالفة كانت عظيمة جداً بينما لم يعد هناك أمل الآن . وهكذا يعمق برينر عرضه للالم والانحطاط والاذلال فى حياة أبطاله ، لكنه فى أو صافه يحول الجدل اليأس البالغ إلى قوة كبرى تعبر عن الرغبة فى الإلتقاء بالحقيقة وجهاً لوجه وفى رؤية تلك الحقيقة بكل قسوتها . وهكذا فإن ذروة اليأس القاتل تكشف عن القوة الموجودة فى تحقيق الأمانى المرجوة . وهذه هى العبارة التى يشتهر بها برينر وهى عبارة « رغم كل شىء » التى تميزه فى معالجته لانجازات المثل الأعلى الصهيونى فحسب بل وللظروف الإنسانية بوجه عام ، وحتى فى هذه النقطة يجد المرء الرابطة التى تربط بين المؤلف والتعبير الأدبى : فاليأس يحمل فى طياته قوة لا شك فيها ، والنقد المتطرف للماضى والحاضر يسير بالحركة إلى مستقبل جديد . وفلسطين التى تشكل الإجابة الأخيرة بعد أن زال الوهم تجاه جميع الطرق الأخرى ، تصبح بداية لشىء جديد ويبدو أن هذا هو المؤشر المشترك بين برينر وغيره من الكتاب والشعراء

الذين ينتمون إلى فترة الهجرة الثانية والهجرة الثالثة رغم أنهم يختلفون إختلافا كبيراً فى المزاج والأسلوب والنظرة العامة .

وهناك صلة وثيقة بين بريز وبين الأعمال الشعرية للشاعر اسحق لمدان (ولد فى روسيا عام ١٨٩٩ وجاء إلى فلسطين عام ١٩٢٠ وتوفى عام ١٩٥٤) الذى تعتبر قصيدته الكبيرة « ما سادا »(*) المعبر الكلاسيكى عن فترة الهجرة الثالثة . فى هذه القصيدة يصف لمدان الطريق من « الدياسبورا » إلى فلسطين واللحظة التى تحول فيها اليأس القاتل إلى قوة هائلة حيث يؤكد أن كل شىء يعتمد لاعلى الصدفة الخارجية بل على الجهود الخاصة التى يبذلها الإنسان ، على أساس أن كل شىء يقوم عن قوة الإرادة التى لا تلين . وحتى فى أعماله يأتى الإلهام بالقوة من أعماق الوهم الزائل مع إكتشاف أن فلسطين هى بداية جديدة . ويمكن العثور على رابطة مختلفة

(*) الماساداً :

ما سادا هى الحصن الأخير للمحاربين اليهود ، الذين صمدوا ثلاث سنوات بعد تخريب القدس على يد تيتوس . وحسب الأسطورة اليهودية فإن محاربى الماسادة وعلى رأسهم اليعيزر بن يائير دافعوا عن الحصن إلى أن وجد بن يائير أنه لا فائدة من المقاومة فاقنع رجاله بأن يقتل كل منهم الآخر حتى لا يقعوا فى إيدى الرومان . وعلى هذا الأساس فإن الماسادا أصبحت رمزا للحصن الأخير والملجأ الأخير ، والمعركة الأخيرة والبطولة اليائسة . وقد أضفى لمدان فى قصيدته على الرمز مغازى أخرى كثيرة وذلك بشكل رمزى خالص إسقطه على اليهود من أبناء الهجرتين الثانية والثالثة . والماسادا عبارة عن خمسة فصول كبيرة ، يشتمل كل فصل منها على فصول فرعية (أربعة على الأقل) وفصل أخيراً قصير ، يشتمل على ثلاثة فصول فرعية بمثابة خاتمة للقصيدة . والقصيدة تشبه فى بنائها الدراما الكلاسيكية ، والتى تشتمل على خمسة فصول بالإضافة للفصل السادس الذى يضم الخاتمة . والقصيدة مبنية على هيئة قوس قمته فى الفصل الثالث حيث يبدأ الصعود فى الفصلين الأول والثانى ، ثم يبدأ الهبوط فى الفصلين الرابع والخامس ، وفى النهاية تأتى الخاتمة .

مع التراث اليهودى فى أعمال شاعرين أخرين يختلفان كثيراً عن بعضهما فى المزاج والنظرة العامة هما : ش . شالوم (ولد فى جاليسيا عام ١٩٠٥ وجاء إلى فلسطين عام ١٩٢٢) ، و أ . ص جرينبرج (أورى تسفى جرينبرج) (١٧) وهما الآن فى ذروة قوتها الخلاقة . والشىء المهم من وجهة نظرنا هو بحثهما عن الاستمرار عن طريق إيجاد إتصال مباشر مع التراث الروحى للديانه اليهودية .

وفى أعمال جرينبرج يجد هذا البحث تعبيراً له فى وصف واقع الأرض كجزء من أسطورة الخلاص فى الأدب العبرى . وهو يرى نفسه كنبى يقاتل فى سبيل الادراك التاريخى لتلك الأسطورة . وهكذا يرى المرء فى نقد برينر القاسى « الدياسبورا » جانب واحد فحسب لعلاقه آدب الهجرة بتراث الكتابة اليهودية القديمة . والتمرد ذاته هو صورة التعبير الجدلى عن الرغبة فى الاستمرار التاريخى وينطبق نفس الشىء على اسحق لمدان الذى يؤكد العلاقة بين الحاضر اليهودى الجديد وبين الماضى الذى يتمرد ضده .

أما مدى تأثير الرابطة الجدلية مع التراث الروحى ليهودية « الدياسبورا » على أسلوب كتابة هذه المجموعة فيتكشف من أعمال كاتب لايزال يشغل مكاناً بارزاً فى الشعر العبرى الحديث هو : أفراهام شلونسكى (١٨) وهو يشبه جرينبرج فى مظهر من المظاهر رغم الاختلاف فى الاسلوب والنظرة الخارجيه : فعند الاثنين يصبح للشعر مهمة ايدولوجية ، ويوجد توتر بين كمال الاسطورة وقصور الواقع المشكل على ضوء الاسطورة لكن شلونسكى — على عكس جرينبرج — يظل مؤمناً بالايدولوجية الصهيونية — الاشتراكية وهى ايدولوجية علمانية بالطبع . وطبيعة أسطورة الخلاص المشكلة فى شعره تتسم بالعلمانيه التى تتميز بطريقة ومضمون الشعر الروسى فى فترة الثورة . وشعره الذى ينتسب

بوضوح إلى المصادر الأولى للادب العبرى يظهر علاقة مزدوجة تجاه هذه المصادر فيستخدمها كرفيق مقارن لكن مع قلب مقصود لمغزاها الأصلى . وعالم المفاهيم الدينية يتعرض لعملية تحويل مغرض إلى العلمانية وهكذا يحاول شلونسكى فى أشعاره الاسرائلية ان يعبر عن العودة إلى تربة فلسطين من تجربة « الدياسبورا » الروحية التى لاجذور لها .

وربما نلاحظ أيضاً أعمال دافيد شمعونى (١٩) ومجالها أكثر تحديداً . وقد وقد أكتسب شمعونى مكانته بقصائد تصف فى أسلوب أسطورى تجربة الرواد فى الهجرتين الثانية والثالثة . والاسس الايديولوجية لشعره تشبه كثيراً اسس اسلافه لكن أشعاره أقل طموحاً وتحمل أطراً شخصية بشكل أكثر تجانساً . وهذه الاشعار لا تظهر أى تذبذب بين الأقطاب المتعارضة ولا أية نقطة تحول حادة . فالافكار وفهم التجربة اليومية لا يضطربان بل يكمل كل منهما الآخر .

أن ما يشكل مظهراً خاصاً لأدب الهجرة هو ذلك الذى كتب بين « المهاجرين العاملين » وحركة مستعمرات اليهود » بوجه خاص . وهذا قطاع أدبى خاص بخطوطه المحددة رغم ان انتاجه ليس وفيراً ورغم أن من الطبيعى ان يعالج الظروف العامة الموصوفة من قبل . فما هو مصدر ملامحة المميزة ؟ هناك أولا : تكوين التجربة الموصوفة (على عكس معظم قطاعات السكان التى استقرت فى فلسطين لكنها لم تستحدث بعد طريقاً خاصاً للحياة ، فإن مستعمرات اليهود قد حققت ذلك بدقة) . ثانياً : توجد المشكلة الاجتماعية الخاصة بمستعمرات اليهود (الكيبوتس) ، وهى : مشكلة الحياة الطائفية حيث تعمل المطالب الاخلاقية العليا على اخضاع الفرد لتجربة يومية وقاسية . والكاتب نفسه يشكل مشكلة خطيرة فى مستعمرات اليهود ، فى بدئها على الأقل . فهو يجد صعوبات فى العثور على مكانه كعامل وكعضو فى الطائفة وهذا يؤثر على صبغة عمله تأثيراً مباشراً . وبالتالى فإن

« أدب الكيبوتس » (أدب مستعمرات اليهود) هـــو أدب اشد نقداً ومشبع بالنغمات الايديولوجية القوية من ناحية ، ويتسم بفردية متطرفة من ناحية أخرى . وينطبق ذلك إلى حد كبير على س . رايتشنشتاين (ولد فى بولندا عام ١٩٠٢ وجاء إلى فلسطين عام ١٩٢٠ وتوفى عام ١٩٤٢) ، ودافيد ماليتس (ولد فى بولندا عام ١٩٠٠ وجاء إلى فلسطين عام ١٩٢٠) اللذين يصنعان بدايات مستعمرة «عين — حيرود» . وتعتبر مسألة أندماج الفرد فى حياة الطائفة أساساً بالنسبة لهما . وبعد قيام الدولة فقط يمكن موازنة الميل إلى النقد حيث أصبح الاطار الاجتماعى الخاص بمجرد أطار للتعبير عن الموضوعات الشخصية كما هو الحال فى قصص مستعمرات اليهود (الكيبوتس) التى كتبها « سميلانسكى يزهار » [٢١] وحانوخ برطوف [٢١] وناتان شاحام [٢٢] .

لقد عالجنا حتى الآن الكتاب والشعراء الذين يسيطر الموضوع القومى على أعمالهم . وهذا بالطبع وصف من جانب واحد من وجهة نظر المجموعة التى ينتمون إليها وقدرهم الجوهرى الذاتى . وجنبا إلى جنب مع الموضوع القومى الاساسى ، ودون التغطية عليه ، يجد الاتجاه الفردى القوى تعبيرا له فى أدب الهجرة .

وسوف نتمكن أيضاً من تبين الطبيعة الخاصة لهذا الاتجاه فى الأدب الفكرى الخاص لهذه الفترة وخاصة فى مشنه إيريتس يسرائيل » (مشنا فلسطين) لاهارون دافيد جوردون [٢٣] : ففلسطين هى تجربة شخصية يبنى الفرد عن طريقها : شخصيته لصالح الشعب ككل ، وهناك بالأحرى قرار يجب أن يتخذه المرء على مسئوليته الخاصة ولمصلحته هو نفسه . وإلى جانب ذلك فالموقف فى فلسطين على الأقل فى البداية يعمق الشعور بالوحدة لدى الوافد الجديد . فالتحول من بلد إلى آخر ، والقطيعة مع البلد الأصلى للفرد ومع مجتمع وثقافة هذا البلد وعملية الاستقرار

فى أرض قاحلة ... كل هذه العناصر تزيد من الشعور بالعزلة ومن الرغبة فى الفرار. وقد أبرز « أدب الكيبوتس » هذا الموضوع . ويبرز هذا الموضوع أيضاً فى أعمال الكتاب التى يسودها الموضوع القومى ، وفى أعمال عدد كبير من الشعراء ورواة القصص فى هذه الفترة حيث يحتكر هذا الموضوع المسرح تقريباً .

ولنذكر هنا « زنى تشاتش » (ولد فى روسيا عام ١٨٩٠ وجاء إلى فلسطين عام ١٩١٠ وتوفى فى عام ١٩٢١) الذى يعتبر أول رواة مستعمرات اليهود ، والشاعرة راحيل بلوفشتاين (ولدت فى روسيا عام ١٨٠٠ وجاءت إلى فلسطين عام ١٩٠٩ وتوفيت عام ١٩٣١) التى تأثرت كثيراً بالأسلوب العبرى الوجدانى . ويظهر فى شعرها الموسيقى الرائع بوضوح أثر الشعر الوجدانى الروسى المعاصر . أنه شعر الفرد فى وحدته ، وخوفه من الموت وتطلعه إلى الحب . وبهذه الطريقة تعبر راحيل تماما عن شعور عام تجاه الحياة . وكانت أشعارها ، فى أيامها على الأقل ، من الأشعار التى تقرأ أو تغنى على نطاق واسع ، ويمكننا أن نذكر أيضاً الكثيرين من الشعراء الآخرين وخاصة من النساء اللائى يشبه أسلوبهن أسلوب راحيل .

لكن ليئة جولدبيرج[٣٤] لها مرتبة خاصة ، فأعمالها واسعة فى مجالها ، متنوعة فى صبغتها . وهى تميل مثل راحيل إلى التعبير عن الموضوع الشخصى . ولكن الاطار الثقافى الذى تكشف عنه أكثر إتساعا فإلى جانب أثر الشعر الوجدانى الروسى يوجد إنعكاس للادب الفرنسى والألمانى والكلاسيكى . ويسود الموضوع الشخصى حين يكون هناك مجال للربط بين ميراث الادب اليهودى والأدب الاوربى ، كما يتبين من آيه مقارنة دقيقة للاسلوب . أن الفرق بين أسلوب لمدان وجرينبرج وشلونسكى وراحيل وليئه جولدبيرج يكمن

فى أن الاول غنى بالتعبيرات المأخوذة من الادب المقدس لليهودية فى حين أن هذه التعبيرات فى أعماق السيدتين تختفى أو يندر وجودها ولا يتميز بها أسلوبهما الذى يظهر فيه أشكال متنوعة إستخدمت فى الأدب الاوروبى والشعر الوجدانى الاوروبى وهذا يضىء العملية التى نصفها من زاوية أخرى . فالرابطة مع تراث الماضى تجد تعبيراً لها فى أساليب متنوعة وفى تكوين الموضوعات التى يبلورها الاسلوب . أن عملية التحلل الثقافى وعودة التكامل الثقافى تظهر بالغة الوضوح ، ودون فهم هـــذه العملية لا يستطيع المرء أن يفهم الآدب العبرى فى الفترة التالية .

لكن علينا أن ندرس أولا أعمال شاعر آخر لايمكن تحديد مركزة وفقا للمعايير السابقة والذى يبدو أثره على الأدب العبرى اليوم كبيراً هو : ناتان آلترمان[٢٥] . أنه لاينتمى إلى جيل « السابرا » لأن المناظر الطبيعية التى يصورها أوروبية .

ذلك فإنه لايعالج موضوع الهجرة حيث لا يتميز بها أى جزء من أعماله . وأعماله لايمكن تفسيرها دون إشارة إلى الرابطة المباشرة بينه وبين موقف الطائفة اليهودية فى فلسطين خلال فترة الانتداب حيث اصطدمت المصالح السياسية البريطانية بالقومية اليهودية .

ونحن نشير إلى أشعار « الصفحة السابعة » فى صحيفة « دافار » التى كان يحدث يحدث فيها رد فعل مباشر تجاه الأحداث السياسية فى حياة اليهود الذين استوطنوا فلسطين . لكن حتى فى شعره الوجـــدانى يوجد تعبير عن مجابهته المباشره لهذه المشكلات . والفارق بين شعره وشعر الكتاب الذين ذكرناهم من قبل يتعلق بموقفه الشخصى . وهذا الموقف الشخصى هو الذى يحدد نوع تجربته

الخاصة . ان شعره يصف كل من فترة الصراع من أجل إنشاء الدولة اليهودية وفترة الحرب العالمية الثانية ، والظروف الوطنية والانسانية لتلك الفترة . ولذلك فان الموقف الإنسانى فى الحرب هو الموضوع الرئيسى فى أعماله . انه موقف الخط الفاصل من حيث الأثر . وفى هذا الموقف ومن خلال موقفه فى وجه المعاناة والموت يمر المرء من التجربة العادية إلى مجال غير معروف فى شخصيته .

وهذا التحول يؤدى إلى تجدد التجربة الدينية فى أعماق العالم العلمانى .

وبهذه الطريقة نستطيع أن نشرح التوتر الداخلى القوى فى شعر ألترمان . فهو ينبع من التوقع الدينى الذى يعطى حياة جديدة لأسطورة الخلاص برموزها اليهودية بل وحتى المسيحية ، فى عالم علمانى لم يعد يستجيب لهذه الرموز بل وينكر أهميتها . وسنرى أن هذه المأساة الروحية التى ظهرت فى شعره هى التى تفسر نفوذه العظيم على مجموعة من الشعراء والكتاب فى الفترة الثالثة .

ولو كنا نريد الحديث عن عملية إعادة التكامل فى الحياة الروحيه لليهود ، أو الرغبه فى ذلك على الأقل فإن ألترمان يعتبر من أهم شخصياتها .

الفصل الثالث

أدب « السابرا » (٢٦)

ان مايميز ادب « السابرا » (٢٣) (Sabra) اساسا هو الموضوع الجديد . ان « الدياسبورا » بالنسبة لادباء هذه المجموعة لم تعد أكثر من مجرد حقيقة تاريخية لا تؤثر عليهم تأثيرا مباشرا ، وبالتالى فلم تعد فلسطين بالنسبة لهم بلد الهجرة ومع ذلك فقد شبوا على حركة الاحياء القومى وعبروا عن صلتهم المباشرة بها فى قتال اليهود المستوطنين فى فلسطين لضمان ما يسمى بالامن . . . والاستقلال السياسى. لذلك فليس من دواعى الدهشة ان يكون الكفاح من أجل البقاء وحرب ١٩٤٨ هما الموضوعان اللذان انتعش بهما هذا الأدب : والمسألة ليست مجرد أن حرب ١٩٤٨ قد أصبحت هى موضوع الوصف فحسب ، بل ان تجربة بناء الشخصية اليهودية من جديد وما يعتريها من صراع نفسى داخلى وما تواجهه من عوامل خارجية ، كل هذا أصبح عنصرا رئيسيا يدخل ضمن نطاق المعالجة الأدبية لأدب هذه المجموعة . ولكى نفهم ذلك يجب على المرء ان يفهم تماما ان كتاب « السابرا » ينتمون الى نفس القطاع الاجتماعى ، وانهم يتبعون طرق متماثلة تقريبا . لقد تعلموا جميعا تقريبا داخل حركات الشباب الصهيونية الاشتراكية ، كما مروا بتدريب منظم وعاشوا فى « الكيبوتس » . لقد تعلموا فى اطار حركة أورثتهم المثل العليا للجيل السابق ، لا من خلال التجربة الحية المباشرة بل عن طريق الاقناع الذهنى والنفوذ العاطفى الرزين . بل ان قراراتهم الشخصية كانت تتخذ داخل اطار الحركة ولا تتقبل منهم مسئولية شخصية . وهذه الحقيقة لها اثار هامة فى الحياة الروحية لهذا الجيل اليهودى . ان الايديولوجية الصهيونية الاشتراكية تميز

النظارة العامة لهذا الجيل بدرجة لا تقل عن النظارة العامة للجيل السابق . وقد تركت هذه النظارة أثرها على أدب هذا الجيل .

لقد التزمت هـذه المجموعة فى صياغة إنتاجها الادبى بالبعد عن إبراز أى نوع من التناقض بين الايديولوجية الصهيونية وبين تجربة الفرد فى واقع الحياة . وتميزت كذلك بالسعى نحو خلق المبررات لكل القضايا التى واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير عدم الاندماج اليهودى فى مجتمعات الشتات اليهودى ، أو تبرير إغتصاب فلسطين من العرب ومحاربة الانتداب البريطانى . كل هذا بالرغم من ان عناصر الايديولوجية الصهيونية التى تلتزم بها هذه المجموعة فى خلق نماذجها الروائية وصور خلقها الفنى تبدو بصورة واضحة غير نابعة بصورة مباشره من التجربة الحية التى يعيشها أو يعانيها أبطالها . ان هذه المجموعة قد فقدت موضوعيتها فى معالجة المشاكل التى تواجه المجتمع الاسرائيلى ، وتميزت باللجوء للمبالغات والتقيد الزائد بأسس الدعاية الصهيونية والعنصرية وأصبح أدبها بمثابة الأدب الاعلامى .

لكننا لانشعر فى أعمال هؤلاء الكتاب بنفس التصميم الروحى المتمثل فى اعمال الفترة السابقة . ان الاقتناع الايدولوجى لا يصاحبه التأكيد بصواب القرارات الشخصية التى تتخذ ، لأن هذه القرارات لا تعتبر عن الرغبات الشخصية التى تنبع مباشرة من التجربة . ومن المفروض عادة ان الأيديولوجية تكون عادلة لكن الدعوة الى ادراكها لا تسير جنبا إلى جنب مع الميول الفردية . لذلك فاننا نشاهد الان ، حتى خلال فترة الصراع ، ظهور ادب القلق والشكوك الذى لايصل الى حد التمرد الفعلى ضد أيديولوجية الجيل السابق بل يعبر عن العجز الوجودى فى التمشى مع مطالبه ، وذلك بتوكيد الهوة بين الايديولوجية والواقع ولو حتى من خلال الشعور بالذنب .

وهكذا يمكن شرح أهمية حرب عام ١٩٤٨ فى أدب هذا الجيل : فهى تشكل التجربة المستقلة الأولى للحياة التى يستطيع الكاتب عن طريقها ان يختبر نفسه فى حياد . انه فى مواجهة المشكلة الشخصية ... واحتمال الموت والمشكلة الأخلاقية وموقفه من العدو المهزوم ، يضطر إلى أن يقيم ويقدر من جديد رابطته بالمثل العليا التى شب عليها . ووجهة النظر هذه تنطبق على أعمال س . يزهار (سميلانسكى يزهار) ويتميز يزهار بوصف الجو السائد فى الفترة التى يسميها مؤرخو الادب العبرى « فترة النضال السياسى » ، وفترة «حرب التحرير» (حرب ١٩٤٨ [١]) . أنه يصور البطل الانطوائى النزعة الذى يتأرجح بين المطلب الأساسى الذى يقبله وبين عجزه الشخصى فى العثور على روحه فى هذا المطلب . انه إنسان معزول عن محيطه المألوف ويفتقر إلى الشعور بالسلطة الأخلاقية فيما يتعلق بمحيطه الجديد . وبدلا من ذلك ينقاد عن طريق المحيطين به حيث أنهم موجهون وهو ليس كذلك . وتزداد البلبلة فى زمن الحرب . والورطة الأخلاقية للعلاقة مع العدو المهزوم تصل بأبطاله تقريباً إلى نقطة التمرد حيث أنهم يشعرون بحساسية تجاه الجو الأخلاقى تجاه الرجل داخل العدو ، بل حتى هنا يصبح التمرد داخلياً . وهنا التمرد لايجد تعبيراً إيجابياً بل سلبياً فقط : إذ يتقهقر الفرد إلى داخل نفسه وفى تجربة تنتهى بهزيمة يائسه ، يحاول أنه يجد نقطة بؤرية أخرى خارج دائرة المجموعة . وعلى كل فإن معظم قصص يزهار تنتهى بدراسة إحتمال وجود تجربة تعلو على التجربة الاجتماعية الدينية ، لكن المسألة لاتتعدى التكهن البعيد الذى لايصل إلى نتيجة . ويتكرر نفس الموضوع مع أوجه خلاف كثيرة ، فى أعمال كتاب آخرين مثل (يجآل موسينسون)[٢٧]

---

(١) يطلق اليهود على حرب عام ١٩٤٨ اسم « ملحميت هشحرور » (حرب التحرير) أو « ملحميت هيتقوموت » (حرب الثورة أو التمرد) .

الذى يؤكد على المسافة الوجودية بين المثل الأعلى والواقع الذى يحتاج إلى تحقيق ، وناتان شاحام (المولود عام ١٩٢٥) ويوجد فى قصصه الأولى تقبل بل وتحقيق لمتطلبات البيئة المحيطة به ، لامن خلال الإقتناع أو الإدراك المثالى ، بل لتحقيق قيم وجودية مثل الصداقة والحب والشجاعة عن طريق الصراع والحرب .

ويحدث ذلك أيضاً فى أعمال موشى شامير . [٢٨]

إن أبطاله بعيدون عن عالم الشكوك والصراعات الذهنية لكنهم يبدون وكأنهم يفتقرون إلى التوجيه الثقافى ، ولذلك فليست لحياتهم الشخصية نقطة بؤرية . وقصة شامير الأولى (لقد سار فى الحقول) هى خير دليل على ذلك ، فهى تصف نموذجه الأصلى : شخصية أنانية وساذجة مستعدة للاستسلام أمام أى تحد أخلاقى توجهه .

وهكذا تزيد حرب عام ١٩٤٨ من حدة الورطة أو المعضلة التى تواجه أدب هذه المجموعة الثالثة وهو الأمر الذى يجد تعبيراً له أيضاً فى الفترة التى أعقبت الحرب. فهناك أولا رد فعل ناقد وعنيف للموقف الإجتماعى السائد فى فلسطين المحتلة . التعبير عن الشعور بالافول والتحلل السريع بعد فترة من التوتر العظيم كان يطلب فيها من الفرد أن يواجه تحديات كبيرة حتى ولو كان فى حالة من الحيرة والتردد . وقد توقفت التحديات وظهر شعور بالتدهور .

وهكذا نرى فى قصص شامير التعبير عن خيبة الأمل والخواء الذى حدث فى إعقاب تحقيق المثالية الصهيونية أى أنها تعبير فى إيجاز عن « أزمة الدولة » .

وهذه الفترة تنعكس بوضوح فى قصص حانوخ بر ـــ طوف (ولد فى فلسطين عام ١٩٢٦) واهارون ميجد [٢٩] اللذان يشكلا مع موشى شامير ما يسمى بجيل « البالماخ » (سرايا الصاعقة) الذى حارب ضد الإنتداب البريطانى فى فلسطين.

فالاول يكتب نقداً إجتماعياً عنيفاً وعاطفياً ، ويعطى صورة مظلمة للانحلال الاخلاق . ويكتب الثانى نقداً مليئاً بالهجاء يصف السقوط الشخصى لبطل حرب ١٩٤٨ فى جو من الراحة المفرطة . وهذا البطل الذى لم يعد يواجه مطالب محددة الوضوح — حتى لمجرد التمرد ضدها فحسب — لايبذل جهداً لجمع شتات نفسه ، بل يتهاوى ويضيع طاقاته . وهنا نجد بداية تلك العملية الخاصة بالشك الشخصى التى تؤدى إلى نقطة تحول .

ان الأدب الذى يتفاعل مباشرة مع تحد إجتماعى معين يسلم الكاتب إلى الكتابة المتأملة المتلونة بالآراء الشخصية القوية والتى تكون قابلة لتأثير الادب الاوروبى والامريكى الحديث من ناحية ، وتأثير الكتابة المجددة فى الأدب العبرى نفسه — كما يمثله بعض كتاب من الفترتين الاولى والثانية من ناحية أخرى ، وخاصة عجنون وشلونسكى والترمان . ويبدو أن المناخ الذى شاع فى فترة ما بعد حرب ١٩٤٨ قد أغرى بشعور من الواقعية يشبه إلى حد كبير ذلك الشعور الذى تبلور فى أعمال الترمان .

إن الأدب العبرى الحديث ، بعد سنوات الحرب ، قد خلق مزيداً من الحيرة . لقد إستهلك موضوعه المادى وبدأ البحث عن موضـــوع جديد . وكانت الإتجاهات المحتملة متعددة الجوانب . وقد اجتذب روتين السنوات السابقة الكتاب إلى موضوعات إجتماعية ووضح ذلك سواء فى الكتابات النقدية للذين أصابهم الموقف بخيبة أمل بعد قيام الدولة أو فى محاولات مواجهة الواقع الجديد ومشكلاته : إستيعاب المهاجرين والمظاهر الكثير لمواجهة الهجرة . وهناك سبب فنى يفسر هذا الإتجاه إلى جانب الأسباب الإيديولوجية وهو الرغبة فى الاستلهام من بيئة جديدة وتجربة جديدة وخاصة تلك الخاصة بالطوائف الشرقية التى ظل طريقها فى الحياة

كاملا فى حد ذاته ، على خلاف طريقة حياة الأووروبيين والخاربين القدماء والوافدين الجدد على حد سواء

ومن هنا كانت تجارب هزاز الأولى فى وصف تجربة يهود اليمن وأسلوب حياتهم . وقد اقتفى أثره عدة كتاب فى فترة مابعد «حرب ١٩٤٨» مثل «يهوديت هايندل» (ولدت فى بولندا عام ١٩٢٤ وجاءت إلى فلسطين عام ١٩٣٠) ، «وميلا أوهيل» (ولدت فى ليتوانيا عام ١٩٢٥ وجاءت إلى فلسطين عام ١٩٣٥) .

وبالرغم من ان الموضوع يبدو «طبيعيا» للغاية فقد كتب عنه القليل . ويبدو ان الكاتب اليهودى الفلسطينى المولد يجد صعوبه فى ان ينفذ إلى ماوراء المظاهر الخارجية لحياة هذه الطوائف المختلفة ولايفهم ثقافتها التى تعتبر بعيده عنه .

وحالة هزاز فريدة : فالمصادر الروحية ليهود اليمن التى وصفها فى كتبه تتفق جزئياً مع المصادر الروحية ليهود أوروبا الشرقية التى تغذى عليها . وأدب السابرا « لايستطيع ان يخلق تكاملا فنياً للموضوع . كما أن الورطة الاجتماعية التى تعرضت لها الدولة . فى استيعاب المهاجرين لم تمسه بشكل مباشر وشخصى كما فعلت مع كتاب فترة الهجرة الثانية والثالثة ، أو كما تأثر هو نفسه بحرب عام ١٩٤٨ . لذلك كانت أستجابته مثبطة ومتداعية بالتأكيد .

ويمكن تبين محاولة أخرى لمد مجال الكتابة الخلاقة فى الاستجابة للتاريخ بغرض التعليق على أبعاد الحاضر وإثراء مخزونه بالمعانى . وعلى رأس هذا النوع رواية موشى شامير . . . «ملك الدم واللحم» التى تدور حول شخصية الكسندر جانيوس أحد الملوك المكابيين . وحذا حذوه كثيرون من الكتاب .

وهذا الاتجاه يثير الاهتمام . فلم يكن هناك وجود تقريبا للقصة التاريخية فى الأدب العبرى قد تركز على الحاضر توقعاً للمستقبل وتمرداً على الماضى . والآن

فإن بحث الأبعاد التاريخية لفهم الحاضر يظهر بالتالى تغيراً روحياً هاماً يعبر عن علاقة مختلفة لكل من الحاضر والمستقبل. ان مركز التوقع الايديولوجى قد حول بطريقة مختلفة . فهناك شيء من الماضى يفتقر إليه الحاضر ، وربما لأن هذا الحاضر قد قطع علاقته مع الماضى عن طريق تحول ثورى للغاية . ويصف « ملك الدم واللحم » هذا الاتجاه الجديد مباشرة . والروطة الثقافية التى ألمح اليها شامير فى كتابه « لقد سار فى الحقول » تفسر وتدرس الآن فى شكل علاقة ابن الحاضر بتراث الماضى اليهودى الذى يحتاجه وان كان بعيداً عنه .

وهكذا فإن الشعور « بفراغ الحاضر » يمثل الوعى بالحاضر فى كل ادب المجموعة الثالثة فى الفترة التى أعقبت قيام الدولة . ومع ذلك فهناك اختلاف فى طبيعة رد فعلهم . فهناك مجموعة صغيرة فى عددها لكنها متماثلة فيما تقوله تضم هؤلاء الذين تركوا محيطهم الدينى فى سبيل المحيط العلمانى ، وعملهم يختلف إلى حد ما عن الموضوع الكلاسيكى للادب العبرى الحديث : مثل قصص دافيد شحر (ولد فى فلسطين عام ١٩٢٦) وشعر يهودا عميحى[٣٠] وهناك مجموعة ثانية تضم الاعمال البالغة للعدد كبير بعض الشيء من الكتاب الذين ذكرناهم من قبل والذين على اتصال مباشر بالتراث اليهودى مثل يزهار وشامير وميجد ممثلى « جيل البالماح » . وسنتبين ان الشعور بالوقعية لدى المجموعتين متشابه أساساً لكنه أكثر تحديداً فى المجموعة الأولى . لقد تم هجر المدار الدينى بدون أوجه النضال التى حفزت أدب الفترة الأولى وبدون استلهام مثل أعلى آخر كما حدث فى الفترة الثانية . أنه هجر نتج عن ضعف نفوذ المحيط الدينى من ناحية وعن الجاذبية المتزايدة للحرية السلبية فى المحيط العلمانى من ناحية أخرى .

إن الرجل المشتت الفكر لايدرك المغزى الروحى للطريق الذى اتخذه إلا بعد ان يتخذ قرار اختياره : ان « حريته » تكشف عن نفسها كشيء طارىء فى عالم

لامعنى له. وهذا الموقف من العالم المحيط يجد تعبيراً له أيضاً فى أعمال المجموعة الثانية، لكن هذه مجموعة تتخذ طريقاً أطول . فمن عدم الرغبة المترددة فى التوفيق بينها وبين المثل العليا الوطنية والاجتماعيه تعمل هـــذه المجموعة على اظهار الاتجاه الشخصى المختلف للجيل الجـــديد : فرغباتها لاتتمشى مع الايديولوجية القومية والاجتماعية . والابطال يريدون ان يعيشوا كل دقيقة من حياتهم كاملة ..... حياتهم الواقعية لا الحياة التى تكرس وقتها لتحقيق مثل أعلى . ومع ذلك فسرعان مايدركون ان مضمون « الآن » لايمكن وصفه إلا فى إطار ثقافة غنية . والبعض يسير إلى أبعد من ذلك ويقولون ان هـذا غير ممكن إلا فى إطار من الايمان لايمكنهم بدونه ان يحققوا إلا أكثر الرغبات تواضعاً . وينطبق هذا الأمر على قصة يزهار « أيام زيكلاج » فهى تلخص الموضوع الأول لأدب المجموعة الثالثة (حرب عا ١٩٤٨) من وجهه نظر أعوام قليلة تلتها (عشر سنوات) كاشفه المغزى الحقيقى للافعال وردود الفعل فى ذلك الحين . ان التوكيد على الابواب المغلقة للماضى حيث كانت تجربة حياة كاملة فى وسط تجربة دينية مباشرة ، يشكل موضوعاً بالغ الأهمية فى القصة.

وهكذا نأتى إلى دورة كاملة ونعود إلى نقطة البداية . فالمجموعة الثالثة تعود إلى النقطة التى ابتعدت عنها المجموعة الأولى ، لكن مع فارق واضح فى الابعاد : فما يعتبره تلاميذ « بيت همدراش » فى « الدياسبورا » انفصالا عن ثقافة وإيمان كانوا على اتصال مباشرة بهما يبدو لكتاب « السابرا » وجود فى فراغ ثقافى يفتقرون فيه إلى شىء ماليسوا على اتصال مباشر به، لكن غياب هـــذا الشىء يؤلمهم .

لكن هذا أحد وجهى العملة فحسب . لذلك علينا ان نوجه الانتباه إلى وجود مجموعة ثانوية من الكتاب لاتتطور أعمالها عن طريق العلاقة المباشرة مع

التراث اليهودى لكنها تظهر رابطة مباشرة بالادب الاوربى . وهذه المجموعة ليست كثيرة العدد ولكنها هامة ومتميزة . فالكتاب لم يولدوا فى فلسطين وقد نبعت تجاربهم الاولى من صدمة الحرب العالمية الثانية .

وهناك ثلاث أعمال تستحق الذكر : أعمال جونات (ولد فى بولندا عام ١٩٢٦ وجاء إلى فلسطين عام ١٩٤٨) والكسندر (ولد فى بولندا عام ١٩٢١ وجاء إلى فلسطين ١٩٣٤) وهى الأعمال التى تصف مرحلة شباب اليهود من من بولندا إلى فلسطين عشية تلك الحرب ، وأعمال نعومى فرانيكيل (ولد فى برلين عام ١٩٢٠ وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٣) والتى تصف رحلة مماثلة لليهود من ألمانيا ، وأعمال أهارون أبيلفيلد (ولد فى بولندا عام ١٩٣٢) وجاء إلى فلسطين عام ١٩٤٧ التى تصف عالم هؤلاء الذين تعرضوا لتجربة النكبة . لذلك فإن ماتتميز به هذه المجموعة البعيدة كل البعد عن التناسق هو التحول إلى الداخل : فهى تصف أناساً تحولوا عن الديانة اليهودية ويسعون الآن إلى طريق العودة . وهذا يبدو أولا وقبل كل شىء فى الأسلوب . ومن السهل أن نشعر فى هذه الأعمال بأن اللغة العبرية ليست هى اللغه الأم للكتاب وانهم يترجمون من لغة أخرى . .

وتعتبر الرابطة بالديانة اليهوديه بالنسبة لهم أدراكاً متجدداً بالمصير القومى ، الأمر الذى يساعدهم أيضاً على أيجاد وجهتهم الثقافية والروحية . وهذا يعطى أعمالهم

(*) ظهر الادب الحقيقى لا الادب التسجيلى الذى يتحدث عن النكبة التى يقصد بها تجربة اليهود مع النازى — باللغة اليديشية أو باللغات الاوربية كالفرنسية أو الانجليزية . لذلك فهذا الادب ليس موضع المناقشة هنا .

اهتماما مزدوجا . فهذه الأعمال التى تستوحى من الإتصال المباشر توكيد الموضوعات الوجودية للادب الاوربى بعد الحرب العالمية الثانية إلى جانب ادراك معين بالمصير (وإن كان هذا يبدو تناقضا ظاهريا) يحمل المزيد من التفاؤل : فهناك سعى إلى نتيجة ايجابية .

ويجدر بنا ان نشير إلى مجموعة اخرى تضم كتابا من الطوائف الشرقية . فهناك مثلا يهودا بورلا [٣١] الذى يصف تجربة اليهود « السفارديم » فى فلسطين ومورد خاى طبيب [٣٢] الذى يصف تجربة يهود اليمن . وتهتم كتاباتهم بأوصاف المحليات المحددة ، رغم ان هذه الكتابات تعبر عن مواجهة هؤلاء الناس للمثل العليا للقومية اليهودية الجديدة ومناهجها المأخوذة عن الثقافة الاوربية : ولقد ذكرنا محاولات قام بها كتاب لا ينتمون إلى الطوائف الشرقية لاستلهام تجربتهم الخاصة ، وهى محاولات وجدت عراقيل بسبب صعوبة التغلغل العميق إلى العناصر الثقافية التى تحدد الواقع الخارجى . وقد تعرض كتاب الطوائف الشرقية لصعوبة مماثلة لكن من زاوية أخرى : فقد اضطروا إلى تكييف أنفسهم وفقا لمطالب القصة الاوربية التى تم خلقها فى إطار ثقافى مختلف جدا عن الاطار الذى يرغبون فى وصفه وهكذا أصبح الصدام مع ثقافة أجنبية ورطة فى عمليات الخلق ذاتها . وربما كان هذا هو السبب فى أن عدد كتاب هذه المجموعة كان قليلا نسبيا .

وأخيرا فهناك غياب المجموعة كان لابد ان تكون موجودة من الناحية النظرية ونعنى بذلك الادب الذى يتحدث باسم هؤلاء الذين احتفظوا بإيمانهم فى تراث الديانة اليهودية . واذا استثنينا عجنون الذى ينتمى — رغم احتفاظه بإيمانه ، الى تلك المجموعة من الكتاب التى تصف الازمة الروحية لليهود ، فإن هذا الأدب لم يشب عن طوقه ، هذا إن كان قد ظهر على الإطلاق . وهذا أمر يدعو إلى الدهشة

وان كان من الممكن شرحه . فالادب العبرى الحديث ينبع من صدمة مواجهة ثقافة علمانية ، ويبدو ان هذا الوعى بالازمة الروحية هو بالضبط الذى اعاد تكامل التقاليد فى الخلق الفنى . وبمعنى آخر فبدون الوعى بالازمة لا يوجد حافز قوى على التعبير الفنى عن التقاليد . ومع ذلك فإن حقيقة الصبغة الدنيوية للتعبير الفنى تزعج الكاتب الدينى الذى ينعزل عن الاتجاه أو على الاقل يحصر نفسه فيرى ادنى حد من الاتصال مع هذا الاتجاه . ومع ذلك فربما كان الجمهور الدينى هو الذى يمسك بمفتاح تطور الادب العبرى فى المستقبل . أما فى الوقت الحاضر فهـــذا الجمهور يشارك جزئيا فحسب فى عملية خلقه .

* * * *

ان الصورة التى حاولنا ان نقدمها ليست منتظمة ، وان كانت كذلك فهذا الى حد ما . لقد شهدنا ثلاث فترات من الادب ، تصور عودة التكامل الفنى لتراث كان فى عملية التحلل أو تعرض على الاقل لتغير فى المعنى . ففى الفترة الاولى كان الصراع مباشرا وكان فهم مأساة هذه الأزمة هو أساس عودة المضمون التقليدى للخلق الفنى . وفى الفترة الثانية كان أساس عودة التكامل هو الإيمان فى عملية الخلق بثقافة قومية جديدة فى فلسطين ، وفى الفترة الثالثة كان التخلى عن مضمون التراث نهائيا ومطلقا حيث انه صلة الكتاب بمصادر الأدب الدينى كانت غير مباشره ، وكانت تتم عن طريق ادب المجموعتين الأولى والثانية . لكن هذه الحقيقة ذاتها تعتبر موقفا مأساويا ، ويسعى الكتاب باستمرار الى طريق العودة للتكامل من خلال تجدد الرابطة المباشرة مع المصادر .

وليس كل عمل فى كل مجموعة يعبر عن هذه الورطة مباشره . فالكثيرون من الكتاب يركزون على الموضوعات الشخصية أو العالمية . بل حتى تلك الاعمال

حين نأخذها فى الاعتبار العام يمكن وضعها بين القطبين : نفوذ التراث اليهودى من ناحية ونفوذ الثقافة العلمانية الاوربية فى الادب العبرى الحديث دون الاشارة الى أوجه النفوذ هـذه . ان معظم الاتجاهات الهامة فى الادب الاوربى منذ بداية القرن التاسع عشر قد تركت بصمتها بعض الشيء على الادب العبرى . وهذه العملية تبدو أكثر وضوحا كلما ضعف الاثر الاصيل للتقاليد اليهودية . وقد أكتشفنا ان هذا قد تم التعبير عنه فى المجموعات الفرعية لـكل من المجموعات التى درسناها . ولا مراء فى ان الاعتماد على النفوذ الخارجى فى المجموعة الثالثة يبدو واضحا للغاية حتى ان النتيجة تصبح فى الغالب تقليدا فعليا ، خاصة لان الصلة بكتاب الادب الاوربى غير مباشرة . ومعظم كتاب المجموعة الثالثة ليست لهم لغة اصلية اوربية ولا يعرفون ادب اوربا الا فى التراجم ؛ دون الشعور اللغوى المباشر لمن يقرأ الأدب بلغته الأصلية . وهذا واضح بشكل خاص فى الشعر الوجدانى الحديث(*) الذى يبدى حساسية مفرطة لجميع الاشكال الجديدة فى الشعر الاوربى الحديث .

بل حتى الكتابة النثرية مفتوحة لنفوذ التجديدات الادبية الفنية التى تعتبر فى بعض الأحيان غاية فى حد ذاتها . الا يبين ذلك فى حد ذاته ان مرحلة متطرفة قد تم الوصول إليها فى العملية التى وصفناها ؟

(*) نحن لم نتطرق الى الشعر الوجـــدانى للمجموعة الثالثة الا نادرا لا لندرته فهناك ، على العكس القدر الكبير منه ، بل لصعوبة تبيين صفاته بوضوح فى هـذه المرحلة . لقـد جرت تجارب معالجات جديده كثيرة وسيمر وقت طويل قبل ان يمكننا اجراء مناقشة عامة ومركزة تؤدى الى تصنيف محدد له .

ان الخضوع الكامل للنفوذ الخارجي لهو دليل على ان عملية التحلل الثقافي قد بلغت دورتها . لكن الطبيعة الفنية لهذه النفوذ تكشف انه حتى قيم هذا العمل وفرص تطوره في غياب تجدد عودة التكامل الثقافي تصبح موضع شك . ان كتاب وشعراء هـــذا الجيل يزداد ادراكهم بهذه الحقيقة ويعترفون بانها مشـــكلاتهم الرئيسية . أليس لهم مستقبل ؟ هذا سؤال في حاجة الى الاجابة عليه .

الجزء الثاني

تعليقـــات وشروح

١ — الهسكالاه :

كلمة عبرية تعنى « التثقيف — التنوير » وتطلق على الحركة الثقافية الاجتماعية اليهودية التى ظهرت خلال القرن الثامن عشر وعرفت باسم « حركة التنوير اليهودية » وذلك بتأثير عصر التنوير الاوروبى وأفكاره . وهذه الحركة تميز بداية التاريخ الحديث لليهود فى أوروبا وعلى الأخص فى أوروبا الغربية .

كانت الهسكالاة تسعى إلى تقريب جماهير اليهود من ثقافة الشعوب الآخرى وأخراجهم بقدر الامكان من كونهم وإنغلاقهم حتى يصبحوا مواطنين شرفاء فى أوطانهم . ومن أجل بلوغ هذه الغاية عمد المسكيليم (أتباع حركة الهسكالاه) إلى :

١ — نشر الثقافة العامة بين اليهود اليهود عن طريق تعليم اللغة والأدب الخاصين بالشعوب التى يعيشون بينها .

٢ — تجديد الأدب العبرى بروح الثقافة الاوروبية .

٣ — حث اليهود على ممارسة المهن اليدوية ونبذ المهن التقليدية التى جرت عليهم كراهية الشعوب مثل الصيرفة والتجاره والربا وبيع الملابس المستعملة وفتح الحانات وغيرها من المهن التى تعيش على هامش فائض الإنتاج .

ومن أجل بلوغ هذه الغاية كان على اتباع الهسكالاه أن يتنازلوا عن الاعتراف الفردى القومى اليهودى وعن الامل فى (العتق الذاتى) وأن ينظروا إلى الدين بأعتباره أساساً لوحدة اليهودية فقط . وكان رائد الهسكالاه فى غرب أوروبا هو الفيلسوف الألمانى اليهودى موسى لندلسون الذى قام بترجمة التوراه إلى الالمانية

وشق الطريق نحو تحطيم أسوار الجيتو اليهودى فى غرب أوروبا . وحينما انتقلت الهسكالاه من غرب أوروبا إلى شرقها صادفت معارضة شديدة من اليهود المحافظين ومن (الربانيم) ، (زعماء الدين اليهودى) ومن (الحسيديم) ، (طائفة دينية قامت فى بولندا وروسيا بزعامة بعل شمطوف) معا . ولكنها تمكنت من شق الطريق أمام المجتمع اليهودى فى شرق أوروبا واتخذت طابعاً عبريا ساعد على أثارة العاطفة القومية عند اليهود ومهد القلوب من أجل قبول الفكرة الصهيونية حينما ساعدت الظروف على ذلك (تعتبر أشعار ميخال وروايات أفراهام مابو وأشعار يهودا ليف جوردون وروايات ومقالات بيرتس سمولينسكين من الاتجاهات الأدبية التى ساعدت على ذلك) . وقد كانت نتائج الهسكالاه فى التاريخ اليهودى الحديث بعيدة المدى : فمن ناحية شقت الطريق أمام الأدب العبرى وحركة الاصلاح الدينى وخاصة فى غرب أوروبا ، ومن ناحية أخرى آثارت اليهود ضد نظام الحياة اليهودية فى الجيتو وخاصة فى شرق أوروبا ، وهى الثورة التى توجهت بعد ذلك إلى الهسكالاه ، وخاصة أثر أحداث عام ١٨٨١ التى وقعت فى روسيا والتى استغلها أنصار الاتجاه القومى اليهودى ليثبتوا فشل الهسكالاه كحل لمشاكل اليهود عن طريق إندماجهم وذوبانهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها مع الاحتفاظ بذاتيتهم اليهودية الثقافية الدينية . وقد تمخضت هذه الثورة ضد الهسكالاه فى شرق أوروبا عن قيام الحركة الصهيونية لتصبح هى المسيطرة على توجيه الحياة اليهودية فى العصر الحديث .

الهسكالاه الأدبية :

لقد برز من بين المسكيليم فى ألمانيا مدرستان :

١ — مدرسه مندلسون المنطقية التى سميت بإسم (مدرسة الشراح) (همبأريم) والتى أتخذت من اللغة الألمانية وسيلة من أجل نشر (الهسكالاه)..

٢ — مدرسة إتباع مندلسون وعلى رأسهم فيسلى وهى مدرسة (الجامعين للمختارات الأدبية)، (المأسفيم) والتى اتخذت من اللغة العبرية وسيلة لنقل العلمانية إلى الحيـــاه اليهودية، وصبغ الأدب العبرى الأصيل بروح الثقافة الاوروبية.

ولكن سرعان ماخبت مدرسة (المأسفيم)، وكتب لمدرسة مندلسون النجاح لأن اليهود فى ألمانيا، وجدوا، تحت ضغط العوامل السياسية والاقتصادية، أن اللغة الألمانية أجـــدى لهم من اللغة العبرية، من أجل التجارة والتحرر معا.

وخلال هذه الفترة كان يهود روسيا، التى كانت عبر تاريخها متخلفه عن سائر شعوب أوروبا، يعيشون داخل كيان ذاتى حافظوا فيه على روح اليهودية وإقامة شرائعها، كما كانت تجتاحهم الحرب الطائفية الدينية بين (الصدوقيون)، (قادة الحركة الحسيدية)، (والربانيم (قادة الشريعة التلمودية). ولم تكن الأرض إزاء هذه الظروف ممهدة لغرس بذور (الهسكالاه). ولكن بعد مرور سنوات كثيرا وخلال الأعوام (١٨٦٠ — ١٨٧٠). وبعد أن انتشرت الهسكالاه فى جاليسيا (منطقة فى وسط أوروبا، كانت تتبع بولندا حتى عام ١٧٧٢ ثم ضمها إلى النمسا) وحققت بعضا من النجاح على يد بعض الرواد أمثال نحمان كروكمال (١٧٨٥ — ١٨٤٠) المؤرخ والفيلسوف اليهودى، وسولومون رابوبورت (١٧٩٠—١٨٦٧) ناقد الدراسات التاريخية، اللذين قاما بعمل أبحاث ودراسات نقدية للتاريخ والدين اليهودى، بدأت خيوط النور الأول (للهسكالاة) تتسلل غير (منطقة الاستيطان) وأزدهرت فى مركزين:

١ — فيلنا الشمالية :

عاصمة لتوانيا التى تصدت (للحسيديم) وكانت خطا لمعارضة التعصب الدينى .

٢ — أوديسا :

التى كان موطنها اليهودى جديداً وليست فيه تقاليد الأجيال الجامدة . وما أن إنتشرت حركة (الهسكالاة) فى روسيا حتى إنقسم انقطاع اليهودى إلى مجموعتين متعاديتين :

(ا) المجموعة اليهودية التقليدية :

وهى المجموعة المشبعة بالتقاليد القديمة والمتعصبة للدين والتى تعارض أى تجديد فى خارج إطار الأفكار الكمودية .

٢ — المسكيليم (المتنورون) :

الذين هبوا لتحطيم أسوار الجيتو ودعوا لإسقاط كل الفواصل والحواجز التى تنبىء بأهداف سياسية أو صهيونية يهودية ، لأنهم اعتبروا أن المعتقدات الخاصة هى التى تقف حائلا بين اليهودى وسعادته الخاصة التى تكمن فى الانطلاق إلى آفاق الثقافة الخارجية .

ومن بين هؤلاء (المسكيليم) برز كذلك أيضاً جناحان :

١ — الجناح اليهودى — الروسى :

وقد أبعد نفسه عن ضروب التسلط اليهودية الصارمة وهرع إتباعه إلى التحصيل العلمى والتمتع بمزايا التعليم ووجه نشاطه إلى محاربه ضروب التشدد والصرامة فى اليهودية الدينيه .

وقد خلق هـذا الجناح أدبا روسيا – يهوديا عبر فيه عن المثالية الوطنية العالمية ، وساهم كثيرون من إتباعه (حركة البوند) فى محاولات تحرير الشعب الروسى من عبودية القيصر بعد ذلك . ولاشك أن غاية هذا الجناح وهى (الانصهار) فى الشعب الروسى ، كان من الممكن أن تحل مايسمى (المشكلة اليهودية) لو أنها لقيت تجاوباً أكبر من قطاعات أوسع من اليهود الروس .

٢ – الجناح اليهودى – العبرى :

ويمثل اليهود المتنورين من ذوى الاتجاه العقلى المحافظ على القديم والمتأثرين إن قليلا أو كثيراً بالتعليم العبرى التام . وقد كان الاحترام الذى منحه أتباع هذا الجناح العبرى لليهودية مسئولا إلى حد كبير عن إختيار اللغة العبرية كوسيلة من أجل (الهسكالاه) فى روسيا .

لقد كانت العبرية . فى نظرهم . هى لغة (التوراة) والتاريخ اليهودى ، وكان استخدامها يعنى أن دعاة (الهسكالاه) إنما يقصدون البقاء داخل الطريق الرئيسى للحياة اليهودية . ولذا فقد كانت أولى مظاهر عهد (الهسكالاه) هى التنقيب فى لب التراث اليهودى أو تحليل التاريخ اليهودى . بقصد فصل ما يكتنفه من خرافات وأساطير وغموض دينى باعتبار أنها كانت تطمس الماضى اليهودى .

وقد ساعد هذا الجناح على خلق طبقة متوسطة يهودية متشربة بالثقافة اليهودية ولها ولاء كامل لتراثها الدينى الغيبى ولكنها مشبعة بالأفكار السياسية والاجتماعية الغربية من قومية وإشتراكية .

وهذا الازدواج الفكرى بين النقيضين هو الذى أفرز فيما بعد القيادات أو

الزعامات الصهيونية القادرة على التحرك فى إطار معتقداتها الغيبية ، ولكنها تجيد فى نفس الوقت إستخدام المصطلحات والوسائل العلمانية .

وقد تكشفت حركة (الهسكالاه الادبية) عن أربعة مظاهر :

١ — مظهر الجدل العقلى (١٨٣٠ — ١٨٤٠) :

وقد تجلى فى الدعوة لتوسع آفاق الحياة اليهودية ودراسة الأدب الأوروبى والاتجاه إلى التدريب المهنى . وقد اتسم الأدب الذى أنتج خلاله بوصف الحياة اليهودية بصورة كالحة وتتميز بالبلاده والغموض والحقارة التى تميز الوجود اليهودى فى تلك الفترة .

ومن أشهر ممثلى هذا المظهر : إسحق دوف ليفنسون (١٧٨٨ — ١٨٦٠) الذى إستخدم سلاح الدين لإصلاح الدين بإعتباره مصدر التخلف فى الحياة اليهودية ومردخاى اهارون جينزبرج (راماج) ، (١٧٩٦ — ١٨٤٦) الذى أهتم بالدراسات التاريخية اليهودية ، والشاعر افراهام دوف هكوهين ليفنسون (١٧٩٥ — ١٨٧٨) .

٢ — مظهر الرمانسية الدينية (١٨٤٠ — ١٨٥٠) :

وقد تميز بالعودة إلى فترات المجد فى الماضى اليهودى وإظهارها فى صورة المثالية تجنباً لوصف الحياة المعاصرة الكالحة والقذرة . ومن أبرز ممثلى هذا المظهر الشاعر ميخا يوسف ليفنسون ، (ميخال) ، (١٨٢٨ — ١٨٥٢) الذى ترنم رغم قصر حياته بكثير من القصائد ذات المضمون الرومانسى العبرى والمضمون الصهيونى الذى يعبر عن الشوق إلى الأرض المقدسة ، والروائى (افراهام مابو) (١٨٠٨ — ١٨٦٨) صاحب (الرواية المقرائية) الأولى « محبة صهيون » التى

ساهمت فى تهيئة قلوب اليهود من أجل قبول الفكرة الصهيونية أكثر من جهود بعض السياسيين ومحترفى الدعاية وذلك بإضرامها لنيران الحب فى قلوب اليهود نحو فلسطين ، والإنتاجات الأولى للشاعر «يهودا ليڤ جوردون» (١٨٣٠—١٨٩٢) الذى استقى موضوعات إشعاره مثل «ميخال» من التاريخ اليهودي .

٣ — مظهر الإيجابية (١٨٥٠ — ١٨٧٠) :

الذى سعى ممثلوه إلى إنتهاز الفرصة الذهبية التى منحها القيصر « الكسندر الثانى لليهود ، ودعوا إلى عدم إضاعة الوقت الثمين فى إحياء مجد إسرائيل القديم أو التنقيب فى بعض النقاط التاريخية وأصروا على وجوب إتخاذ خطوات فورية للتطورات العلمية الاجتماعية منها والاقتصادية .

وأبرز ممثلى هذا الاتجاه الشاعر (يهودا ليف جوردون) الذى أطلق صيحته المشهورة التى أصبحت شعاراً (للهسكالاه) . «كن يهودياً فى بيتك وإنساناً خارج بيتك» وحدد أن المطلوب ليس هو اليهودى الحديث ، بل الروسى ذو الايمان اليهودى . وإلى جانب جوردون ظهر (موشى ايف ليلينبلوم) (١٨٤٣ — ١٩١٠) وهو من الأدباء الاجتماعيين السياسيين الذين طالبوا بالإصلاحات والتعديلات الراديكالية فى (الشولحان عاروخ) (المائدة المنضودة) ، وهو كتاب التشريعات اليهودية والذى يتميز بالتزمت الشديد والصرامة فى أحكامه . وخلال هذه الفترة حدث تدهور فى القصة والشعر والنقد وبرز دور الصحافة العبرية .

وكان من أشهر الصحف : هميليتس و (هكرمل) و (هتسفيره) و هشحر) و (هيحالوتس) و (هشيلواح) و (هتكوفا) . . . الخ .

٤ — مظهر ألتحام (الهسكالاه) (والقومية اليهودية) (١٨٧٠ — ١٨٨٠) :
ويمثله الاديب اليهودى الروسى بيرتس سمولينسكين (١٨٤٢ — ١٨٨٥) . وقد تميز هذا المظهر بالدعوة إلى أن التصمينات الخطيرة التى يحتويها تطرف (الهسكالاه) لاتؤدى إلى التطبع بالطباع الروسية فحسب ما بل تؤدى إلى صرف النـــظر عن الولاء اليهودى بصورة عامة . وقد حارب أنصار هذا الاتجاه موجة (التشبه) و (الانصهار) ودعوا إلى التمسك بمعالم القومية اليهودية ، التى تتجلى فى (التوراه) كباعث تاريخى على الروح القوميه .

وهكذا فإن (الهسكالاه) بمظهرها الأخير كانت بمثابة مقدمة مهدت لقطف ثمار الدعوة الصهيونية ، التى مهدت (لها الصهيونية الادبية) خلال (عصر الهسكالاه) والتى استفادت من الظروف التاريخية ليهود روسيا (حادث أغتيال القيصر الكسندر الثانى مارس ١٨٨٢ وموجات الاضطرابات ضـــد اليهود وظهور القوميات معاداه السامية . .) لكى تجعل من الصهيونية الحـــل الأوحد لحل ما يسمى (بالمشكلة اليهودية) فى العالم ، ولتعلن فشل الهسكالاه خلال هذه المرحلة .

(٢) المنـــفى :

تشير كلمة المنفى فى التاريخ اليهودى وتعنى بالعبرية (جالوت) إلى المنفى القهرى لليهود خارج فلسطين أو كما يسمونها « إرتس يسرائيل » . وتشكل أسطورة النفى والعودة إحدى النقط المحورية فى الرؤية اليهودية للتاريخ . وحسب هذه الأسطورة فإن رب اليهود قد حكم على شعبة المختار بالنفى والتشتت فى بقاع الارض إلى أن يعود المخلص (الماشيح) . وكالمعتاد إحاط اليهود هذه الأسطورة بضرب من القداسة والصوفية جعلوا بها المنفى سمة قاصرة على « التاريخ اليهودى » وجعلوا الاحساس بالغربة أمراً ينفرد به اليهودى . وقد ارتبطت هذه المشاعر باسطورة

العودة وهو الأمر الذى ترك أثره العميق على الوجدان اليهودى فى إحساس اليهود بالزمان والمكان ، واضفى طابعاً مؤقتاً على كل نشاطاتهم فانحصروا فى ممارسة الربا والتجارة . وقد حاولت الإستنارة اليهودية القضاء على هذه الظاهرة بأن نادت بأن المنفى هو واقع مؤلم ومؤقت يجب أن يزول عن طريق الاندماج فى الشعوب ولكن دعوتها لم تلق النجاح .

(٣) بيت همدراش :

« المدراش » هو منهج فى تفسير « العهد القديم » يحاول التعمق فى معنى آياته وكلماته والوصول إلى معانيه الخفية — أما « بيت همدراش » فيعنى المدرسة أو دار الدراسة أو المدراس حسبما كان يسميه العرب وهو مكان يجتمع فيه البالغون للدراسة والصلاة ، بعد إجتياز المرحلة الأولى من التعليم العبرى التقليدى فى « الحيدر » (وهو ما يقابل « الكتاب » عند المسلمين حيث يتلقون مبادىء القراءة والكتابة بالعبرية ويدرسون التوراة وبعض فصول من التلمود) . وبعد مرحلة « بيت همدرش » تأتى مرحلة « اليشيفا » وهى الأكاديمية التلمودية العليا التى تدرس بها علوم الفقه والشريعة اليهودية .

(٤) اليديش :

لغة خاصة باليهود فى شرق أوروبا عبارة عن خليط من العبرية والإرامية والألمانية وبعض الكلمات السلافية وتكتب بالخط العبرى . نشأت فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر وحملها اليهود معهم إلى بولندا وروسيا حينما هاجروا إلى هناك فى القرن ١٥ م . وقد كانت اليديشية هى لغة الجيتو اليهودى وكان اليهود يحرصون على التحدث بها بين الشعوب التى يعيشون بينها مما جعلهم موضع شك من الجماهير

التي لا تفهم لغتهم والتي لا يفهمون لغتها . وقد إحاط اليهود هذه اللغة بشيء من القداسة شأنها في ذلك شأن كثير من الظواهر اليهودية ، وكان هناك اعتقاد بأنه لا يمكن تفسير أفكار التلمود المعقدة إلا بهذه اللغة . وقد تخلص يهود غرب أوروبا تدريجياً من هذه اللغة كجزء من محاولتهم الإندماج في الشعوب التي يعيشون بينها ، ولكن يهود شرق أوروبا ظلوا يحافظون عليها حتى أصبحت من اللغات المعترف بها رسمياً في الإتحاد السوفيتي . وقد انتج بهذه اللغة أدب متنوع (شعر — قصة — رواية — مسرح) . وكان الصهاينة يعادون اليديشية وينادون بأحياء العبرية باعتبار أنها هي اللغة الحقيقية لليهود ، وقد احتدم صراع مرير بين أنصار اليديشية وأنصار العبرية حول أي اللغتين تصبح هي اللغة الرسمية للدولة اليهودية في فلسطين إلى أن انتصر أنصار العبرية . وما زالت اليديشية لغة التيار الاجتماعي والاقتصادي في إسرائيل حتى اليوم بالرغم من أن العبرية هي اللغة الرسمية .وتصدر بها في إسرائيل عدة صحف ومجلات وتستخدم في بعض المحلات وداخل منازل الأشكنازيم (يهود الغرب) . ومن أشهر أدباء هذه اللغة مندلي موخير سفاريم وشالوم عليخم وإسحق بيرتس .

٥ — الدياسبروا :

كلمة يونانية تعني « الشتات » وقد استخدمت للإشارة إلى الإقليات اليهودية في العالم وهي مرادفة لكلمة « المنفى » في التراث اليهودي الصهيوني .

٦ — شموئيل يوسف عجنون :

ولد شموئيل يوسف عجنون في عام ١٨٨٨ في جاليسيا . هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٩ واستقر بها إلى أن توفي عام ١٩٧٠ ، فيما عدا الفترة من ١٩٢١ — ١٩٢٣ التي قضاها في ألمانيا . نشر قصته الأولى عام ١٩٠٨ بعنوان « عجوت » (نساء

مهجورات) ووقع عليها للمرة الأولى باسم عجنون الذى أصبح أسمه الرسمى بعد ذلك بخمسة عشر عاما . عمل عجنون فى الفترة الأولى من إقامته فى فلسطين سكرتيراً لمحكمة الصلح العبرية الأولى ، التى إقيمت فى ذلك الحين كمؤسسة مستقلة . وعجنون يفتخر كثيراً بهذه الفترة لأنها كانت أساساً لكثير من قصصه . وقد حكى الكثير عن تلك الأيام . حينما كان يجلس فى المحكمة وينظر إلى المتخاصمين والقضاة ويسجل كل ما يدور على الورق . وفى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى تعرف على جماعات العمال التى كان على رأسها الأديب اليهودى يوسف حييم برينر . وإذا كان عجنون لم ينضم لأى حزب ، إلا أنه فى موضوعات الأدبية يبدو قريباً من معكسر العمال بالذات . وكان برينر أول من قرأ روايته « وأصبح المعوج مستقيماً » التى نالت نجاحاً عظيماً . وخلال زيارته لألمانيا تفرغ مع مارتن بوبر من أجل جمع قصص « الحسيديم » ، واشتهر بين يهود ألمانيا حيث تحولت قصصه العبرية إلى نصوص لدراسة العبرية فى الدوائر الصهيونية . حصل فى عام ١٩٣٤ على جائزة بياليك عن روايته (فى أعماق البحر) . وفى عام ١٩٥٠ حصل على نفس الجائزة عن روايته (ضيف جاء للمبيت) . وفى عام ١٩٥٤ نال جائزة إسرائيل للادب . وفى عام ١٩٥٨ منحته الجامعة العبرية الدكتوراه الفخرية ، ثم حصل على جائزة إسرائيل للمرة الثانية فى نفس العام ، كما حصل على لقب (عضو شرف) لجامعة بر — إيلان بمناسبة بلوغه السبعين . وفى عام ١٩٦٦ حصل على جائزة نوبل مناصفة مع الشاعرة اليهودية الألمانية نيللى زاكس .

ومن أهم مؤلفاته :

١ — (بائنة العروس) : وهى رواية ساخرة تزخر بالصور الاجتماعية والتأملات الإنسانية والحكايات الشعبية وتعد من امتع رواياته الكبرى وتقع فى جزءين .

٢ ـــ هؤلاء وهؤلاء : وهى قصص قصيرة وحكايات شعبية وأساطير مستقاه من واقـــع الحياة اليهودية والأساطير اليهودية البولندية التى تتناول مسألة الخلاص المسيحانى .

٣ ـــ على قبضة الباب : قصص حب تتناول فيها الواقعية والرمزية .

٤ ـــ الأمس الأول : أكبر رواياته (٦٠٠ صفحة) وتصف مصاعب الحياة والتأقلم فى فلسطين بداية القرن العشرين .

٥ ـــ قريب ومنظور : وهى قصص مختلفة فى أبوب مختلفة أبواب مختلفة . وأحد هذه الأبواب (كتابات الحكايات) الذى ترجمنا منه قصة الشموع ، وباب آخر هو (فصول من كتاب الدولة) الذى ترجمنا منه القصة الثانية (قشرة برتقال) وهو يحوى تأملات وأوصاف ساخرة للحياة فى إسرائيل (١٩٥١) .

٦ ـــ إلى هنا : مجموعة قصص عن موضوعات مختلفة (١٩٥٢) .

٧ ـــ النار والحطب . قصص وأساطير عن عالم الأمس .

٨ ـــ الأيام الهائلة : مجلد يضم حكايات وصورا فكرية من الأعياد والأيام المقدسة اليهودية فى التقويم اليهودى .

٩ ـــ شيرة :.وهى آخر رواياته ويظهر فيها تأثره بالأدب اليونانى القديم . وهى عن الحياة فى الكيبوتس فى دولة إسرائيل .

وقد حاول دارسو عجنون البحث عن مصدر التأثيرات عليه . وقد رأى الناقد البروفسور باروخ كورتسفيل وهو أحد الباحثين فى أدبه أنه قد تأثر بفرنز كافكا ولكن عجنون أنكر هذا ، وقال أنه لم يقرأ لكافكا إلا كتابا واحدا . وقد

اعترف بأنه تأثر بالأدباء الأوربيين بلزاك وفلوبير وتولستوى وكانوت همسون. ولكنه تأثر قبل كل شيء بأسلوب القصة حيثما حكاها حكماء اليهود وبطريقة محادثة الشيوخ وجمهور الشعب . وقد وجد البروفسور أرنولد باند من جامعة كاليفورنيا تشابها بين أسلوب عجنون الذى يسميه (أسلوب الورعين) وأسلوب إعلان رآه فى معبد فى أحياء القدس . ونظراً لصعوبة أسلوب عجنون وأنفراده ، فإن المترجمين يصادفون صعوبة فى التعامل معه.ويرى البرفسور رابين أنها تقابل اللغة الكلاسيكية للقرن ١٨ ، وتقابل فى التاريخ الإسرائيلى الفترة اللغوية لنهاية عصر التنوير اليهودى (الهسكالاه) . وعموماً فإنه تميز فى كتاباته بأسلوب غريب هو مزيج توصل إليه من المصادر المدراشية والحسيدية والسريانية ثم إضفى على هذا لمسة عصرية . وقد اهتم فى كتاباته بتحليل النفسية اليهودية وأدعى بعد هذه الدراسة للنفسية اليهودية أن كل ما يعيمل فيها ويحركها هو حب أرض إسرائيل (بعد حب الله والتوراة) والشوق العارم لاستردادها . وقد جسد هذه الفكرة فى أعماله ودعا إليها ، وكان من المطالبين بالاحتفاظ بالأرض العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ . ويتفق معظم النقاد على أن أدب عجنون أدب رمزى إلى حد بعيد . وهذا ما يجعل أدبه يبدو للبعض وكأنه أدب مفعم بالإيمان والتقوى الخالصين ، فى حين أنه فى الحقيقة ينطوى على نقد لاذع ، وأن كان مقرونا بالكآبة لا بالتشفى . ويرى البعض الآخر من النقاد أنه يقف بمفرده ممثلا لتيار أدبى دينى يخلد حياة المهاجر اليهودية المتدينة ، المؤمنة ، المستسلمة لمشيئة ربها فيها ، الواثقة بإمكان حدوث العجائب ، وتدخل القوى السماوية فى رفع الضنك ، وانقاذ الصالحين ومكافأتهم فى الحياة الأخرى .

والقصتان اللتان نقدمهما للقارىء العربى اليوم من أدب عجنون هما من كتابة : (قريب ومنظور) . وقصة (شموع) هى قصة رمزية تصف المصاعب النفسية

التى تواكب الانتقال من تقاليد الحياة الموروثة والتى يرمز إليها باليابسة، إلى تيارات الحياة العصرية التى يرمز إليها بالبحر .

أما القصة الثانية (قشرة برتقال) فهى من نفس الكتاب تحت عنوان (كتاب الدولة) ، وفيها يأخذ القاص دور الراوى وينتقد فى سخرية لاذعة بعض ما يجرى فى دولة إسرائيل ، من خلال مواقف طريفة .

٧ — حييم هزاز :

ولد فى أوكرانيا بروسيا عام ١٨٩٨ ، وجاء إلى فلسطين عام ١٩٣١ ، بعد إقامة لعدة سنوات فى برلين وباريس . توفى فى مارس ١٩٧٣ . بدأ حياته الأدبية فى روسيا حيث نشرت له عدة أعمال فى مجلات عبرية كانت فى معظمها تهاجم الثورة الروسية . ومن أهم كتاباته « من هنا وهناك » و «توطين الغابة» (١٩٣٠) . وبعد أن استقر فى فلسطين كتب عدة روايات صورت بدقة حياة يهود اليمن بالرغم من أنه لم يسافر إلى اليمن مطلقا وهى رواية « ياعيش » و « الساكنة فى الحدائق » (١٩٤٤) ، كذلك كتب عدة مسرحيات عن الخلاص مثل « نهاية الأيام » (١٩٥٠) التى تجرى أحداثها فى ألمانيا وتروى مأساة المسيح الدجال « شبتاى بن تسفى » . ومن أعماله التى تتناول فترة الإنتداب البريطانى فى فلسطين (١٩٤٢) « رحى متحطمه » و « أحجار فائرة » (١٩٤٦) و « الموعظة » و « فى طريق تجاه واحد » و «إنسان من إسرائيل» و «رياح مدمرة » وعدداً كبيراً من القصص القصيرة التى تعكس نوعا من التوتر والقلق الناتج عن خوفه من إنهيار القيم اليهودية وضياعها والتى تتميز بالأسلوب الواقعى الصارم والهجاء اللاذع ومحاولة اللعب بمشاعر القارىء لاقناعه بوجاهة وجهة نظره ، وخاصة رواية « نيران مشتعلة » و «درافكين» التى تتحدث عن هجرات شرق أوربا . ومن أشهر أعماله « الموعظة » التى حاول أن يؤكد فيها أن التاريخ تخلقه الشعوب غير اليهودية أكثر مما

يخلقه اليهود ، وحث قادة اليهود على خلق نمط يهودى جديد متخلص من شوائب يهودى الجيتو . وفى عام ١٩٥٨ نشر مجموعة قصص تحت عنوان « حزام الحظ » احتوت على ثلاث قصص : « الأفق المائل » و « عريشة وخاتم » و« نهر متدفق» . وقد ظهرت طبعة لأعمال هزاز عام ١٩٦٨ حيث إعادة صياغة بعض أعماله الأولى وقرر أن من قرأ أعماله الأولى ، دون أن يعيد قراءتها فى طبعاتها الأخيرة ، لن يتعرف عليها (صحيفة معريف ٢٦ ديسمبر ١٩٦٧) .

وتتميز أعمال هزاز بالجغرافية حيث تتناول أعماله مساحة تمتد من شمال روسيا حتى جنوب اليمن ومن المانيا فى الغرب حتى فلسطين فى الشرق ؛ وبالتاريخية حيث تمتد أعماله من عصور (العهد القديم) مرورا بفترة التيه فى سيناء وحتى عصر الهيكل الثانى قبل الخراب ، وتصل إلى عصر الأحلام المسيحانية فى المانيا وفترة الثورة الروسية وبدايات الهجرات إلى فلسطين وحياة المستوطنين وصراعهم مع الحياة ومع الإنتداب البريطانى حتى الحياة الجديدة فى دولة إسرائيل ؛ وبالعادات الإجتماعية حيث تناولها عند الروس واليمنيين فى مناطق أقامتهم الأصلية وفى فلسطين وفى دولة إسرائيل . ويوضح هزاز الفترة الحديثة من التاريخ اليهودى باعتبارها حلقة فى سلسلة طويلة من التاريخ القومى اليهودى ومن مختلف التطورات التاريخية اليهودية . استخدم فى لغته إطاراً عريضا من التعبيرات إمتداداً من لغة العهد القديم والتلمود والقابالاه واللهجات اليهودية فى شرق أوربا واليمن وفلسطين . تم اختياره مواطن شرف مدينة القدس بعد حرب ١٩٦٧ .

٨ — مندلى موخير سفاريم :

الاسم الأدبى لشالوم إبراموفيتس جد الأدب اليهودى الحديث وبصفة خاصة (الأدب اليديش) . ولد عام ١٨٣٥ فى منسك فى روسيا وتوفى عام ١٩١٧ فى

أودبسا . كانت أولى كتاباته كلها بالعبرية وقد اتسمت بالواقعية ثم تحول بعد ذلك للكتابة باليديشية ليخلق علاقة بينه وبين قراؤه . فى السنوات العشرين الأولى من حياته الأدبية اليديشية كانت كتاباته تتميز بالسخرية وبتركيز كل هجومه على حياة حارة اليهود القذرة بما فيها من جهل وخشونة . وقد عبر عن حياة المجتمع اليهودى فى رواياته « الحصان الصغير » ، و « الطفيلى » و « الضريبة » ، و « فيشكه الأعرج » و « بنيامين الثالث » (رواية مغامرات على نسق دون كيشوت لسرفانتس تدور حول مغامر يهودى جبان ومتردد كان يتجول بلا هدف بين حارات اليهود فى روسيا ليخلف وراءه الجهل والقذارة والتخلف) . فى السنوات الأخيرة كانت كتابات مندلى تتميز بالمزيد من العمق ولم يتوقف عن التهكم على الحياة فى (منطقة الاستيطان) اليهودى فى روسيا . ونظراً لأن مندلى كان يحب بنى جلدته فإن تهكمه كان مشوبا بصورة متزايدة من الرقة وبتمكن من اليديشية لا تستطيع اللغة العبرية أن تحذوحذوه . ولم يستطع مندلى أن يوائم بين اليديشية والاحتياجات الأوربية وأن كان قد نجح فى جعل اليديشية لغة قادرة على التعبير الأدبى اليهودى .

٩ — حييم نحمان بياليك :

تعتبر الجوديكا (دائرة المعارف اليهودية) أن بياليك يشكل بداية لمرحلة مستقلة فى تاريخ الأدب العبرى الحديث إذ تقول فى معرض الحديث عن (الأدب العبرى الحديث) تحت عنوان « مرحلة بياليك » : (أن ظهور حييم نحمان بياليك يعتبر علامة رئيسية سواء من حيث الشكل أو المضمون بالنسبة للفترة الأوربية فى الأدب العبرى الحديث) . ولد حييم نحمان بياليك عام ١٨٧٣ فى قرية رادى بمقاطعة فولهينيا الروسية ، وتمثلت فى حياته كل صور الحياة اليهودية التقليدية التى سادت الجيتو اليهودى الواسع فى روسيا . مرت طفولته بنفس الأطوار التى يمر

بها طفل الجيتو فتلقى مبادىء التعليم على أيدى معلمين قساة وأغبياء لقنوه الأبجدية العبرية والأجزاء الأولى من التوراه (الحيدر وهو مايقابل الكتاب عند المسلمين). وبعد ذلك واصل تلقى علوم الدين فى المراحل المختلفة من التعليم اليهودى الدينى : (بيت همدراش) ثم « اليشيفا » (المعهد الدينى العالى) . وعندما هبت رياح الهسكالاه على المجتمع اليهودى فى روسيا ثار الشك فى نفس بياليك تجـــاه صحة عدد من المعتقدات والتقاليد الدينية اليهودية . وفى عام ١٨٩١ إتجه إلى أوديسا حيث تعرف على الزعماء الفكريين للاحياء القومى العبرى وتقرب كثيراً من المفكر الصهيونى داعية « الصهيونية الروحية » أحاد ها عام ، ثم إنضم إلى منظمة صهيونية تسمى (إبدية إسرائيل) تمثلت فيها رياح القومية اليهودية فى ذلك الوقت . وخلال إقامته فى أوديسا كتب قصيدته (موتى الصحراء) التى ثار فيها على الشتات اليهودى . ثم كتب فى عام ١٩٠٣ قصيدته (فى مدينة القتل) التى أثارت ضجة فى الأوساط اليهودية وحفزت الشباب اليهودى لتنظيم حركة الدفاع عن النفس . وقد امتزجت فى أشعار بياليك النغمة الشخصية بالنغمة القومية واعتبر بمثابة أمير الشعراء العبريين فى العصر الحديث واشتهر باعتباره (شاعر القومية اليهودية) . عبر فى قصيدته « سفر النيران » عما أسماه بالمشكلة اليهودية الروحية من خلال خلفية الثورة الروسية عام ١٩٠٥ . وما زالت القضايا التى طرحها فى العديد من أشعاره مطروحة حتى الآن فى مجال الفكر والحياة اليهودية . أحب الماضى اليهودى حبا رومانسيا وسعى للحفاظ على التراث العبرى الكلاسيكى لـكى يضعه فى خدمة الاحياء القومى الصهيونى وجمع أشعار الشاعرين العبرانيين ابن جبيرول وموس بن عزرا من شعراء العصور الوسطى ، ثم قام بجمع شتات (الهاجاداه) (التراث الأسطورى اليهودى المعبر عن روح التلمود) . لا تخلو أشعاره بشكل عام من روح العنصرية اليهودية والاحتقار لسائر الشعوب غير اليهودية (الجوييم) . هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وساهم فى تأسيس الجامعة العبرية . وتوفى سنة ١٩٣٤ ودفن فى تل أبيب .

---

١٠ — شاؤول تشرنحوفسكى :

ولد عام ١٨٧٥ فى قرية ميخائيلوفكا بروسيا . تربى تربية علمانية فى أسرة متيسرة متأثرة بأفكار الهسكالاه ومحبة صهيون . درس العبرية والعهد القديم ، فى طفولته ثم التحق بمدرسة روسية فى سن العاشرة . عاش فى جو بعيد تمام البعد عن جو الجيتو الخانق وفى صحبة مع الطبيعة والحياة أثرت على نغمته الشاعرية فيما بعد . تنقسم حياته الأدبية إلى خمس فترات أساسية :

١ — فترة أوديسا (١٨٩٠ — ١٨٩٩) : درس تشرنحوفسكى التجارة فى أوديسا فى سن الرابعة عشر ثم أستعد الالتحاق بالجامعة ودرس اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية واليونانية واللاتينية . تأثر فى تلك الفترة بأعمال بوشكين وليمونتوف وجوته وهاينه وشكسبير وبايرون وبالكلاسيكيات اليونانية . وخلال هذه الفترة أيضاً أتصل بالدوائر الصهيونية وأبدى أهتماماً بالأدب العبرى الحديث وبصفة خاصـــة شعر ميخا يهودا ليفنسون ويهودا ليف جوردون وحييم نحمان بياليك وقصص مندلى موخير سفاريم وكتب أولى قصائده التى نشرها فى ديوانه الأول « رؤى والحان » (١٨٩٨) والتى أتضح فيها تأثره بأدب الشعوب المختلفة . كذلك تتضح فى هذه الأشعار إتجاهاته الإيديولوجية المتأثرة بمبادىء حركة الهسكالاه من ناحية وبدوائر الأدب العبرى الصهيونى من ناحية أخرى . وتتضح فى هذه الأشعار الدعوة للثورة ضد قدر اليهود فيما يسمى « بالمنفى » وقد ظهر تأثره بالفكر الاشتراكى فى قصائد « أنا أعتقد » (آنى مأمين) و« من رؤى النبى » (ميحزيونوت ها نابى) .

٢ — فترة هايدلبرج — لوزان (١٨٩٩ - ١٩٠٦) حيث فشل فى الالتحاق بالجامعة الروسية فدرس الطب فى هايدلبرج وأكمل دراساته الطبية فى لوزان فى عام ١٩٠٥ . وخلال هذه الفترة كان تشرنحوفسكى خاضعاً لتأثير جوته ونيتشة . وقد

جمع كتاباته خلال هذه الفترة فى مجلدين : « رؤى والحان » الجزء الثانى (١٩٠٠) ، والجزء الأول من « أشعار » (١٩١٠) .

وتتضح فى أشعار هذه الفترة القدرة والتمكن سواء من حيث الشكل أو المضمون وبصفة خاصة فى قصائده : (بين المضايق) و (عامون وتامار) و (باروخ المغتسى) و (الختان) و (مثل يوم حار) التى يصف فيها العادات اليهودية حسبما عاشها فى طفولته . وهناك عدد من القصائد يظهر فيها تأثره بنيتشه وتحوى نقداً للثقافة اليهودية فى الدياسبورا والدين اليهودى الذى يتناقض مع المثالية الهللينية التى تمجد الجمال مثل : (أمام تمثال أبولو) و (من رؤى النبى الكاذب) و (أمام البحر) . وتبرز كذلك فى هذه الفترة إتجاهاته نحو أشعار الطبيعة والحب : (أساطير الربيع) و (من بين السحب) . وأشعار هذه الفترة يظهر فيها الميل نحو الواقعية أكثر من أشعار المرحلة الأولى التى كانت النغمة الرومانسية أكثر وضوحاً فيها .

٣ — الفترة الروسية (١٩٠٦ — ١٩٢٢) ، حيث تركت تجربته الشخصية والإتجاهات التاريخية المعاصره له أثراً عميقاً على شعره من حيث الشكل والمضمون . لقد عاد من لوزان إلى روسيا ولم يوفق فى العثور على عمل لعدم حصوله على درجته العلمية فى الطب من الجامعة الروسية . وتنقل من عمل إلى آخر وعمل فى سانت بطرسبرج (لينجراد حالياً) إلى أن أعتمدوا شهادته . ومع نشوب الحرب العالمية الأولى عمل طبيباً فى الجيش الروسى ، وبعد نشوب الثورة البلشفية أستقرت أوضاعه المادية وأستقر فى أوديسا عام ١٩١٩ . وخلال هذه الفترة تنوع نشاطه الأدبى فكتب القصائد والقصص والمقالات وترجم عدداً من الأعمال من اليونانية إلى العبرية . وقد جمعت أشعاره فى تلك الفترة فى ديوانه (أشعار) (الجزء الثانى)

وفى (أشعار جديدة) (١٩٢٣) . وفى هذه الفترة كتب تشرنحوفسكى أشعار الطبيعة وعبر عن تجربته خلال الخدمة فى الجيش الروسى خلال القصص التى كتبها والسونانات (إلى الشمس) (١٩١٩) و (عن الدم) (١٩٢٣) .

٤ — فترة برلين (١٩٢٢ — ١٩٣١) . بعد فترة إقامة فى أستانبول حيث حاول العمل كطبيب فى فلسطين ، ذهب تشرنحوفسكى إلى برلين . ثم زار فلسطين عام ١٩٢٥ حيث وضع الأساس لجمعية الصليب الأحمر اليهودية (درع داود) . وفى عام ١٩٢٨ زار الولايات المتحدة الأمريكية . وفى برلين كان يعتمد على إنتاجه الأدبى وحرر القسم الطبى والعلمى (أشكول أنسيكلوبيديا) فى مجلة « هاتكوفا » (العصر) . وخلال هذه الفترة كتب عدداً من القصص والمقالات التى جمعت فى كتاب « قصص » (١٩٢٢) . كذلك قام بترجمة بعض أعمال جوته وموليير وشكسبير والملحمة البابلية جلجاميش والأسطورة الفنلندية (الكاليفالا) وأوديب لسوفوكليس والياذه هوميروس إلى العبرية . كذلك كتب أشعارا للاطفال جمعها فى ديوانه (١٩٢٣) ودراسة عن عمانوئيل الرومى (١٩٢٥) ومسرحية بعنوان (بركوخبا) ، وهى الأعمال التى جمعت فى عشر أجزاء لأعماله الكاملة (١٩٢٨ / ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ / ١٩٣٤) . وقد كتب فى هذه الفترة العديد من الأشعار القومية التى تميزت بالثورة والتمرد على الروح اليهودية الخانعة وعلى الثقافة اليهودية ومن أهمها : (يقولون هناك أرض) ، و (صدقتم أيها البناة الشبان) و (على جبال جلبوع) .

٥ — فترة فلسطين (١٩٣١ — ١٩٤٣) : قام تشرنحوفسكى عام ١٩٣١ بتحرير كتاب المصطلحات الطبية والطبيعية (باللاتينية والإنجليزية والعبرية . وفى عام ١٩٣٦ أستقر فى القدس حتى موته فى أغسطس ١٩٤٣ . وخلال هذه الفترة نجد إن أشعاره مشبعة بالروح الروحية : مجموعة (أصدقاء الارض) (١٩٤٠) والجزء

الأخيرة من أشعاره نجوم السماء البعيدة (١٩٤٤) التى يدعو فيها للنضال من إقامة الاستيطان اليهودى . لقد أدخل تشرنحوفسكى إلى الأدب العبرى الحديث روحاً جديدة هى الروح اليونانية الداعية لتجميد القوة والجمال التى كانت سائدة فى الشعر العبرى الحديث المتأثر بروح الجيتو اليهودى المنغلق وبالثقافة اليهودية المتحجرة

(١١) زلمان شنءار :

شاعر وروائى عبرى ويديشى يعتبر مع بياليك وتشرنحوفسكى من أعمدة جيل الرواد فى الأدب العبرى الحديث . ولد فى بروسيا عام ١٨٨٧ . أستقر فى أوديسا المركز الثقافى اليهودى فى ذلك الحين وهو فى الثالثة عشر من عمره وتقرب من بياليك . ذهب إلى وارسو عام ١٩٠٢ وعمل فى دار نشر (توشيا) ونشر أولى أشعاره فى مجلة للاطفال « عولام كاتان » (عالم صغير) ، كما نشر بعض المقالات فى مجلة (هشيلواح) والمجلة الأسبوعية « هادور » (الجيل) ، ونشر أولى أشعاره باليديش فى وارسوا عام ١٩٠٢ وفى عام ١٩٠٤ إتجه إلى فيينا حيث عمل فى تحرير جريدة (الزمن) ، وهنـــاك نشر ديوانه الأول « مع غروب الشمس » (جزئين — عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧) . وقد لاقت روايته الأولى (الموت) نجاحاً كبيراً فى عام ١٩٠٧ ذهب إلى باريس حيث واصل أعماله الأدبية ودرس الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية فى السوربون ، وقام بجـولة فى أوروبا خلال الاعوام ١٩٠٨ — ١٩١٣ وقام بزيارة شمال أفريقيا وخلال هذه الفترة كتب مجموعة من أشعاره « مع رنين الماندولين » (١٩١٢) وأهداها إلى محبوبته الإيطالية ولم ينس الشاعر أن أجدادها هم الذين دمروا الهيكل وتسببوا فى الشتات اليهودى ، وهو ما جعل القصائد عبارة عن حوار بين اليهودى والشعوب الأخرى

(الجوبيم) ، كما كتب قصيدة « عودة العصور الوسطى » التى يندد فيها باللاسامية ومع بداية الحرب العالمية الأولى ذهب إلى ألمانيا حيث درس الطب فى جامعة برلين وعمل طبيباً بمستشفى وفى عام ١٩٠٩ زار الولايات المتحدة امريكية وعمل إتصالات مع دور النشر والصحف اليديشية هناك . وفى ألمانيا أسس شنعار دار النشر «هسيفر» (الكتاب) التى نشرت أعمال دافيد فريشمان وشنعار (جسور — عام ١٩٢٢ وفيلنا — عام ١٩٢٣) . وبسبب الإنشغال فى أعمال النشر لم يواصل دراساته الطبية . وفى عام ١٩٢٣ . ذهب ليستقر فى باريس ، وفى عام ١٩٤٠ ذهب إلى الولايات المتحدة حيث عاش فى نيويورك حتى عام ١٩٥١ حيث ذهب إلى فلسطين ليعش هناك إلى أن توفى عام ١٩٥٩ . وكان شنعار قد زار فلسطين قبل الاستقرار فيها نهائياً خمس مرات وقد عبر عن تجربة الرواد اليهود فى أشعاره « من أشعار أرض أسرائيل » ، وهناك أيضاً قام أيضاً قام بمسرحة روايته « بندرى البطل » التى مثلتها فرقة (هبيما) كما قام بالكتابة فى الصحف العبرية (نافار) و (هبوكر) ، ونشر ملحمته الكبرى (صاحب الرداء الفروى) وحينما مات فى نيويورك نقل رفاته إلى إسرائيل لكى يدفن مع من سبقوه من الشعراء العبريين حييم نحمان بياليك وشاوؤل تشرنحوفسكى .

١٢ — اسحاق دوف بيركوفيتس :

ولد فى شلوتس بروسيا البيضاء ١٨٨٥ — وتوفى عام ١٩٦٧ . تلقى فى طفولته تعليما دينيا ، وفى سن الرابعة عشر ، أصبح تحت تأثير أفكار الهسكالاه وبدأ فى تلقى تعليما علمانيا . ظهرت قصصه الأولى فى دورية أدبية كان يقوم بإصدارها هو ومجموعة من أصدقائه . وبعد ذلك ذهب إلى لودز وبولندا حيث التقى مع الشاعر

اليهودى اسحاق كاتزنلسون (الذى قتل فى جيتو لودز عام ١٩٤٤) الذى شجعه على مواصلة أنتاجه الأدبى . وفى عام ١٩٠٥ استقر فى فيلنا حيث عمل محرراً للصحيفة العبرية اليوميه « هزمن » (الوقت) ، وخلال هذه الفترة نشر عدداً من القصص فى أشهر الدوريات العبرية فى تلك الفترة واشتهر بأنه الاديب الملحمى . وفى عام ١٩٠٦ تزوج بيركوفيتس من استير ابنة الأديب اليديشى المشهور شالوم عليخم . وبسبب لنشاطاته الأدبية المتنوعة فقد تحرك هو وزوجته إلى أوربا حتى نهاية عام ١٩١٣ . ومع بداية الحرب العالمية الأولى هاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية . وهناك قضى عدة سنوات وعمل محرراً لمجلة « هاتورن » (صارى المركب) . وفى عام ١٩٢٨ اتجه إلى فلسطين حيث نشط هناك فى مجال الكتابة والتحرير والترجمة ، وبصفة خاصة ترجمة أعمال شالوم عليخم إلى العبرية . ويعتبر بيركوفيتس من رواد القصه فى الادب العبرى الحديث ، وأشهر مواطنى الشرف فى اسرائيل .

١٣ — أورى نيسان جنسين :

ولد عام ١٨٧٩ فى روسيا البيضاء . أتم تعليمه التلمودى العالى فى الاكاديمية التلمودية التى كان يرأسها والده ، حيث التقى مع صديق عمره يوسف حييم برينر . وفى عام ١٩٠٠ ذهب إلى وارسو وعمل فى صحيفة « هتسفيرا » (الصفاره) التى نشر فيها أشعاره الأولى . وقد تجول جنسين فى انحاء روسيا وبولندا ومناطق أخرى حيث اطلع على الحياة فى تلك المناطق : وبناء على دعوة من برينر استقر بعدة سنوات فى لندن ثم ذهب لزيارة فلسطين . طبعت مجموعته القصصية الأولى (ظلال الحيـــاة) عام ١٩٠٩ . ومع استمرار جنسين فى عملية الكتابة أكثر ازداد وضوحاً فى كتاباته ايمانه بالقدرية والجبرية المتشائمة . وكان تعبيره عن هذا الإتجاه فريداً سواء من حيث اللغة أو الاسلوب وقد توفى جنسين

عام ١٩١٣ فى سن الرابعة والثلاثين ، وقد اهتم النقاد كثيراً بأعماله سواء فى أسرائيل أو أمريكا .

١٤ جرشون شوفمان :

ولد عام ١٨٨٠ فى أورشا ، بروسيا البيضاء . تلقى فى طفولته تعليما دينيا ودرس فى عدد من (اليشيفوت الصغيرة) ، (المعاهد الدينية العالية) . وفى عام ١٩٠١ اتجه إلى وارسو حيث قام بنشر عدد من قصصه التى استقبلت استقبالا طيبا . وقد خدم فى الجيش الروسى فى هومل لمدة ثلاث سنوات ، حيث تعرف هناك على على أورى نيسان جنسين وعدد آخر من الأدباء العبريين الشبان . وخلال فترة الحرب الروسية اليابانية ، عاش فى جاليسيا ، حيث كتب عدداً من القصص القصيرة وعمل فى التدريس . وقد التقى مع يوسف حييم برينر فى مدينة ليمبرج وأصبح واحداً من أفضل أصدقائه ، وقد ساعده عمل لنشر مجموعته القصصية « زخات المطر » . وفى عام ١٩١٤ نشر فى أوديسا مجموعة . وبعد ذلك أتجه شوفمان إلى فيلنا حيث قام بنشر عدد من قصصه فى بعض الدوريات الأدبية العبرية فى تلك الفترة . وخلال الفترة من ١٩٢٦ — ١٩٢٧ قام بنشر أربعة أجزاء من قصصه وقد عاش شوفمان حوالى ثمان سنوات فى قرية حراتس فى النمسا . وحينما استولى النازيون على النمسا ، سافر شوفمان هو وأسرته إلى فلسطين . وهو مازال على قيد الحياة ويعيش فى مدينة حيفا بإسرائيل .

١٥ — الهجرتين الثانية والثالثة :

يطلق الصهاينة على الهجرة الى فلسطين اسم « عليا » وهى من الفعل العبرى « عالا » أى صعد . وهذا الفعل يستعمل فى المعبد ليعنى الصعود الى « ارتس يسرائيل »

للاستيطان الديني . وقد استخدم الصهاينة هذا اللفظ الديني للدلالة على موجات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين فى العصر الحديث ، واستخدموا لفظ (يريدا) من الفعل العبرى (يرد) بمعنى نزل — هبط » للدلالة على النزوح من فلسطين .

وقد تسببت أحداث عام ١٨٨١ فى روسيا فى حدوث أول موجه هجرة يهودية إلى فلسطين وسميت (عليا ريشونا) وذلك بفضل جهود جمعية (أحباء صهيون) و(البيلو) وبتمويل من البارون روتشيلد . وقد استمرت هذه الموجة الأولى من عام ١٨٨٢ — ١٩٠٣ وجلبت إلى فلسطين حوالى ١٢٠ ألف يهودى . بينما هاجر فى نفس تلك الفترة الى أمريكا حوالى نصف مليون يهودى .

أما الهجرة الثانية أو « عليا شنيا » فقد استغرقت من عام ١٩٠٤ — ١٩١٤ وحملت إلى فلسطين حوالى ٤٠ ألف يهودى معظمهم من الشباب الصهيونى المتحمس الذى يحمل مبادىء وأفكار العمل والاحياء القومى والاشتراكى للجماهير اليهودية . وقد جاء رواد هذه الهجرة بايديولوجية الريادة والصهيونية العمالية التى ترجمت نفسها فى مؤسسات عسكرية زراعية استيطانية مثل « الكيبوتس » و «الحارس» ، وفى السلوك القومى الدينى المتطرف مثل الاصرار على العادات اليهودية والتحدث بالعبرية بالرغم من أنهم كانوا لايعرفونها لأن لغتهم الأم كانت اليديشية ، وفى فكرة اقتحام الأرض والعمل لانهم كانوا يعتبرون فلسطين لا بمثابة ملجأ وحسب وانما قاعدة استراتيجية لإعادة بناء المجد اليهودى ولبعث « الشعب اليهودى » . وفى عداد هؤلاء جاء أفراد الصفوة الحاكمة فى اسرائيل أمثال بنجوريون وليفى أشكول وموشى شاريت واسحاق بن تسفى وغيرهم . وبعد وعد بلفور وقيام الانتداب البريطانى « استوطنت موجات متعاقبة من المهاجرين اليهود فى فلسطين . وقد قامت موجة الهجرة الثالثة (من عام ١٩١٩ — ١٩٢٤) » بتكريس جهودها

لاعداد فلسطين للافواج التالية . وكان ٤٥٪ من هؤلاء المهاجرين من روسيا ، ٣٠٪ من بولندا ، وكانت الغالبية العظمى منهم من الصهيونيين الاشتراكيين المشبعين بهدف الأحياء الاجتماعى لليهود ، والبعث القومى ، وكان من بينهم منشىء الهستدروت الذى قام ١٩٢٠ .

(١٦) يوسف حييم برينر :

ولد عام ١٨٨١ بروسيا وجاء إلى فلسطين عام ١٩٠٨ وانتهت حياته ١٩٢١ على يد الثوار الفيسطينين فى اشتباك وقع بينهم وبين المستوطنين الصهاينة . يعتبر أحد رواد الصهيونية العمالية وتأثر بكتابات تولستوى وديستويفسكى . نشر فى عام ١٩٠١ أول مجموعة قصصية . أصدر فى لندن مجلة عبرية تركت أثر عميقاً على أنصار الهجرة الثانية . وبعد ذهابه إلى فلسطين ساهم فى تأسيس الهستدروت . كتب عدداً من القصص والروايات والمسرحيات بالعبرية وترجم بعض الأعمال الأدبية الروسية والألمانية إلى العبرية . هاجم فى أعماله الادبية الصفات اليهودية التى يتسم بها يهود الدياسبورا ، ولذلك كان من أكبر المنادين بتبنى الدياسبورا وتصفيتها لحساب الاستيطان الصهيونى .

وشخصيات رويات تلقى دائماً نفس المصير ، إذ أنها تبدأ بدايات فاشلة وتقوم بمحاولات لاتكلل بالنجاح وتنتهى بالاحساس بالمرارة تجاه نفسها وتجاه العالم . يعتبر برينر شخصية رئيسية بالنسبة لمدرسة متميزة فى الأدب العبرى الحديث وهى المدرسة المتأثرة بأفكار ميخا يوسف بردتيشفسكى والتى تضم ى . ن . جنسين ، ج . شوفان وغيرهم . استعمل فى أدبه لغة الحديث العبرية وهى لغة كانت صعبة الفهم فى ذلك الوقت وطعمها

بكثير من الكلمات والجمل اليديشية والألمـــانية والروسية كما أبتدع بعض التعبيرات المحلية عن طريق أدخال كلمات من اللغة التى تتعلق بالرواية . كان متأثراً فى مقالاته برجهات نظر أحد هعام فى القومية اليهودية وبصفة خاصة.فيما يتصل بما يسمى (المنفى اليهودى) وقد كتب بيرنز كناقد مقالات عن كبار أدباء العبرية الحديثة أمثل بيرتس سمولينكسين (١٩١٠) ، ويهودا ليف جوردون (١٩١٣) وميخا يوسف بريتشفيسكى (١٩١٣) ومندولى موخـــير سفاريم (١٩١٤) وحييم نحمان ياليك (١٩١٦) وشاؤول تشرنحوفسكى (١٩١٢ — ١٩١٣) واسحاق ليف بيرتس (١٩١٥) وجنسين (١٩١٣) وشالوم عليخم (١٩١٦) وغيرهم . وكذلك فقد نشر نقداً الادب العبرى عامة بعنوان :

صورة المهاجرين فى الأدب(١٩١٣—١٩١٩) ، كما كتب عن الأدباء العبريين والاوروبيين المعاصرين .

(١٧) أورى تسفى جرينبرج :

شاعر اسرائيلى — ولد عام ١٨٩٤ فى بياليكافين شرق جاليسيا ومازال على قيد الحياة . من أشهر قصائده قصيدة (مانفيستو) التى تعبر عن خراب العالم بقيمه . هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٤ ، وكان من بين المقربين إلى « كتيبة العمل » فى نهاية العشرينات حيث تحول فى وجهة نظره الايديولوجية ، واعرب عن خيبة أمله فى هدوء الزعامة الصهيونية والبشوفيه ، وتقرب من الحركة الأصلاحية بزعامة زئيف جابوتنسكى . كان عضو الكنيست الاول عن حزب حيروت الارهابى . مشهور بأنه فاشيستى وهو الزعماء البارزين لحركة (أرض اسرائيل الكاملة) التى تعارض الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة بعد عام١٩٦٧ ، وتعتبرها (أرض محررة) وتطالب كذلك بمزيد من الاحتلال حتى استكمال (حـدود أرض أسرائيل)

بحدودها التاريخية المزعومة . مزج شعره القومى بتاريخه الشخصى . على عكس معظم الأدباء العبريين ذوى النزعة العلمانية الإنسانية الصهيونية ، نزع جرينبرج إلى اتجاه صوفى دينى صهيونى يؤمن بالمسيحانية وبحتمية عودة المسيح لتحقيق الخلاص . من أشهر قصائده : «رعب عظيم وقمر» (١٩٢٥) و « البطولة الصاعدة » (١٩٢٦) « نبوءة أحد الفيالق » (١٩٢٨) و « نحو ٩٩ » (١٩٢٨) « كلب منزلى » (١٩١٩) ، « كتاب الجدل والايمان » (١٩٣٧) و « جدول البلاد » (١٩٤٩) ، « من الكتاب المستدير » (١٩٥٠) و « شوارع النهر » (١٩٦١) .

(١٨) أفراهام شلونسكى :

شاعر ومترجم . ولد فى ١٩٠٠/٣/٦ فى روسيا لاسرة حسيدية هاجر إلى فلسطين عام ١٩١٢ . بدأ النشر فى مجلة (هشيلوح) العبرية عام ١٩١٩ . وعاد إلى فلسطين مرة أخرى بعد جولة فى الخارج عام ١٩٢١ وعمل عامل طرق وعامل بناء . انضم وترأس تيارات شابة فى الادب العبرى المعاصر تركزت حول المجلات الادبية : « كتوفيم » ، (كتابات) و « طوريم » (سطور) . كان مشرفا على تحرير الملحق الثقافى الادبى لصحيفة (ها آرتس) خلال السنوات (١٩٢٨ — ١٩٤٢) . من مؤسسى مجموعة الشعراء الشبان « يحداف » ، (سويا) عام ١٩٤٢ . مؤسس ورئيس تحرير دار نشر (هشومير هتسعير) و « سفريت هبوعليم » (المكتبة العمالية) ورئيس تحرير مجلة « عتيم » ، « الازمنه » الملحق الادبى لصحيفة « على همشمار » ، (الصحيفة الصهيونية اليسارية) . ورئيس تحرير المجلة الأدبية « أورلجين » . نشر الكثير من المجموعات الشعرية التى تتميز بالحدة والطابع الثورى العنيف وترجم الكثير من إنتاج جوركى ودنكان وهوجو والسكى وتروتسكى وبرخت وجوجول وشولوخوف وبوشكين وشكسبير وغيرهم . نال

العديد من الجوائز الادبية. توفى عام ١٩٧٣ ، تأثر به كثيرين من الأدباء الاسرائيليين الشبان الذين حاولوا خلق لغة شعرية جديدة محل لغة الجيل السابق .

(١٩) دافيد شمعونى :

ولد عام ١٨٦٦ فى روسيا . هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٩ حيث عمل حارسا وعاملا زراعيا فى مستعمرة رحوبوت وبتاح تكفا . غادر فلسطين لغرض الدراسة فى ألمانيا ثم عاد مرة أخرى الى فلسطين عام ١٩٢٠ . أقام فى البداية فى رحوبوت ثم انتقل بعد ثلاث سنوات الى تل أبيب حيث عمل مدرسا فى المدرسة الثانوية (هرتسليا) . من مؤلفاته : (حلم ليلة شتاء) و (الهابطة فى غابة الخضرة) ، (حرب يهودا والجليل) (وقصة الذئه فى حينه) (وليلة فى كرمه) ، وصدرت مجموعة أشعاره الاولى عام ١٩٤٤ بعنوان (العاصفة والسكون) والثانية بعنوان (هم يصنعون) . كانت أشعاره فى المرحلة الأولى ذات طابع عاطفى ذاتى تعبر عن الحزن بسبب الاحساس اليهودى العام بعدم الانتماء . كما تصف هذه الاشعار بحماس حياة الرواد الاول . ولكنه كتب أشعارا هجائية بعضها موجه ضد الانتداب البريطانى والبعض الآخر موجه ضد العرب وقد ظهر اسلوبه الجديد بصورة واضحة فى قصيدته (دروب وكر الوحوش) . ومن أشهر اعماله الملحمة التى تحمل عنوان (النصب التذكارى) التى تشتمل على عدد من النصص المتوالية يبدأها بقصته الشخصية . وهى وان كانت تتناول مثل قصيدة (ماساد) لاسحاق لمدان رواد الهجرتين الثانية والثالثة ، إلا انها تختلف عنها من حيث الشكل والاسلوب والطابع والمضمون .

٢٠ — سميلانسكى يزهار :

ولد عام ١٩٦١ وينتمى إلى الجيل الأول من الأدباء الإسرائليين الذين ولدوا

فى فلسطين . ولد فى مستعمرة رحوبوت لعائلة من الأدباء . درس فى قرية بيت شيمش للشباب وفى مدرسة رحوبوت الثانوية واشترك فى حرب عام ١٩٤٨ ، وكان عضوا فى الكنسيت عن حزب رافى المنشق عن المباى وذلك حتى يونيو ١٩٦٧ حيث استقال من الكنسيت . يعتبر يزهار أول أديب يولد فى فلسطين ويعبر فى إنتاجه الأدبى عن تجربة الإنسان اليهودى فى صراعة مع البيئة الفلسطينية. وينعكس هذا الإتجاه فى أول قصصه « أفرايم يعود من أسفسات » (١٩٣٨) . يتضح فى كتاباته تأثره بأورى نيسان جنسين وأعمال يوسف حييم برنر الأخيرة . أثر يزهار على جيل كامل من الأدباء الإسرائيليين بجملة الشاعرية وبأسلوب المونولوج الداخلى الذى يميز قصصه الأولى والذى تحول إلى مزج ما بين المونولوج والديالوج بعد ذلك فى روايته (أيام زيكلاج) (١٩٥٨). وشخصيات يزهار أساساً شبان من مواليد فلسطين يعانون من حالة ديناميكية نتيجة صراعهم مع قيمهم الروحية ، حيث يواجهون معضلة الصراع بين الإنسياق ضمن الجماعة لتحقيق الهدف القومى وبين أحساسيهم بمجافاة وسائل تحقيق هذا الهدف القومى للمثل الإنسانية التى تربوا عليها فى حركات الشباب الإشتراكية . ويبرز هذا الصراع بشكل واضح فى قصتيه : (الأسير) (١٩٤٩) و (خربة خزاعة) (١٩٤٩) وهى القصص التى كتبت فى أعقاب حرب ١٩٤٨ ، ويعبر خلالهما عن تجربة جندى إسرائيلى لا يستطيع الثورة ضد الأوامر العسكرية التى ترغمه على إرتكاب أعمال منافية للانسانية وللقيم الأخلاقية تتمثل فى قتل البشر العزل من السلاح وطرد الفلسطينيين من أراضيهم وتحويلهم إلى لاجئين واغتصاب التراث الفلسطينى بكل ما يمثله عبر التاريخ . وكان يزهار هو أول أديب إسرائيلى يصور الوجه الآخر لحرب ١٩٤٨ بما خلفته من صراعات إجتماعية ونفسية حادة فى نفوس الشباب اليهودى الذى خاض غمار هذه الحرب . ورواية (أيام زيكلاج) تصور كرواية حرب قطاعا

عريضا من المشاكل الاخلاقية التى عمت شخصيات يزهار خلال محاولة احتلال تبة زيكلاح أثناء حرب ١٩٤٨ . وفيما عدا هذا الانتاج الادبى كتب يزهار العديد من المقالات السياسية . ومن أعماله الادبية أيضا ، القصص : « فى دروب النقب » (١٩٤٥) و « الدغل الذى فوق التل » (١٩٤٧) ، « ستة قصص صيفية » (١٩٥٠) - وجزئين من قصص الشباب ، ورواية « بأقدام حافية » (١٩٥٩) .

٢١ — حانوخ برطوف :

ولد فى بتاح تكفا عام ١٩٢٦ ، وخدم فى الفليق اليهودى خلال الحرب العالمية الثانية وفى حرب ١٩٤٨ . عضو كيبوتس (عين حوريش) . وكان يعمل محررا فى صحيفة (لامرحاف) . عمل ملحقا ثقافيا فى السفارة الاسرائيلية فى لندن خلال الاعوام ١٨٦٦ — ١٩٦٨ . فى روايته (الحساب والنفس) ١٩٥٣ ناقش القيم الايديولوجية لدى الشباب الأسرائيـــلى حينما تحولت إلى أمر غير محتمل بعد حرب ١٩٤٨ . تناول مشاكل الهجرة فى روايته « لكل واحد ستة أجنحة » (١٩٥٤) . وقد سجل رحلته إلى أمريكا فى كتاب من « أدب الرحلات » بعنوان : « أربعة اسرائيليين وكل أمريكا » ١٩٦١ . وفى روايته « جراح البلوغ » ١٩٦٨ عبر عن تجربة الفليق اليهودى خلال الحرب العالمية الثانية والصراع بين الإنتماء اليهودى والرغبة فى الريادة . ومن أعماله أيضا « السوق الصغير » ١٩٥٧ ، « أذهب إلى المنزل يايوناتان » ١٩٦٢ و « لمن انت ايها الطفل » ١٩٧٠ . وقد نشرت قصته القصيرة « الغريب وأنا » ضمن مجموعة قصص عبرية قصيرة عام ١٩٦٥ .

٢٢ — ناتان شـــاحام :

ولد عام ١٩٢٥ . ابن اليعيزر شتاين . ولد فى تل أبيب . خدم فى البالماخ

(سرايا الصاعقة) وفى الجبهة الجنوبية أثناء حرب ١٩٤٨ ثم أصبح عضوا فى كيبوتس (بيت ألفا) . كتب العديد من الروايات والمسرحيات وقصص الاطفال من أشهر كتبه : « داجان وعوفيرت » ١٩٤٨ « دائما نحن » ١٩٥٢ « حجر على على فوهة البئر » ١٩٥٦ و « حكمة المسكين » ١٩٦٠ و «ريح الاجيال» ١٩٦٢ « ضمير الجمع » ١٩٦٨ . ومن مسرحياته : « سيصلون غدا » ١٩٤٩ و « يوحانان برحا » ١٩٥٢ . وكتابه « لقاءات فى موسكو » يصف انطباعات عن زيارته لموسكو .

٢٣ ــ اهارون دافيد جوردون :

أديب عبرى وزعيم روحى لحركة الريادة أو الطليعة العبرية فى حركة العمال الصهيونية . ولد عام ١٨٥٦ فى توريانوف بروسيا . فى مطلع حياته لم يطلع على الادب العبرى الحديث فى عصره لانه كان مشبعا بروح التقاليد الدينية . عمل فى بداية حياته مستأجرا فى مزرعة ثم فقد هذاالعمل عام ١٩٠٣ حينما أنتقلت المزرعة لمالك جديدة . ولذلك قرر الهجرة الى فلسطين وذهب الى هناك عام ١٩٠٤ — وفى فلسطين اشتغل عاملافى المستعمرات الصهيونية«بتاح تكفا» «وريشون لتسيون» وبعد عام ١٩١٢ فى العديد من القرى فى الجليل وعانى من كل ما تعرض له أوائل المستوطنين اليهود فى فلسطين : الملاديا والبطالة والجوع وعدم الامان . واعتبارا من عام ١٩٠٩ بدأ فى كتابة المقالات التى كان ينشرها فى جريدة «هبوعيل هتسعير» (العامل الفتى) مبديا وجهة نظره فى العمل والصهيونية والمستقبل اليهودى وصاغ من خلال ذلك نظريته المعروفة باسم (دين العمل) وان كان هو نفسه لم يستعمل هذا الاصطلاح . وقد قضى أيامه الأخيرة فى مستعمرة (داجانيا) حيث مات هناك فى عام ١٩٢٢ . وبالرغم من ان جوردون قد اشترك فى المؤتمر الصهيونى

الحادى عشر عام ١٩١٣ وفى مؤتمر هابوعيل هتسعير فى براغ عام ١٩٢٠ ، فإنه لم يعمل فى الشئون السياسية . وكان يعتقدا ان حل المشكلة اليهودية يأتى فقط عن طريق الجهود التى يقوم الفرد من أجل تغيير نفسه . ولذلك فقد كان معارضا لوعد بلفور ولاشتراك الفيلق اليهودى فى الحرب العالمية الأولى . كما عارض (عمال صهيون) و (احدوث هاعفودا) لانهم كانوا على علاقة بالاشتراكية الدولية معتقدا ان العمال اليهود فى فلسطين يجب ان يعثروا على طريقهم من خلال الواقع ليخلقوا مجتمعا منتجا عماليا . وبالرغم من أنه لم يتبوأ مركزا رسميا فإنه ترك تأثيرا كبيرا على حركة العمال اليهودية من خلال كتاباته والقدوة التى قدمها بنفسه . وقد ظهرت كتابات جوردون تحت عنوان (كتابات) فى ثلاثة أجزاء (١٩٥١ — ١٩٥٤) متضمنة بيبلوجرافى عنه ، كما نشرت مختارات من كتاباته بالانجليزية عام ١٩٣٧ .

٢٤ — <u>ليئة جولدبرج :</u>

ولدت عام ١٩١١ فى كوينسبرج شرق بروسيا ، وقضت طفولتها فى روسيا ، وبعد الثورة الروسية عادت أسرتها إلى مقرها فى كوفنو بلتوانيا . بدأت كتابة الشعر وهى طالبة وذلك عام ١٩٢٦ .

درست بجامعات كوفنو وبرلين وبون . وصلت إلى تل أبيب عام ١٩٣٥ وانضمت إلى دائرة الأدباء المحدثين التى يتزعمها أفراهام شلونسكى وبدأت فى نشر أشعارها فى مجلة « طوريم » . المجلة الناطقة باسم الجماعة ، وقد طبعت أول ديوان لها بعنوان « حلقات الدخان » عام ١٩٣٥ . عملت كمحررة أدبية فى الصحف العبرية : « على همشمر » و « دافار ليلا ديم » (دافار الاطفال) .

فى عام ١٩٥٢ دعيت لتنظيم قسم الأدب المقارن فى الجامعة العبرية فى القدس

وظلت رئيسة له حتى توفيت عام ١٩٧٠ . وليئة شاعرة أولا ثم أديبة وأديبة أطفال ومترجمة ومؤلفة روايات ومسرحيات .

وبالنسبة للشعر كتبت بأسلوب حديث يتفق مع الشعراء الشبان العبريين خلال فترة الانتداب البريطانى ، واستعملت اللغة الرمزية فى بساطة واضحة . ومن أشهر قصائدها : « من بيتى القديم » ١٩٤٤ « وأشعار النهر » ١٩٤٨ التى استخدمت فيها رموز الطبيعة مثل مثل النهر والأحجار والأشجار والقمر لتخدم الغرض الشعرى من القصيدة و « فى جبال القدس ١٩٥٦» و « حب تريزه ديمون » وهى مجموعة ستوناتات ترجع إلى القرن ١٧ . وكانت ليئة من أشهر كتاب أدب الأطفال فى إسرائيل وكتبت حوالى ٢٠ عملا للاطفال ، وهناك « جيل كامل من الأطفال فى إسرائيل ترى على إنتاجها الأدبى . وفى مجال النقد كتبت العديد من المقالات والكتب التى يغلب عليها التأثر بالأدب الروسى ومن أهم ما كتبته فى مجال النقد : وحدة الإنسان والوجود فى إنتاج تولستوى (١٩٥٩) ، « الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر » (١٩٦٨) وهى مجموعة مقالات عن بوشكين ومتتوف وجوجول وتورجنيف وهيرزن وتشيكوف . كما كتبت كذلك عن الأدب الإيطالى : « مدخل عن الكوميديا الآلهية » (١٩٥٨) و « خمسة فصول عن أصول الشعر » (١٩٥٧) وهو دراسة لمشاكل الشعر من حيث نظرية الشعر والأوزان والموسيقى والرمز و « فن القصيرة » (١٩٦٣) .

وفى مجال النثر كتبت : « رسائل من رحلة وهمية » ١٩٢٧ و « أنه الضياء » (١٩٤٦) وهى أعمال أوتوبيوجرافية . ثم كتبت بعد ذلك « سيدة القصر » (١٩٥٦) التى تقع أحداثها فى أوروبا ما بعد الحرب .

وفى مجال الترجمة قامت ليئة جولدبرج بترجمة « الحرب والسلام » لتولستوى

١٩٥٨ ، «قصص تشيكوف» ١٩٤٥ و «طفولة جوركى» ١٩٤٣ ، وبعض أشعار ومسرحيات شكسبير ، ومختارات من أشعار بتراخ ١٩٥٧ ومسرحية لابسن ١٩٥٨ ، ونشرت بالإشتراك مع أفراهام شلونسكى مختارات من الشعر الروسى (١٩٤٢) .

٢٥ — ناتان ألترمان :

ولد عام ١٩٢٥ . وبدأ فى نشر أولى أشعاره عام ١٩٣١ . وقد اشتهر الترمان كشاعر على مستويين . باعتباره مؤلف المنظومات الشعبية التى تعكس المشاعر الساخرة لأبناء اليشوف اليهودى تجاه القضايا السياسية وخاصة فى فترة الصراع ضد السياسة البريطانية وأيضاً كشاعر حيث أصبح من قادة الحركة الأدبية فى إسرائيل. وقد بدأ طريقة كشاعر معبر عن الصراع القومى فى عام ١٩٣٤ حينما أصبح المحرر الخاص للتعليقات السياسية فى صحيفة (هاارتس) . وفى عام ١٩٤٣ أنتقل إلى جريدة (دافار) حيث بدأ فى كتابة (العمود السابع) الذى كان يصف فيه الصراع ضد البريطانيين ودور الهاجاناه والبالماخ والهجرة اليهودية .

وقد أصبحت كتابات الترمان فى (العمود السابع) جزءا من التاريخ الاسرائيلى الحديث . وبعد عام ١٩٤٧ أصبحت النغمة الاجتماعية والسياسية هى السائدة فى منظوماته . وبعد حرب ١٩٦٧ ، تبنى وجهة النظر الداعية إلى عدم تجزئة أرض اسرائيل وعبر عن ذلك فى أشعاره وفى كتاباته . ويعتبر الترمان من جماعة أفراهام شلونسكى فى الشعر العبرى الحديث وقد تأثر بكل من الرمزيين الفرنسيين والروسى . وتمتاز لغته بأنها مستقاه من لغة الحديث العبرية . من أشهر قصائدة (بهجة الفقير) ١٩٤١ و (أشعار ضربات مصر) ١٩٤٤ ذات

النغمة التاريخية . و (مدينة الحماقة) ١٩٥٧ . ومن مسرحياته . (طبرية طبرية) ١٩٦٢ و (فندق الرياح) ١٩٦٣ وهي دراما تتناول الصراع بين الحياة والموت و (قضية بيتاجوراس) ١٩٦٥ و (استير الملكة) ١٩٦٦ . وقد ترجم الترمان مسرحيات موليير فى ثلاث أجزاء ١٩٦٧ وكذلك بعض مسرحيات شكسبير . وقد ظهرت أعماله الكاملة فى أربعة أجزاء بعنوان (كل أشعار الترمان) ١٩٦١ — ١٩٦٢ كما ظهرت أشعاره ومقالاته التى نشرت بعنوان (العمود السابع) فى ثلاثة أجزاء (١٩٧٢ — ١٩٧٣) .

٣١ — السابرا :

كلمة مشتقة من الكلمة العبرية (تسبار) أى التين الشوكي وقد أخذت هذه الكلمة مدلولا اجتماعياً فى المجتمع الاسرائيلي يعنى ذلك الجيل من اليهود الذى ولد أو تربى فى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل أو فى إسرائيل بعد قيامها . وقد إرتبط إستخدام هذا التعبير بهذا المدلول الاجتماعى ، بواقعة المباريات التى كانت تجرى فى مدرسة هرتسليا الثانوية بين الطلبة اليهود الذين من أصل أوروبى وبين أقرانهم من اليهود من مواليد فلسطين حول الإمساك بثمرات التين الشوكى وتقشيرها بالأيدى العارية . ونظرا لأن اليهود من مواليد فلسطين كانوا دائماً هم الفائزون فان هذا التعبير قد لصق باليهود من مواليد فلسطين ثم أصبح يطلق بعد ذلك على جيل كامل من اليهود إعتباراً من العشرينيات .

ويمثل السابرا من بين يهود إسرائيل حوالى ٣٥٪ من مجموع السكان وجيل السابرا يحل بالنسبة للمفكرين الصهاينة والاسرائيين جزءا من مشكلة تعدد الأصول الحضارية بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى ، وذلك عن طريق خلق تكتل يهودى نما فى ظل ظروف نفسية واجتماعية وثقافية موحدة تخلق فى النهاية كتلة منسجمة لها مواقفها

وآراءها وخصائصها واتجاهاتها ، ككتلة موحدة من المستوطنين الاسرائيليين التي استعصى تنافرها على التوحيد ، ككتلة يمكن من خلال تأكيد وجودها وتجانسها تدعيم مفهوم جديد عن الهوية الإسرائيلية بعد أن قضت حجج العلوم الإنسانية ، وحقائق الواقع الإسرائيلي نفسه على مقولة وحدة التاريخ القومي اليهودي والتكوين السيكولوجي لليهود عامة . وقد أصبح للسابرا فى إسرائيل ثقافة خاصة بهم وهم فى معظمهم من أبناء « الفاتيكيم » (الجيل القديم) من الاشكنازيم (يهود الغرب) أو الصفوة الاسرائيلية الحاكمة ، ولذلك فإن ثقافتهم هى فى أساسها هى ثقافة ذات أصول غربية ، كما أنهم على مستوى آخر الامتداد الحضارى والسياسى والسيكولوجى لجيل الاشكنازيم ، وهم الذين يمثلون احتياطى السلطة الاسرائيلية حالياً والذين سوف يتولون زمام الأمور فى إسرائيل بعد أن يبدأ دور الجيل القديم فى الانتهاء ، وهو الأمر الذى حدث بالفعل عندما تولى إسحق رابين وهو من المحسوبين على جيل السابرا رئاسة دولة إسرائيل .

ونظراً لأن نسبة اليهود السفارديم (يهود الشرق) إلى اليهود الاشكنازيم (يهود الغرب) من بين السابرا هى ٧ : ٣ فإن اصطلاح (السابرا) يكاد يكون قاصرا فى الاستعمال على (اليهود الاشكنازيم) بينما يطلق على السابرا من أبناء الطوائف الشرقية اسم يليدى «ها أرتس» أى (مواليد البلد) تمييزا لهم عن السابرا بالمفهوم الثقافى والحضارى الغربى .

٢٧ — يجآل موسينسون :

أديب وكاتب مسرحى إسرائيلى . ولد عام ١٩١٧ فى عين جنيم . كان موسينسون عضوا فى كيبوتس ناعان إعتباراً من عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٥٠ ، وخدم فى البالماخ وفى جيش الدفاع الإسرائيلى من عام ١٩٤٣ . وقضى الفترة من

١٩٥٩ — ١٩٦٥ فى الولايات المتحدة ، وعاد إلى إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ .
كتب موسينسون القصص والروايات والمسرحيات وكتب المغامرات للاطفال وتميز بالطابع الملحمى الأسطورى . وأول أعماله هو مجموعة قصصية بعنوان «رمادى كالشوال» ١٩٤٦ .

وفى عام ١٩٤٨ مثل مسرح هبيما مسرحيته الأولى «فى صحارى النقب» التى لاقت نجاحا شعبياً . وتتناول صمود موقع فى كيبوتس فى النقب ضد الجيش المصرى خلال حرب ١٩٤٨ .

وقد كتب موسينسون كذلك العديد من المسرحيات المماثلة . ومن أهم أعماله : «من قال أنه أسود» ١٩٤٨ ، (الطريق إلى أريحا) ١٩٥٠ ، (طريق الرجل) ١٩٥٧ ، (يهودا رجل كريوت) ١٩٦٣ . ومن مسرحياته (تامار زوجة إير) ١٩٤٧ ، (إذا كان هناك عدل) ١٩٥١ «قبيز» (مترجمة للعبرية ١٩٥٥) ، «كازابلان» ١٩٥٨ ، «الدوراذو» ١٩٦٣ ، و «شمشون» ١٩٦٨ .

٢٨ — موشى شامير :

ولد عام ١٩٢١ فى مدينة صفد ثم استقر بعد ذلك فى تل أبيب . كان عضوا فى منظمة «هاشومير هتسعير» (الحارس الفتى) ولعب دوراً هاماً بها . ومنذ عام ١٩٤١ كان عضوا فى كيبوتس «مشمر هاعيمك» ، وفى عام ١٩٤٤ انضم إلى «البالماخ» (سرايا الصاعقة) . انشأ وحرر المجلات الادبية : «يلقوط هريعيم» ، «حقيبة الأصدقاء» و «دف حاداش» ، (صفحة جديدة) ، و «ماسا» ، (قول — مقال) ، ورأس تحرير مجلة «بمحنيه» التى كانت تصدر عن الهاجانا ، ثم الآن أصبحت مجلة جيش الدفاع الاسرائيلى .

وقد رأس منذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧١ قسم الهجرة فى الوكالة اليهودية فى لندن بعد حرب يونيو ١٩٦٧ انضم وأصبح من زعماء « حركة إسرائيل الكاملة » التى تدعو إلى دولة اسرائيل من الفرات إلى النيل . إهتم شامير فى أعماله الأدبية بالاتجاهات الاجتماعية والطبقية والمشاكل القومية . فى مجلة « يلقوط هريعيم » نشر مجموعة من القصص النقديه عن حياة الكيبوتس . وقد انعكس هذا الاتجاه أيضاً فى بعض قصصه للاطفال . ومن أشهر قصصه عن تلك المرحلة «النساء ينتظرون فى الخارج » و « حتى مطلع الصباح » و « مع المطاردين » .

ومعظم مقالات وقصص شامير تعكس الصراع اليهودى قبل قيام الدولة وتتناول بصفة خاصة الشخصية الاسرائيلية المولودة فى فلسطين فى صراعها مع الأهداف والقيم الصهيونية التى صاغت شخصيته .

ومن أشهر أعماله فى هذا الاتجاه رواية « هو سار فى الحقول » ١٩٤٧ وبطل هذه الرواية « أورى » يصبح بعد ذلك الشخصية المحورية لأعمال شامير حيث يظهر فى عدة روايات أهمها : «واحد صغير لصالحنا» ١٩٥١ . ويتبلور البعد الثورى لهذه الشخصية كذلك فى شخصية « عمى » فى مسرحية « الكيلومتر ٥٦ » ١٩٤٩ . وتشكل الأعمال التاريخية نقطة تحول رئيسية فى إنتاج شامير وذلك دون أن تتغير الشخصية المحورية ولكن مع وضعها فى ظروف تاريخية ذات مغزى خاص . «ملك اللحم والدم» ١٩٥١ « وحروب بنى أور ١٩٥٥ » .

وفى رواية « إنك عار » يتناول شامير صراع الشباب الاسرائيلى ضد القيم التى دافع عنها شمير دوما . وفى رواية « الحدود » ١٩٦٦ يتناول شامير ظروف المجتمع الاسرائيلى خلال الستينيات حيث نجد أن بطله رافى أورلان يمل نمط حياته ويجد ضالته فى أرض غير مأهوله بين اليهود والقدس العربية . وبعد حرب

١٩٦٧ انتقل شامير نهائياً إلى معسكر اليمين وأصبح من أكثر المتطرفين اليمينيين تبجحا وأعلن رأيه وهو أن « جميع الأراضى المحتلة اليوم تتبع الشعب اليهودى وإعادتها أو إعادة جزء منها للغرباء خطيئة وجريمة شنعاء .

وفى عام ١٩٦٨ نشر شامير روايته «حياة شعب إسماعيل» . وفى أعقاب حرب ١٩٧٣ طالب بأن يكون متحدثاً باسم الجنود المقاتلين على الرغم من أنه لم يشارك فى الحرب ، وهى الدعوة التى لاقت الاستنكار من الكثيرين .

وقد انتخب شامير عضوا بالكنيست عن حزب ليكود اليمينى المتطرف ، بعد أن كان فى البداية من الماركسيين المنادين بأخوة الشعوب . وقد كان من بين الثمانية الذين صوتوا ضد اقتراح بيجين الخاص بالدخول فى مفاوضات سلام مع العرب .

ويجمع المحللون على أن التقلب الايديولوجى الذى مر به موشى شامير إن دل على شىء إنما يدل على تخبط جيله من مواليد فلسطين .

وشامير ذو طابع رومانسى فى تناوله للموضوعات ، وتلعب الميثالوجيا دوراً هاماً فى بعض أعماله مثل (إنك عار) . ولغته غنية وتحوى خليطا هائلا من اللهجات وبصفة خاصة اللهجة الإسرائيلية الغربية ولهجات شتى الأسرائيليين المتأثرين فى نطقهم للعبرية بمصادر الرضاع الثقافى الأصلية الخاصة بهم .

٢٩ — اهارون ميجد :

ولد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، وهاجرت أسرته إلى فلسطين عام ١٩٢٦ . التحق بكيبوتس « سيدوث يم » ، وعمل فى ميناء حيفا ، وقد ترك ميجد الكيبوتس عام ١٩٥٠ واستقر فى تل أبيب حيث رأس تحرير صحيفة « بشعر » ، (فى الفجر) .

وقد قام مع نفر من أصدقائه بإصدار المجلة الأدبية «ماسا» التى أصبحت ملحقاً أدبياً لصحيفة « لامرحاف » إعتباراً من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧١ حيث عمل ملحقاً ثقافياً لاسرائيل فى لندن . فى كتابات ميجد التى تتسم بالطابع الأوتوبيو جرافى نجده يتحرك من الواقعية فى أعماله الأولى إلى السريالية ثم مرة أخرى إلى الواقعية .

أول مجموعة قصص قصيرة له نشرت بعنوان « رياح البحر » ، ١٩٥٠ وتتضمن وقائع عن الحيـــاة فى كيبوتس « سيدوت يم » ورواية « حدفا وأنا » ١٩٦٤ ، وهى رواية واقعية عن سوء الحظ الذى يلحق بعضو كيبوتس يغادر الكيبوتس هربا من مضايقات زوجته .

وفى قصة أخرى « حادثة الأبلة » ١٩٦٢ ، يكون بطله هو الإنسان الطيب الوحيد الذى يفشل فى الارتباط بالمجتمع .

ومن أشهر أعمال ميجد رواية «الحى على الميت» ١٩٧٠ التى تصف مصطلحات غير منافقه المجتمع الاسرائيلى الحديث .

وقد ترجمت أعمال ميجد للعديد من اللغات الأجنبيه .

٣٠ — يهودا عميحـــى :

ولد عام ١٩٢٤ فى ألمانيا . ذهب إلى فلسطين عام ١٩٣٦ واستقر فى مدينة القدس . وقد خدم فى الفليق اليهودى خلال الحرب العالمية الثانية . وبدأ فى نشر أشعاره فى نهاية الاربعينات . وقد ظهر الجزء الأول من أشعاره فى عام ١٩٥٥ بعنوان « الان وفى أيام أخرى » وكان اعلانا لظهور مدرسة جديدة فى الشعر العبرى . وتعكس أشعار عميحى التغييرات الحادة التى حدثت فى اللغة العبرية خلال

الحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٤٨ ، حيث حفلت بالكثير من الاصطلاحات واللهجات . وقد ادخل عميحى تعبيرات الطائرات ، والدبابات والمدرعات وغيرها الى الشعر العبرى متجاوزا بذلك أساليب التعبير الكلاسيكية .

ومن أهم أعماله : « على مسافة املين» ١٩٥٨ ، وجمع أشعاره تحت عنوان : (أشعار ١٩٤٨ — ١٩٦٢) فى عام ١٩٦٣ ، ومن أهم رواياته : « ليس من الآن وليس من هنا» ١٩٦٨ ، وقد كتب قصصه القصيرة بإسلوب تغلب عليه اللغة الشاعرية وتقدم قصصه صورة لشخصية الرجال الذين يعيشون فى صراع روحى ونفسى . وقد كتب عميحى كذلك (قصة نينوى) ١٩٦٢ التى تتناول قصة النبى يونان وعرضتها فرقة (هبيما) عام ١٩٦٤ .

٣١ — يهـــودا بورلا :

ولد عام ١٨٨٦ فى مدينة القدس وتوفى عام ١٩٦٩ . يعتبر من أوائل الادباء العبريين السفارديم الذين لديهم خلفية شرق أوسطية . ولد فى أسرة من الربانيم ودارسى التوراة الذين ترجع أصولهم إلى أزمير بتركيا والتى استقرت فى فلسطين منذ ثلاثة قرون . درس فى الأكاديمية التلموديه (اليشيفا) ، وفى مدرسة المعلمين ١٩٠٨ — ١٩١١ . وخدم فى الجيش التركى خلال الحرب العالمية الأولى كراسل حربى . وبعد الحرب عمل مديرا للمدرسة العبرية فى القدس لمدة خمس سنوات . وقد علم فى حيفا وتل أبيب . وأعتبار من عام ١٩٣٠ قضى سنوات عديدة مدير للادارة العربية فى وزارة المستعمرة ١٩٤٨ . وقد عمل بورلا رئيسا لجمعية المؤلفين العربية ورئيسا للمجمع البيوجرانى ، وللجنيزيم . وقد قرأ بورلا وهو فى الثامنة عشرة من عمره الاعمال الكلاسيكية العبرية (مندلى موخير سفاريم ونحمان بياليك ، ويوسف حاييم برينر ، وأسحق ليف بيرتس للمرة الأولى ، وأكتشف أنهم صوروا

فقط حياة اليهود الاشكنازيم فى شرق أوربا ، بينما أغفلو تماما عالم اليهود السفارديم فى الشرق الأوسط . وقد سعى من أجل التعمق فى اللغة والعادات والأفكار الخاصة بهذه الجماعة . وحينما انتهى من دراسته فى مدرسة المعلمين كتب قصته «ونا» التى أرسلها إلى يوسف حييم برينر ، وشجعه برينر على مواصلة الدراسة . وبهذه القصة التى تصف حياة فتاة تعيش فى المجتمع السفاردى للقدس القديمة أصبح بورلا أول أديب فى الادب العبرى الحديث يعبر عن حياة السفارديم فى الشرق الأوسط حيث تناول حياة اليهود فى البلاد العربية وفى بلاد البلقان وكذلك فى فلسطين خاصة فى القدس وصفد والخليل اعتبارا من الفترة التركية حتى قيام دولة إسرائيل. وتضاهى أعماله فى هذا الصدد أعمال شالوم عليخم وشموئيل يوسف عجنون عن حياة اليهود الاشكنازيم حيث تحوى أعماله تسجيلا للعادات واللغة والفولكلور الخاص بهذه الجماعة . وكان عمله الأدبى الثانى بعنوان « دون كوكب » ١٩٣٧ . وأولى رواياته كانت بعنوان « الزوجة الثانية » ١٩٢٨ التى تحكى عن يهودى سفاردى لا يحب زوجته ولكنه يخشى الانهيار المادى اذا ماتزوج ثانية فيضطر للاحتفاظ بزوجته الأولى. ويتناول بورلا موضوعات فى روايته «متاهات الانسان» ١٩٢٩ وفى رواية « هجرات عقيبا » ١٩٣٩ فى جزئين . وكتب بورلا روايات تاريخية هى « رحلات يهودا هاليفى » ١٩٥٩ (و) فى الأفق » ثلاث اجزاء » فى عام ١٩٤٣ عن ربى يهودا القلعى من رواد الفكر الصهيونى فى القرن التاسع عشر . وبالرغم من ان بورلا انحصر فى وصف حياة يهود المشرق الا ان منهجه الأدبى كان غربيا متأثرا بدراساته وبقراءاته فى الادب العبرى الحديث . ويعتبر بورلا قصاص لا يتميز بالثورية لا من حيث الشكل أو الاسلوب ولكنه تقليدى ، رومانسى إلى حد ما ، ومتأثرا بالمدرسة الواقعية . ومن أعماله : « مع الفجر » ١٩٤٩ ، «نساء » ١٩٤٩ ، « توم ومارى » ١٩٥١ ، « فى رحاب الحب » ١٩٦٣ وقد جمعت أعماله فى ثمان أجزاء عام ١٩٦٢ .

۳۲ — مردخای طبیب :

ولد عام ۱۹۱۰ ، ومازال حيا يواصل الكتابة والإنتاج . نشر قصته الأولى عام ۱۹٤٧ فى مجلة « عيتيم » (أزمنة) — من أبناء الطائفة اليمنية اليهودية، لذلك فقد جاهد كثيراً من أجل شق طريقه فى مجال الانتاج الادبى . لاينتمى إلى مدرسة من مدارس الأدب الاوربية الحديثة . يكتب الشعر ولكنه يتميز فى قصصه القصيرة بالقدرة على حشد الشخصيات والانفعالات والاحاسيس حول نقطة رئيسية واحدة يصل فيها إلى الذروة . من أشهر كتبه كتاب « مثل عشب الحقل » ۱۹٤٨ وأعيد طبعه ۱۹٦۳ و « قيثارة يوسى » و « عزرائيل » و « الطريق الترابى » وهى مجموعة قصص قصيرة نشرته عام ۱۹٥٤ . ترجم دكتور رشاد الشامى له قصة قصيرة عن العبرية بعنوان « اللقاء الأخير » نشرت فى صحيفة المساء القاهرية ۲۱ يونيو ۱۹٧٤ ، تدور حول لحظة ارتباط نفسى بين إنسان من إسرائيل وبين القدس القديمة .

الجزء الثالث

نماذج من الأدب العبرى الحديث

هذه القصة للأديب الإسرائيلى إسحق شنهار ، تتناول وصفاً دقيقاً وفنياً لجانب من الواقع الإسرائيلى. إن دولة إسرائيل كانت وما زالت تعتمد فى تكوينها البشرى على المهاجرين بحيث حق بصدق أن تسمى « دولة المهاجرين » . ونظراً لأن إمكانيات الدولة لم تمكن تسمح لها باستيعاب المهاجرين القادمين إليها من شتى بقاع العالم والمتنوعين فى لونها وثقافاتهم وإستعداداتهم الإنسانية ، فقد أصبح هناك ما يسمى « بالمعابر » ، وهى عبارة عن مرحـــلة إنتقالية يتم فيها تجميع المهاجرين إلى يتم إعدادهم نفسياً ومهنياً واجتماعياً للتأقلم مع الواقع الإسرائيلى الجديد . وقد كانت هذه المعابر ، فى غالب الأحوال ، عبارة عن خيام أو أكشاك من الصفيح ، وبصفة خاصة فى السنوات الأولى من قيام الدولة (أصبحت المعابر آلاف مناطق سكنية أكثر تجهيزاً وأعداداً مما كانت عليه من قبل) .

والقصة تحكى عن تجربة عائلة يهودية من المهاجرين إلى إسرائيل وضعوها فى « المعبر » على أنه « إقامة مؤقتة » فإذا بها تتحول إلى « إقامة دائمة » . وشنهار فى هذه القصة يصور بصدق خيبة الأمل التى أصابت اليهودى المهاجر لاصطدامه بهذا الواقع الذى يخالف تماما الصورة الذى حلم بأنه سيجدها فى إسرائيل ، أو التى وعدوه بها . يصور معاناة الإنسان اليهودى فى صراعه اليومى مـــع الحياة ، ويصور عاداته وسلوكياته وطرق تفكيره ، ليسجل من خلال هذا ، صورة من الواقع الإسرائيلى فى بداية الخمسينات . وشنهار يستخدم فى هذه القصة ، اللغة العبرية الدارجة المليئة بالكثير من الكلمات المأخوذة من البيئة العربية الفلسطينية (معلهش — النرجيلة — خلاص — يا حلاوة — أنت صغيرة . .) وهو الأمر الذى اشتهر به شنهار فى إنتاجه الأدبى .

وجبة هزيلة

بقلم إسحق شنهار

كم يقضى الإنسان فى معسكر فى المعبر ؟

من المحتمل أنه يقضى شهوراً ، ومن المحتمل سنوات ، ومن المحتمل العمر كله — إنه لا يعرف . إن الرحمن هو قلب إسرائيل ، وهو الذى يحسب الأيام منذ قديم الأزل ، ومعاذ الله أن يحدث هنا خطأ فى الحسابات مع توتر الوقت .

ما الذى يوجد فى المعبر ؟

توجد خيام ومنازل من الصفيح توجد أكشاك من الخشب ومنازل من ستائر القماش وبينها أعشاب تنمو من تلقاء نفسها ، وأطفال ينمون من تلقاء أنفسهم . وحول الأعشاب ، والأطفال ، والأيام يوجد سور ، سور مصنوع من خيوط من الحديد ، صف فوق الآخر ، والمجموع أربعة صفوف :

لا بأس :

السور — سور وفيه بوابة ، ويختلف حوله الحكماء من المقيمين فى المعبر : فهذا يقول أنه بوابة سادوم ، وآخر يقول أنه بوابة محترمة ، وهناك من يقولون أنه أحد بوابات الدموع ، وأنه من بوابات الصلاة ، وأنه من بوابات التوبة —وسواء كان هذا أم ذاك فإفتح يا أخى البوابة ولندع كل من يريد القدوم أن يخرج .

ثم ماذا ؟

هناك من يريدون ، وهناك من لا يريدون ، وهذا أمر من الصعب التغلب عليه إن هذا موضوع ليس بهذه البساطة : إننا نقيم مع أسرنا هناك كما لو كنا فى أعشاش ، إنها أسر إسرائيل القادمة من العراق واليمن وإيران ورومانيا ومن العالم كله .

من يسكن فى الأكشاك ؟

لا أحد يعرف . ربما أولئك الذين بكروا فى المجىء ، وربما أولئك الذين لديهم بعض الأمراض فى جسدهم ، وربما أولئك الإشكناز . إننى أنا وأسرتى نسكن فى خيمة كبيرة . ماذا فى هذا يا أخى ، إنها خيمة — أليس هذا حسن ؟ إن هذا حسن جداً ، خيمة الصالحين تزدهر ، والحمد لإلهى الرحيم. إنك ترفع جوانب الخيمة فتأتى الريح وتهب عليك من أسفل وترطب لك الهواء فى أيام الحر ، ثم تنزل جوانبها — فتتجمع لديك الحرارة فى أيام الأمطار .

ولكن ؟

بالرغم من ذلك ، إن هذه الخيمة — ليست قاعة من الأحجار المسقفة بخشب الارز والمؤثثة بخشب السرو ، وأحياناً — أحياناً لابد من شد أحبالها على الأوتاد التى فى الأرض ، لأنه إذا لم يحدث ذلك فسوف تأتى ريح شمالية وترفعها من فوق رأسك وتجد نفسك واقفاً فى العراء لا ساتر بينك وبين السماء وجيش السماء ، أنت وزوجتك وأبناؤك معك .

حينئذ ماذا ؟

عليك أن تشد حبال الخيمة — أهذا أمر حقير ؟

ولكن زوجتى إستير تجلس على باب الخيمة وتقول :

— إن فلسطين ليست هنا .

— وأقول لها : لا . ولكن أين فلسطين وأين هى ؟

— وتقول هى : إنها خارج السور ، هناك فلسطين . أما هنا — فلا .

ثم ماذا ، إنى أقول لها وبطننا ملتصقة بالأرض ؟ هيا نخــــرج من البوابة فنصبح فى فلسطين .

وتقول هى : أيحتاج هذا الأمر إلى قضية ؟ هل سنضطر للعودة إلى هنا ، لا ؟ وهكذا نخرج إلى فلسطين ونعود من فلسطين ، نخـــرج ونعود ، ثم ماذا ؟ ما جزاؤها ، وما مكافأتها ؟

— ماذا . هل تريدين يا امرأة أن تذهبين إلى ما وراء السور ، أم تريدين أن تبقين هنا ؟ إننى لا أفهم .

— لصانع السموات حكمة ، هكذا ردت على .

حسن .

عندى ثلاثة أبناء ، هجرس الكبير ، وشمعون الثانى وإخيم الثالث . أما هجرس فإنه يعمـــل فى الوشافا ، وشمعون يعمل فى المدينة وإخيم لم يعمل بعد . وعندى كذلك إبنة ، إسمها بركة وهى فتاة تجيد حياكة الملابس وخبز الخبز وصناعة المشروبات الساخنة والباردة ، وتعرف الغناء وهى تنشد مع جوقة المرتلين . هل تعرف أنه توجد جوقة كهذه للمرتلين فى المعسكر ؟ لقد جاءت إمرأة من المدينة وقالت أن كل العائدين من المنفى داخـــل المعسكر يجب أن ينشدوا معاً ، لأن ذلك يجب أن يحدث ، ولأنه أمر حسن ، وهى تجمع الأولاد والبنات مرتين فى الأسبوع وتعلمهم يقفون كل فى مواجهة الآخر ثم يقومون بالغناء . هذا هو ما يحدث عندنا . وبركة تعرف كل الأغانى ، ياأخى ، أغانى السرور وأغانى الحزن ، أغانى الشبان الذين ذهبوا للجيش وأغانى راعى الجليل الذى فقد إحدى أغنامه ، ولكنها دائماً على أى الحالات مسرورة ، وحتى حينما تغنى أغانى النواح والنحيب فإنها تدور وهى ترقص رقصة الدوامة على قدم واحدة .

إنهم يغنون وأنا وزوجتى نجلس على باب الخيمة على الحصائر ، بينما أقوم أنا بتدخين النرجيله وتقوم زوجتى بترتيق الملابس ، أو أدخن النرجيلة بينما زوجتى

تعجن الخبز إستعداداً للعشاء . ومع حلول الظلام يعود مجرس من العمل ، ويعود شمعون من العمل ، وتعود بركة من المكان الذى تذهب إليه ، ولكن حتى نجتمع لتناول الطعام لابد من إنتظار إخيم .

— ما الذى يؤخره هكذا ؟ قال مجرس . دائماً يجب أن ننتظره .

— كان من الضرورى أن نحز له طبقة من جلده حتى يفهم . قال شمعون .

— ما كل هذه الجلبة ؟ قالت زوجتى . إن الطعام غير جاهز بعد — ما العمل ؟ إن نيرانى تشتعل ببطء ولا تكفى .

وجاء إخيم من كشك الدراسة ، حيث يدرس هناك فى دروس المساء ، ونحن جالسون حول الطعام . وبعد فترة وجيزة قال إخيم :

— إننى أريد أن أخرج من هنا . إننى لا أريد أن أقيم هنا ! — إن هذه ليست حياة .

وقال مجرس :

— مرة أخرى أنت مهندس فى حماقاتك ؛ كم مرة قلت لك . من المستحيل أن نترك المعبر . لماذا ، لأنه لدينا هناك شقة مجانية ويجب ألا نذهب من هنا .

— وقال شمعون :

سوف نقيم هنا إلى أن ندبر مالا عن طريق العمل والمهنة . لماذا نخرج لكى ندفع إيجاراً لشقة ، لماذا ؟ سنقيم هنا ونجمع ونجمع ونجمع ثم نرى بعد ذلك .

— ولكن إخيم قال :

ماذا سنرى ؟ لقد أقمنا فى المعبر ما فيه الكفاية ، لقد جلسنا كالشحاذين المساكين وأنا الآن أريد أن نعيش فى فلسطين .

وهجم مجرس عليه :

— أنت جحش صغير لا يفهم شيئاً على الإطلاق .

وتبعه شمعون وردو وراءه :

— لا يتلق أجرأ بعد على الإطلاق ، ويتجرأ على الحديث ولأنهم يبلبلون عقله في دروس المساء ويعلمونه كل أنواع الجنون أصبح حكيماً جداً .

وقال إخيم :

— إن الرجال يخرجون من هنا ، أليس كذلك ؟ إن الجميع يسعون طوال الوقت للخروج من المعبر ونحن فقط المتمسكون به ، نحن فقط .

وقال هجرس رداً عليه :

— أهذا أمر بسيط أن تقول أن علينا أن نخرج ؟ هل هذا أمر يتم في لحظة واحدة ، وفي طرفة عين ؟

وتحدثت بركة الصغيرة هي الأخرى وقالت :

— يجب أن نسكن في المدينة . فهناك يوجد كل شيء . ماذا نحن — بدو نسكن في خيمة ؟

وقال لها شمعون :

— أنت صغيرة ، لك فم عصفور صغير !

وقالت بركة :

— وإذا تزوجت — فكيف يكون الحال ؟ هل تحضر زوجتك هي الأخرى لكي تنام لدينا ؟ يا حلاوتك ! هل هنا مكان متسع ، لا ؟ ماذا تقول يا أبي ؟

— ماذا أقول ؟ إنني أقول أن تكفوا جميعاً عن هذا الخلاف ، وأقول أن الله كبير في السماء وما يحلو في عينيه يفعله في الأرض ، ولكن هجرس وشمعون هم الذين يحضرون الرزق ، وهم الذين يصنعون لنا كل شيء والرأي رأيهم .

وقال أخيم :

ـــ إذن فإننى سأذهب من هنا بمفردى .

وقالت زوجتى :

ـــ إلى أين ستذهب ، إلى أين ، هل تعرف ؟ إن فك يتحدث ولا يسمع ما يقوله .

ـــ لا تظنى أننى لا أعرف يا أمى ، إننى أعرف .

وأنا أجلس وأنصت للمزاعم من ناحية وللإعتراضات من ناحية أخرى ، وعيناى ترى ما يوجد فى الكوب وما يوجد فى الطبق ، وأنا أقول فى نفسى ، أنه يوجد غد الآن ، ويوجد غد بعد فترة وسوف نبحث فى خير العالم . وحينما حل الصمت أخيراً بالخيمة واصلنا الطعام ، كل واحد مستغرق فى طبقه وبما يتفتت داخل فمه ، وبعد ذلك غادرنا الخيمة .

كانت فى الخارج تهب ريح خفيفة والنجوم متفشرة فى السماء . والنساء اللاتى فى المنازل الصفيحية المجاورة يخرجن ويسكبن حولهن فضلات الطبيخ وفضلات الشوربة ، يسكبن ويصنعن بركاً من المياه ، ويمكنك وفقاً للرائحة المنبعثة أن تعرف نوع الطعام الذى تناوله كل منزل من المنازل الصفيحية .

ثم ماذا ؟

معلهش ، بركة من بقايا المياه ، هذا ليس شيئاً على الإطلاق ، غـــداً سوف تشرق الشمس وتجففها الشمس ليست جامدة ، وليس هناك داع لأن نكلفها بما هو فوق طاقتها : إنها تلحس كل شىء .

وجلس هجرس وشمعون معنا للحظة على الحصيرة من قبيل الإحترام والتأدب ، وبعد ذلك ذهبا إلى حال سبيلهم .

وجلس إيخيم فى البداية كالمصاب بنزيف ، وبعد ذلك قام ثم عاد يجلس مرة أخرى ثم قام وبدأ يجر قدميه ذاهبا لحال سبيله .

— إلى أين ؟ سألته زوجتى .

— لا أعرف ، قال لهـا ، بحسب العادة . وسار واختفى بين أكشاك المسكر الخشبية .

وظلت بركة فقط جالسة معنا . واحتضنت ركبتيها بيديها وأخذت تنظر إلى النجوم .

وقالت لها زوجتى :

لا تكثرى من التطلع إلى النجوم ، أيتها الفتاة ، إن هذا أمر ليس طيب .

— ماذا فى هذا ؟ لماذا ليس هذا بأمر طيب ؟ إن النجوم مستقر فى السماء وهناك نقاوة وطهارة ؟ أليس كذلك ؟

— إن كل من يتطلع كثيراً فى النجوم يهيئ له فجأة أنه سار فى طريق ليس صحيح ويبدأ فى التفكير فى طريق آخر .

وصمتت بركة لحظة ثم قالت :

— إن أخيم لم يتطلع كثيراً فى النجوم ، فماذا بشأنه إذن ؟
وقالت زوجتى :

— إن نهار إيخيم مازال مشوش وهو لا يعرف ماذا يريد . إن الشبان الصغار يسلكون طريقهم على النحو التالى : إذا ما أصابهم العطش — هيىء لهم أنهم جوعى ، وإذا ما أصابهم الجوع — هيىء لهم أنهم عطشى .
— هل تعتقدين ، أنه سيذهب من هنا حقاً يا أمى ؟

— إن الإناء الفارغ لا يميز بين ماء العسل وماء الزيت ، .

قالت زوجتي لكي تسكتها .

وجلست على هذا النحو إلى أن بدأ الظلام فى التسلل أكثر وأظلمت الدنيا . ورأينا جماعات من الناس يخرجون من البوابة للتنزه على الطريق ، فقمنا أنا وزوجتى وخرجنا نحن الآخرين . الطريق طويل طويل يسير فى خط مستقيم ، ويسير فى منحنيات ، وإذا اتجهت فيه إلى اليسار تصل إلى مستعمرة كبيرة ، وإذا اتجهت فيه يميناً ، تصل إلى المدينة الكبيرة . وتنزهنا لفترة قصيرة من الوقت على الطريق وأذنى تسمع حديث الناس ، وحسب أصوات المتحدثين عرفت :

هناك يتمشى شمعون مزراحى الذى يتحدث دائماً للصغار والكبار عن منازله الست التى كان يمتلكها ، وهو يتجول هنا طوال اليوم فى بيجامة خضراء من تلك التى أرسلها يهود أمريكا كهبة من الهبات . وهناك تتمشى مدام جوتنيلا العجوز التى تصبغ شعرها وتتحدث بفرنسية سريعة ، وهى تتكبر علينا جداً لأن لها إبنا فى تل أبيب — سوف يصير عن قريب محامياً ، وهو لايريد أن يأتى لزيارة المعبر ، ومدام جوتنيلا تسافر إليه مرتين فى الشهر .

وهناك أيضاً يتمشى أبراهام الإيرانى مغموما غاضباً لأن لديه ثمانية أفراد فى منزله الصفيحى بدون أية فائدة لأن كلهم أطفالا ، وهو مندهش من هذا التكرار الذى هنا ، وهو لا يجد إيضاحاً مرضياً لنفسه ، لأنه إذا كان فقره ومعاناته فى إيران كبيرة ، فإن فقره ومعاناته فى فلسطين أكبر .

وهناك يتمشى السيد سلومون وهو جواهرجى جاء من رومانيا وقد هاجر إلى

فلسطين منذ عدة سنوات وكان يقيم فى فندق كبير ويستقل سيارة فى تحركاته ، ولكن فلسطين لم تحـــلو له فى ذلك الحين فعاد ونزح إلى حيث أتى ومعه كل أمواله وجواهره ، وهنـاك حلت عليـه اللعنـة فسلبته كل ما كان يملك ، وحينئذ عاد فهاجر مرة أخرى وأقام فى معسكرنا — وهو الآن غاضب وساخط ؛ وهناك يتمشى عذريا بن دافيد . وهو عضو فى حزب العمال ويزمع مغادرة المعبر لكى يمارس العمل الطليعى ويقوم بفلاحة الأرض ، ولـكنه لم يستقر بينه وبين نفسه حول ما إذا كان يذهب للجليل أم إلى صحراء النقب ، وحتى الآن وهو يجرى إلى الإجتماعات ويتناقش مع كل إنسان ، وإلى الآن لم يستقر لا على النقب ولا على الجليل . السلام والسلامات عليك يأخى ! إننى إنسان وصديق إنسان وعلى هذا النحو يوجد كثير من الخلق فى معسكرنا ، وهم يتنزهون ويتحدثون تحت السماء الزرقاء التى فى الأعالى .

وبعد فترة زائدة من الوقت إستدرنا إلى الخلف وبدأنا فى العودة من نفس الطريق الذى جئنا منه ، إنك تسير وترى من على بعد معسكرنا من الخارج وقد خلى تماماً وأصبح جميلا للغاية وهو محدد المعالم وعاط بالأسوار لدرجة أنه من الصعب معرفته بالليل : ماهذا ، ماهذا ؟ أهى قرية وفيرة السرور ، وخيام سرادق بين البحار والجبل ؟ أم أن هذا خطأ كبير ؟ ومن يدرى ما الذى يجرى هناك فى تلك الأثناء ؟ أمن المحتمل أن يكون قد تغير شيئاً ما ؟ أمن المحتمل أن يكون أصحاب الأكشاك الخشبية لايريدون بعد مجاورة الخيام والحصر ، ولن يسمحوا لى بعد بالدخول إلى هناك ؟ وأنا أطل على الأنوار المتلالئة هناك ، أنوار بالمئات والآلاف ، ومن الصعب الإعتقاد ، بأن أحد هذه الأضواء هو ضوء شمعون مزراحى والآخر هو ضوء مدام جوتيلا العجوز ، والآخر خاص بالسيد سلومون الرومانى

والآخر لابراهام الإيرانى وأنا أعتقد جداً أن أحد هذه الاضواء — خاص بى ، وأن بركة بالطبع قد أشعلت الضوء كذلك فى مسكننا ، وبدأ قلبى يأخى فى التأرجح فجأة والإهتزاز إهتزازاً كبيراً .

ولكن حينما وصلنا إلى المعسكر واقتربنا من خيمتنا رأينا الظلام وأدركت أنه لا وجود للنور

— لقد ذهبت بركة مرة أخرى لكى تغنى مع رفاقها . قلت لزوجتى .

— وماذا فى هذا ؟ إننى لست قلقة من أجلها . قالت زوجتى .

وصعدنا على سريرنا وبدأت فى إغلاق أهداب عينى إستعداداً للنوم ، ولكن إستير كانت تتقلب من جانب إلى جانب وتهرب من النوم .

— مالك ياإمرأة ؟ سألتها .

— لاشيء على الإطلاق ، لاشيء على الإطلاق ، يهيؤ لى فقط أن شخصياً ما يرخى حبال الخيمة .

وصمتت لفترة قصيرة وبعد ذلك عادت مرة أخرى وبدأت تمد رأسها وتنصت فى الظلام .

— مالك يا إمرأة ،

— لاشيء على الإطلاق ، لاشيء على الإطـــلاق، يهيؤ لى أن شخصياً ما ينزع وتد الخيمة .

وأنا أعرف أنه لايمكنها أن تتخلص من تفكيرها فى إيخيم وعن أفكاره وأنا أعرف أن لديها مخاوف من كل أنواع الأشياء ، من الحسد والروح الشريرة والشياطين والعفاريت ، ولكن ما الذى يمكننى عمله ؟ بالطبع لاداعى للتنازع

معها حول هذا الموضوع ، وذلك لأن القدر تمثل حسبما يقول الناس ، وبالرغم من أنها لا تقول لى كلمة على الإطلاق ، فمع كل هذا فإننى أطرد النوم من عينى وأنتظر مثلها وأنظر مثلها إلى فراغ الخيمة . فى البداية عادت بركة ، وبعد ذلك عاد الأبناء كل تلو الآخر ، ودخل كل واحد منهم إلى الخيمة ورقد فى مكانه . ولم نتمكن من تمييز من الذى جاء ، ولكن زوجتى صمتت وبالتالى فقد صمت أنا الآخر ، ولكن بعد أحصينا أربعة ظلال حدثت الهدنة بين السماء والأرض ، ومر علينا الليل من بداية انهايته . ومع حلول الصباح إستيقظنا ودخلنا فى يوم من الرتابة ، وتوجه كل واحد إلى شاغله وأخذ يمضى ساعاته ، وتبدد القلق ولم يتجدد بعد .

وما أن حل المساء حتى كان الموضوع قد ذاب برمته . وحكى لنا هجرس الذى كان يقوم بأعمال النجارة فى مصنع فى المستعمرة أثناء تناول الطعام عن أنواع الأثاثات التى يصنعونها هناك ، وشمعون الذى كان مساعداً فى محل الحلاقة يدعى صالوناً حكى لنا أشياءاً عن أنواع غريبة من النساء موجودات فى المدينة يدخلن الحلاقة عنده ويصنعن شعورهن كما لو كان تاج الملكة سيوضع على رأسهن — وأن كل شىء كان جميلا . وحينما صعدت استير على سريرها فى الليل لم تتوانى لتجهد نفسها ولم ترفع رأسها لكى تحصى عدد الظلال التى تتسلل إلى الخيمة ، بل أغلقت عينيها ونامت . وفعلت أنا الآخر مثلها .

وحينما استيقظنا فى الصباح لم يكن بينهم إبخيم .

— أين إبخيم ؟

— لقد ذهب إبخيم وهو ليس موجوداً .

— معلهش . قال شمعون ، سوف يعود هـذا الجحش . إن الجوع سوف يضغط عليه وسيعود .

— وقال هجرس : إنى ليس لدى وقت للبحث عنه ، إن على أن أذهب للعمل ، وإلا لكنت خرجت ووجدته وحطمت عظامه وجمجمته بسبب تلك الحماقات وأعمال الطيش التى يفعلها .

وشدته بركة من سرواله وقالت :

— اسمع ، إسمع لقد قلت أنه سيذهب — وهاهو قد ذهب .

— إذهبى ، إن الموضوع كله ليس ذو أهمية على الإطلاق .

وذهبوا وجلست زوجتى على باب الخيمة مطأطأة الرأس ويدها على صدرها وظلت جالسة ساعة تلو الأخرى وأهملت أعمال المنزل تماماً .

— ما الخبر ياإمرأة ؟ قلت لها . ما الذى أخرس لسانك فجأة ؟

— لا أعرف . قالت زوجتى .

— ما الذى لا تعرفيه ؟ لن يأخذوه إلى الحبس — إنه مازال غضاً بعد . وإلى العمل لن يأخذوه — فمازال صغيراً ، إذن ما الذى يشغلك ؟ إنه سيظل يسير رويداً رويداً فى الأزقة والشوارع وسوف يعود .

— لا أعرف ؟ أعادت زوجتى القول مرة أخرى . إنك عاقل كبير جداً ، ولنظام العالم هو بالنسبة لك شيئاً بسيطاً . والذى أريد أن أعرفه هو : هل لى ابن أم ليس لى إبن ؟

وفى المساء أثناء تناول الطعام ربت هجرس على كتفها وقال :

— معلهش يا أمى ، إن إيخيم طائش بعض الشىء ولكن لن يحدث له شىء على الإطلاق . لن يحدث له شىء ، وسوف يعود مرة أخرى ، سوف يدخل علينا فى المساء فى هدوء وسكينة وينام متسللا فى مكانه . وإذا لم يحدث ذلك فسوف يعود غداً وسترين !

— سوف أرى ، سوف أرى ! قالت زوجتى . إننى — كما لو كان يوجد غبار فى عينى ولا أرى شيئاً على الاطلاق ، ولكن الرب يرى مافى قلبى .

ولكن إيخيم لم يعد فى المساء ولم يعد خلال الليل .

وحينما إضطجعنا لكى ننام قالت لى زوجتى خلال الظلام .

— يا زوجى ، ألا تريد أن تتحدث إلى بأى شىء ؟

— إن كل شىء — هو من الله . قلت لها .

— إذن ما العمل ؟

— إن المكان سوف يرعاه ويحافظ عليه من كل شر ، قلت لها ، إن المكان له ألف ألف عين ، هل تعرفين ؟

— نعم ، نعم ، ألف ألف عين — إن هذا أمر ممتاز جداً ، ولكن ماذا إذا أخذت إحدى العيون فى الانغلاق رويداً رويداً ، وتكون هذه العين هى بالذات المنوطة برعاية إيخيم ، ما العمل حينئذ ؟

— أنت تتحدثين بحماقة وليس عن معرفة كاملة .

— إننى لاأستطيع أن أفعل شيئاً علا الاطلاق ، لاننى أشعر بإنقباض .

— قولى لقلبك أن تكون كل أعماله فى سكون وألا يقوم بعمل تجاوزات فى فى العقل .

— ثم ماذا .

لقد حل الصباح — وإيخيم .

قالت لى زوجتى :

— ثم ماذا ؟ هل ستجلس هكذا وتظل تعد فى أصابع يديك وقدميك ؟

— ما الذى تريدين منى أن أفعل ؟ أن أقوم بإشعال فلسطين ؟

— توجد شرطة فى المدينه ، أليس كذلك ؟ إذهب للشرطة .

— ماذا أقول للشرطة ؟

— تقول لهم مايطلبونه منك . ماذا حدث ؟ هل إيخيم هو حشيشه الزوفى (الزعتر) نما على الحائط أم شوكة نمت فى الحقل ؟ وربما شيئاً ، معاذ الله .

— ما الذى حدث ؟

— لا أعرف . عليك بالذهاب وإبلاغهم .

وذهبت إلى المدينة . وصلت ودخلت إلى قسم البوليس . ووجدت شرطياً يجلس إلى مكتب قال لى :

— أهلا وسهلا ، ما الذى حدث يا . . ؟

— عندى إبن إسمه إيخيم ، وهو أصغر أبنائى ، وقد خرج من الخيمة التى نقطن فيها ولم يعد .

وعلى الفور بدأ الشرطى يسألنى عن إسمى واسم أبى وعن أسماء كل أبناء الأسرة ، وعن وظائفهم وأعمالهم وتاريخ ميلادهم . وبعد أن سجل كل شيء فى الدوسيه الكبير أخرج دفتراً للاسماء وبدأ ينظر فيه ويفحص .

— ما هذا ؟

— قال لى الشرطى : هذه قائمة بالغلمان الذين قبض عليهم لأنهم لصوص .

— لصوص ؟ إن إيخيم إبننا ليس لصاً بأى حال من الأحوال ، ويمكننى أن أشهد على ذلك .

— إنك لا يمكنك أن تعرف . إنكم أيها الأمهات والآباء ، لا تعرفون هذا فى أى مرة من المرات . لماذا ، لأنكم تعتقدون دائماً أن أولادكم على خلق عظيم ، ولا تدرون شيئاً عما يدور فى ركن رأس هؤلاء الشياطين الصغار ، الذين يرغبون فجأة فى أن يعيشوا حياة سهلة ، ولذلك فإنهم يغافلونكم وبعيداً عن عيونكم

ومسامعكم يخرجون فى الليل ويقدمون بأعمال ليست طيبة ، ويخطفون أشياء ، من هنا وهناك ، ثم يجـدون مخبأ فى إحدى الخرابات — إلى أن نقبض عليهم .

— دخيلك ، إنك بهذا الحديث تقضى على بحقيقة محزنة للغاية .

— هكذا هو الأمر ، ما العمل . ولكن فى القائمة التى عندى لا أجد هذا الإسم الذى ذكرته . من المحتمل أن يكون هذا الشيطان الصغير قد إنتحل لنفسه أسماً آخر متعمداً ذلك فى البداية . من يدرى ؟

— من فضلك ، متى قبض على كل هؤلاء الغلمان ؟

— منذ أربعة أيام ، ومنذ خمسة أيام ، ومنذ ستة أيام .

— قلت له : آه ، لقد إختفى إبحيم ليلة أمس فقط !

وسألنى الشرطى وهو يبدى غضبه منى : لماذا لم تقل كذلك على الفور ؟

— قلت له : ليكرمك الرب ، إنى رجل عجوز جداً ولست أذكر ماذا قلت وماذا لم أقل .

— وهل تذكر ماذا قال الفتى قبل أن يذهب لحال سبيله ؟

— قال أنه لا يريد أن يبقى بعد ذلك فى المعبر .

— آه ، لقد كان هذا حديث ، ولـكن ماذا كان يريد ؟

— يريد أن يعيش فى فلسطين ، لأن المعبر حسبما قال ، ليس هو فلسطين .

— آه ، واضح ، واضح . سوف نعثر عليه . إنه لن يفلت من أيدينا .

— وحينما عدت إلى المعبر أمسكت بى زوجتى :

— ماذا قالوا ؟

— قالوا : على رأسهم وعلى عينهم ، سوف يبحثون عنه فى كل الشقوق والثقوب ويعثرون عليه وحينئذ سيخبرونا .

— هل ترى ؟ لقد قلت لك !

وفى المساء عاد هجرس وشمعون من عملهما :

— وماذا بعد ذلك ؟ هل عاد السرير الصغير ؟

وضحك شمعون بصوت عال وضرب كفاً على كف :

— معلهش ، سوف يعود هذا الشاب ، سيعود بالتأكيد . لا شك فى هذا . وحينما يعود هذا الشيطان بن الشيطان — سوف أحاسبه . ولكننى رأيت أنه ليست هناك فى حديث كليهما نغمة الثقة الكبيرة التى كانت فى حديثهما أمس ، وأنهما فقط يتظاهران بذلك . ولم تنم زوجتى مرة أخرى طوال الليل . وحينما قلت لها نامى يا إمرأة ، نامى ، لم تجب على قولى ونظرت فقط إلى مدخل الخيمة لترى ما إذا كان إيخيم سيتسلل وهو قادم .

وحل الصباح — ولم يأت إيخيم .

— وقال هجرس : إذا لم يعد اليوم كذلك فلابد من أن نفكر فيما يجب عمله .

— سجود وبركة لك يابنى ، ثم ماذا ؟

— نفكر .

— وقال شمعون هو الآخر : نفكر .

— من المستحيل أن نجلس هكذا منتظرين .

— ما الذى نعمله ؟

— نذهب إلى مأمور المعبر .

— ماذا سيفعل لى المأمور ؟

— ربما يفعل شيئاً ، من يدرى ؟

وذهب الأبناء إلى عملهم وذهبت أنا إلى الموظف الذى يدير المعبر . يجلس هذا الموظف فى كوخ خشبى ودخلت إليه . وهذا المدير يا أخى ، هو إنسان كله عبارة عن صندوق من العظام وشعره قد كساه الشيب .

ونظر نحوى وقد أصبحت ميتا .

— ماذا حدث ؟

— قلت له : السلام عليك ، إن البركة ستحل حيثما توجد — وحكيت له عن الموضوع .

— وما الذى يمكننى عمله فى هذا الموضوع ؟ . إن لدى هنا عشرة الآف نسمة ، وهل فى إمكانى رعاية كل واحد منهم ؟ إذهب للشرطة .

— لقد ذهبت ياحبيبى ، لقد ذهبت بالفعل ، وقالوا لى أنهم سيخبروننى حينما سيعثرون عليه .

— ثم ماذا ؟

— أمه قلقه جداً . إنها لا تنام الليل .

— وما الذى تريده منى ، أن آتى لكى أغنى لها أغنية المهد لكى تنام ؟

— ليست فى حاجة إلى أغنية المهد ، لقد جئت فقط لطلب المشورة .

— من أين لى بالمشورات والنصائح لكل شىء ؟ وماذا قال الفتى قبل أن يغادركم ؟

— لقد قال أنه لا يريد أن يعيش فى المعبر . وأنه يريد أن يعيش فى فلسطين ؟

— هل قال هذا ؟ ألا تعتقد أن ما قاله صحيح جداً ؟ أليس هذا علامة صحة أن يرغب فتى كهذا فى إقتحام النطاق وأن يذهب لكى يعيش كمواطن متمتع فى الوطن ؟

— طبقاً ، إن هذا علامة صحة جداً ، ولكن ، يامعلم ، إنه مازال صغيراً جداً ، ولا يعرف شيئاً على الإطلاق ، إنكم أيضاً كان يجب أن تتصرفوا مثله — كلكم :

— وقلت له : خير يهل عليك بدون مصر ، وسيأتى يوم وسنعمل هذا . . . رويداً رويداً .

— إن الشباب يعرفون كيف يدققون فى الأمور أكثر منكم . طوبى للجيل الذى يستجيب فيه الكبار . ويقال حينئذ أيضاً هل الجيل القديم أحسن من الجيل الجديد ؟ (أظافر الآباء ولا كروش الأبناء) ؟

— وقال الشرطى ، هذا لا يعنينا ، وتجهم وجهه وأغلق عينيه . وعلاوة على هذا — ليس لدى هنا فراغ لكى أنا قشك فى الأقوال المأثورة . ولكننى أعتقد أنكم ستتلقون خطاباً من إبنكم خطاب سيصلكم من إحدى الكيبوتسات * أو الموشافات** أو من أى كيبوتساه*** ، ولا داعى لقلقكم إطلاقاً . إنه بالطبع قد أحس وأدرك وإنضم إلى معكسر من معسكرات محقق النبوءة الكبرى لخلاص الشعب وبناء فلسطين .

وحينما عدت إلى خيمتى قلت لزوجتى ، أن المأمور يعتقد أننا سوف نتلقى قريباً خطاباً من ابنيم .

— خطاب ؟ ذهلت زوجتى . لماذا خطاب ؟

(*) المستعمرات الإشتراكية .

(**) المستعمرات التعاونية .

(***) كيبوتس فى طور التكوين .

— هكذا قال . من المحتمل أن يكون قد ذهب إلى كيبوتس لكى يكون من الأعضاء الطليعيين .

وحينئذ بدأت زوجتى فجأة فى البكاء .

— لماذا تبكين ؟

— لا أريد خطاباً ، لا أريد . إن هذا الخطاب أمراً ليس طيباً .

— لماذا ليس طيباً ؟ من أين لك أنه ليس طيباً ؟ لقد قال المأمور أن هذا شيء صحيح للغاية أن يذهب إيخيم من المعبر للكيبوتس . إذن لماذا يجلس المأمور هنا ولا يذهب للكيبوتس ؟

إنى لا أريد أى خطاب ، أننى أريد أن تعثر الشرطة عليه وخلاص .

— إنشاء الله .

وبعد ذلك كنت جالساً أنا وزوجتى على باب الخيمة ، وبركة تقفز أمامنا على قدم واحد وتغنى على طبق فنجان ينتقل من يد إلى يد كان الرجال يمرون فى المعسكر ولم يكن هناك من بينهم من تقدم وسأل :

أين إيخيم ؟ ما الذى حدث لإيخيم ؟ إن هذا أمر قبيح إلا يسأل أحد عنه . لقد مر شمعون مزراحى فى بيجامته ، ومرت مدام جنتيلا ، ومر عزرا بن دافيد والسيد سلومون — ولم ينطق أحد منهم ببنت شفة . فقط كان الذى تقدم وهو غاضب وثائر هو أبراهام الإيرانى الذى قال : ماذا فى ذلك؟ أهكذا تجرى الأمور فى فلسطين ؟ ماذا حدث ؟ هل نقيم هنا بين حوائط عمياء ؟ أيخطفون غلاما — ولا يحدث شيئاً على الإطلاق ؟

— وسألته : ما معنى الإختطاف ؟

ـ ما الذى أعرفه ؟ ولكن حينما يذهب فتى على هذا النحو فجأة ، وتجلس أمه قلقة وتبكى ، فإن هذا يكون أمر غريباً . إن حكومتنا ؛ أين هى ؟. ولم أرد عليه إطلاقاً ، ولكن زوجتى تقدمت نحوه وحكت له عن كل شىء منذ البداية لقد تعبت من كل شىء ، ولم أرغب فى أسمع ما هو أكثر من هذا ، ولذلك فقد أردت أن أوجــه تفكيرى فى شىء يفيد . وقلت فى نفسى : إن ما يقوله الإيرانى من أن الفتى قد تعرض للاختطاف هو جنون كبير . هل يقوم اليهود باختطاف فتى يهودى ؟ إذن ما العمل ؟ لقد كان إبخيم يذهب إلى كوخ الثقافة ، وهناك يوجد مدرس . أمن المحتمل أن يكون هو الذى أدخل فى روع الفتى شيئاً ما ؟ حقيقة أنى أعرف أن هذا المدرس قــد فعل أعمالا كثيرة فى أيام الإنجليز ، فكان يبحر بالسفن الصغيرة ويقوم بتهجير اليهود إلى فلسطين خفية وسراً ، وكان الإنجليز يطاردونه بالسفن الكبيرة ولكنهم لم يقبضوا عليه ولا مرة ، ولا مرة واحدة ، وقد عمل فى كل أنواع المناطق فى فلسطين، وهو الآن يعلم الأطفال فى معبرنا ، وهو شاب طيب جداً ويبتسم دائماً ولم يكن أبداً غاضباً فى أية مرة . وهل من المنطق أن يفعل شاباً كهذا عملا من هذا النوع فى أيام الإنجليز ، ثم يتصرف على هذا النحو فى عهد دولة إسرائيل ؟ هل يكون متقلباً من الأبيض إلى الأسود ومن الأخضر للاحمر ؟

وقلت أخيراً : ومع كل هذا ، فمن يدرى ، لابد من التقدم والسؤال .

ولم أقل شيئاً لزوجتى ، ولكن قمت وذهبت لتوى فرأيت كشك الثقافة مثل خلية النحل من كثرة ما فيه من الأولاد ، الكبار مع الصغار ، يحدثون جلبة وضوضاء ويتعلمون ويغنون .

وسألت : أين هذا الذى يعلم إيخيم ؟

وقالوا لى : هل تعنى شخصاً ما ؟ إنه ليس هنا هذا المساء . إنه يأتى إلى هنا أربع مرات فى الأسبوع . وسوف يأتى غداً .

وعدت إلى حيث كنت .

وفى هـــذه الأثناء غربت الشمس وبزغت النجوم فى السماء . وذهب أراءام الإيرانى إلى أولاده ، وعاد هجرس وشمعـــون من عملهما . جاءا ونظرا هنا وهناك ولم يسألوا عما إذا كان إيخيم قد عاد أم لا ، ولم يقولا شيئا عـــلى الإطلاق . وجلسنا لتناول الطعام ، وترامت إلى أسماعنا من كل الخيام والمبانى الصفيحية أصـــوات الأحاديث والضحكات والأصوات التى تنم عن السرور ، بينما الصمت يسود خيمتنا فقط ، لدرجة أننا كنا نسمع كيف تداعب الرياح الخفيفة فى الخارج ستائر خيمتنا . إن الرياح تداعب والستائر تهتز فى بطء . كانت الستائر تهتز وإذا بشخص يقف على المدخل .

— من هذا ؟

— إيخيم !

ودخل إيخيم ورمى علينا التحية ثم تقدم وجلس معنا على الطعام فى بساطة . وتطلع إليه شمعون وهجرس بعيون جاحظة ونسيا تماماً أنهما كانا ينويان صنعه لدى عودته ، وتطلعت أنا الآخر فيه ورأيت ، حمد الله ، أن شيئاً لم يحل به فيما عدا أن جلده قد لوحته الشمس وأصابه الهزال وبدت ملابسه متسخة — مطهش . ونظرت إليه بركة وهى فاغرة فاها كما لو كان شخصاً قد جذب

ذقنها إلى أسفل. وأطلت زوجتي عليه مرة واحدة ثم قامت على الفور فوضعت أمامه طبقاً من الطعام .

وبعد فترة من الوقت جاءت بنا القوة ، ووجد مجرس ما يقوله :

ــ أين كنت طوال هذه الفترة ؟

ورد عليه إيخيم : كنت ...

ــ وأضاف شمعون متهكما :

ــ وماذا فعلت طوال هذه الفترة ؟

ــ وقال إيخيم : صنعت ...

ــ هل هذا سر من المحظور معرفته ؟

ــ قال إيخيم : أي سر هذا ؟ لقد حدث ، أليس كذلك ؟ هناك موضوعاً لأحاديث كثيرة ، خلاص .

ــ قال له مجرس : حقاً إننا في فرح وسرور لعودتك، ويجب أن نغذيك ونسقيك ونقدم إليك في كل يوم وجبة معدة بالسمن ومجهزة بالعسل ، أتريد هذا ؟

ــ وقالت له زوجتي : خلاص ، خلاص .

ــ ما معنى خلاص ؟ إننا هنا مثل عربة تسير إلى مكان معين ، وإذا كانت عجلاتها تسير معاً فهذا حسن ، ولكن إذا إنحرفت فجأة إحدى العجلات ــ إذن فماذا يكون العمل ؟

وأحنى إيخيم رأسه في الأرض وسكت .

ــ وقلت له : لقد ذهبت إلى الشرطة للبحث عنك .

ــ وقال إيخيم : لم يكن هناك داع للذهاب إلى الشرطة .

ــ ولقد ذهبت إلى مدير المعبر .

— لم يكن هناك داع الذهاب للمدير .

— إذن فما الذى كان يجب على عمله ؟

— لا شىء على الإطلاق .

وقال له شمون :

— وإذا كنت قد فعلت هذا — فلماذا عدت ؟

— وقال إبخيم : كده .

— وهنا قالت بركة : كفى ، لا داعى للحديث والسؤال . لا داعى .

— وقالت زوجتى : غداً مساء السبت .

— وقالت بركة : غداً مساء السبت ، وفى ليلة الأحد لدينا عرض عن سليمان الملك . وسيكون هناك سرور .

وفى هذه اللحظة كنا نتناول الطعام على الحصيرة خارج الخيمة ، وحينئذ جاء المدرس من كشك هيولفن .

ورمى علينا التحية .

ورددنا عليه التحية وقلت له : تفضل بالجلوس .

— شكراً ، لقد جئت فقط للحظة واحدة لأننى يجب أن أعود من أجل الدرس.

— هل تأتى الآن إلى كشك الثقافة ؟

— وقال إبخيم دون أن يرفع ناظريه : لا . لن آتى فليست لدى رغبة .

— وقلت له : ما هذه المفاجأة . لقد كان هذا دائماً هــــو منى نفسك ، والآن لا تكون لك رغبة فيه .

— وقال المعلم : معلهش . لا شىء فى هذا على الإطلاق . إذا لم تكن لديه رغبة هذا المساء فإنه سيأتى ليلة الأحد أليس كذلك يا إبخيم ؟ ولكن إبخيم لم يجب

لا بالإيجاب ولا بالنفى . ولم يقل شيئاً على الإطلاق . وقام موسى وانصرف وجلست أنا حائراً بينى وبين نفسى :

ما هذا . ما هذا ؟ أيتجشم المدرس مشقة عناء المجىء بجلالة قدره وبنفسه ويطلب من إيخيم أن يأتى إلى الدرس ؟ ما معنى هـذا ؟ هل إيخيم إبنى دارس كبير جداً ، وماهر للغاية وعلى وشك أن يحيط بأعمدة الحكمة السبعة ، لدرجة أن هذا الشاب موشى يقلق عليه على هذا النحو ؟ إن هذا بالفعل لأمر عجيب ! أهناك أعمال تتصل بصلب الموضوع بين موسى وإيخيم ، أعمال لن تتم ، وقد إحتقرها إيخيم بينما يقوم موشى بالضغط عليه ؟

إن هذا غير معقول ! إن سر الشباب معاً — لا يظل سراً على مدى الأيام ، وسيكون هناك من يرجمهم فى معبرنا . بالتأكيد ، بالتأكيد !
حينئذ ماذا سيكون ؟

إنى أعرف عناء إيخيم ، ولذلك فقد التزمت الصمت ولم أسأله شيئاً ولم يقص لى إيخيم عن شىء على الإطلاق ، ولم يتحدث مع إخوته ، ولم يقل كذلك شيئاً لأمه . ولكن لمن قال وحكى ؟ لقد قال لبركة ، ولبركة بالذات ، لأنها الضياء الصغير لدينا ولا تدرك كثيراً . لماذا ؟

لست أدرى . ربما خجل منا ولم يخجل منها . إن هذا موضوع يتصل بالنفس الداخليه لإنسان فى حاجة إلى بحث من عاقل حكيم بالطبع .

وفى الغد حلت ليلة السبت ، وبعد ذلك جاء يوم السبت . وفى مساء السبت أقاموا فى كشك الثقافة عرضاً مسرحياً للملك سليمان واشمداى .

وعم السرور معبرنا وتدفق الجميع لكى يشاهدوا المسرحية ، الرجال والنساء والأطفال ، الجميع ذهب إلى هناك — ماعدا السيد سولومون وزوجته

وعداً مدام جينتيلا ، كذلك فإن هجرس وشمعون رفضاً الذهاب وقالا : سنذهب إلى المدينة وندخل السينما لأنهم فى السينما يشاهدون كل ما يدور فى العالم بأسره بينما فى المعبر كل شىء هو عبارة عن أقل القليل الذى لا يعتد به .

أما أنا وزوجتى استير فقد بكرنا فى الذهاب لكى نحجز أماكن ، ولكن بعد أن جلست بعدة لحظات بين الجمهور قلت فى نفسى : لماذا أقوم بتبديد الوقت بمجرد الجلوس ؟ ماذا أنا — بئر خالى ليس فيه ماء ؟ ألست على بينة وعلم بكل حكاية سليمان الملك وأشمداى ! وقمت وعدت إلى خيمتى واضطجعت على مرقدى — وبينما أنا مضطجع بين النوم واليقظة وإذا بإيخيم يأتى ويجلس على الحصير أمام الخيمة . وعلى الفور قفزت بركة وقالت :

— إيخيم ألن تذهب لمشاهدة العرض المسرحى ؟

— قال إيخيم : مازال هناك وقت .

وجلست بركة إلى جواره وصمتت ، وكان كل منها يعتقد أنه ليس هناك أحد فى الخيمة لأنهم رأونى حينما ذهبت مع أمهم إلى الكشك . وظنو أننى مازلت جالساً هناك وأتسلى بقزقزة المسليات .

وبعد فترة قصيرة همست بركة سائلة :

— إيخيم ، هل كان هذا أمراً صعباً ؟

— أى أمر ؟

— ذلك التعلق بذهابك وعودتك .

— وقال إيخيم : معلهش ، إننى لم أنته بعد من هذا الموضوع .

— هل ستذهب من هنا مرة أخرى .

— سنرى .

— ألا تعتقد أنك أصغر من اللازم إلى حد ما ؟
— فقال لها إيخيم : إذهبي عنى أيتها الغبية . . . إذهبى !

وساد الصمت بينهما بينما أنا راقد على السرير وقد وجهت أذنى نحوهما .
وحينئذ بدأ إيخيم فى الحديث فجأة ، ولم تقم بركة بحفزة على الحديث تماماً .
وحكى لها هامساً ، يهمس ثم يتعلثم ويتوقف فى الحديث ، ويتناول من على الارض قطع من الحجر ثم يدحرجها فى خفته ويعود فنسرد الحديث من جديد على أسماع بركة . ماذا فعلت بركة فى هـــذه اللحظة ـــ لست أدرى ، لقد كانت تجلس أمامه كالنعجة الخرساء وقد كان قلبها بالتأكيد يدق بشدة ، ولـكننى أنصت وسمعت كل كلمة من مرقدى فى الظلام بينما الدهشة تملأنى من ذلك القلب الصغير الذى يملكه إيخيم والملىء بالحواجز التى لانهايه لها . أما ما سمعته فإننى أذكره جيداً .

حينما إنطلق إيخيم إلى المدينة لم يدر ماذا سيفعله . لقد أخذ يدور ويتجول من شارع إلى شارع ومن حى إلى حى وشعور من الخوف فقط يسيطر على قلبه وهو : ألا يقابل معاذالله شمعون أخوه .

وبعـد أن هدأت أفكاره بعض الشيء اندفع إلى إلى السوق ، وقابل إحدى السيدات التى أعطته أحمالها ويسير خلفهاويقوم بتوصيلها إلى منزلها ، وأعطته مقابل هذا عـدة ملاليم . وذهب وأشترى طعاماً لنفسه وأكله . وعاد مرة أخرى إلى السوق عله ينال أجراً ـــ ولـــكن الحمالين القدامى تحاملوا عليه وطردوه من هناك . وبعد ذلك أخذ يدور على محلات البقالة ويسألهم عما إذاكانوا فى حاجة إلى مساعد ـــ ولـكنهم لم يقبلوه . وعلى هذا النحو مر عليه النهار وحل الليل وهو لا يملك مكاناً . للمبيت . فدخل إلى حديقة المدينة وأراد أن يرقد على أحـد المقاعد ولـكن ما العمل وكل المقاعد شغلها الشباب

والفتيات فى الظلام وقـــد أنشغلوا فى ممارسات الحب ولامكان خال بينهم ـــ وظل هـؤلاء جالسين حتى منتصف الليل ساعة اثر الاخرى وإبخيم يتمشى بين الاشجار وينتظر . وأخيراً عثر على مقعد تحت أحـــد أعمدة النور فرقد ونام .

لكن البرد أيقظه فبدأ مرة أخرى فى التجول عل الدفء يصيبه ، وقبل حلول الصباح عاد فرقد ونام .

وفى الغد خرج مرة أخرى ليبحث عن رزقه فى المكاتب وفى الحال ـــ ولكنهم لم يقبلوه . وذهب إلى الجراجات وإلى الورش ـــ ولكنهم أيضاً لم يقبلوه . ولم يجد أمامه غير أن يسير ، وفى خلال سيره وجـــد رجلا عجوزاً يجلس ويقوم بتنظيف الاحذية فى ركن الشارع ـــ فجلس لتنظيف الاحذية مكانه وتمكن من الحصول على عدة بروطات إشترى بها خبزاً . وفى الليل عاد لكى ينام فى الحديقة .

وفى اليوم الثالث رأى أنه قد جاع وأن قوته قد وهنت وليس هناك من عمل له ـــ فواصل المسير ووجد عصابة سوداء فربطها على إحدى عينيه ، ثم أخذ عصابة أخرى فشدها على عضد يده ، ثم تناول عصبة ثالثة وشدها على قدمه واتخذله مجلساً فى ركن أحد الشوارع ووضع علبة من الصفيح أمامه وأخذ يترنم فى همس بلحن الشفقة ويمد يده إلى الغادين والرائحين . وما أن تجمع لديه بعض المال حتى ذهب واشترى خبزاً وزيتوناً وأكل سراً فى مدخل مظلم وبعد ذلك عاد إلى مكانه فى ركن الشارع دون أن يشك فيه أحد . ولكن مر فى هذه الاثناء بطريق الصدفة مدرسنا وعرف صوته وتعرف على جمجمته وعرف حركاته ، فوقف جانباً وأخذ ينصت إليه لحظة . وبعد ذلك تقدم نحوه وقال :

— إيخيم ، ما هذا ؟

وتحكم إيخيم فى نفسه ولم يجب على الإطلاق .

ولكن موشى الشاب وقف أمامه وقد جحظت عيناه .

— ماهذا الذى تفعله فجأة ؟ أمن أجل هذا لم تأت لا أمس ولا أول الأمس ؟

كل هذا وإيخيم جالس وهو يهمهم بفمه .

— هل والدك هو الذى أرسلك لتصنع هذا ؟

— إن أبى لا يعلم عن هذا شيئاً على الإطلاق .

— أهى أمك ؟

— هل أخواتك ؟ لا . لا . لا . إن هؤلاء من العمال المجدين ويعملون جيدا

— وقال إيخيم : أنا بنفسى الذى سرت وجئت إلى هنا .

— لماذا ؟ لماذا ؟

— هكذا ماحدث . قال إيخيم ولم يوضح حتى لمدرسة سبب مايفعله .

— قم وتعالى معى لنشرب القهوة . قال له موشى

— لا أريد قهوة .

— هل فعلت بك شيئاً على الإطلاق حتى لا تريد أن تشرب معى القهوة ؟

حينئذ قام إيخيم ونزع العصابات من على أعضائه وسار خلفه .

ولكنه وقف فى الطريق فجأة وقال :

— لا أريد القهوة . إننى سأذهب لحال سبيلى وسأعود للمعبر . ولم يعترضه موشى .

وفى نفس المساء عاد إيخيم إلى خيمتنا . وخلاص .

ثم ماذا

هل تعتقد ياحبيبى أن هذه هى النهاية ؟ لاليس الأمر كذلك .

هل ترى ذلك التل الواقع هناك ؟ إن هذا التل ليس بعيدا عن هنا وفيه كل أنواع المغارات القديمة ؟ ولكن الطريق إلى هناك ملىء كله بالعوسج . إذن ما العمل ؟ لقد وجد إنخيم صديقاً له هو غلام مثله ، ذهب كلاهما واختارا لهما إحدى المغارات فوضعا فيها سريرا وناما هناك . وهما يأتيان إلى المعبر لتناول الطعام ، ولكنهما يذهبان للنوم فى المغارة . هما لايخافان ، لأنها لديهما أحجاراً كبيرة بالقرب من المغارة لسد فوهتها فى الليل . وهما يتخذان من هذه العملية لعبة لهما ويقولان لأنفسهما أنهما خارج السور وأنها لا يقيمان بعد فى المعبر . حسن ، ماذا حدث ؟ إن الفتيان سيواصلان اللعب ولن يحدث لهما شىء على الإطلاق ، وزوجتى لا تقول شيئاً ، ولكنها تعانى فى الخفاء ، وفى كل مرة يتأخر فيها إنخيم عن المجىء إلى خيمتنا ينقبض قلبها وتسألنى .

وأتظاهر أنا بأننى لا أسمع .

مائيريكو

بقلم يهودا بورلا

وصلت إلى مدينة كبيره فى دولة كبرى بأمريكا الجنوبيه ، كمندوب من قبل المؤسسات القومية عام ١٩٥٧ بعد عملية سيناء وتصفيتها من الناحية السياسية . كانت هذه هى المره الأولى التى يرسل فيها إلى هذه الدولة مبعوث أديب هو بالإضافة إلى ذلك « سفاردى » (الصفه التى نسيتها منذ فترة طويلة) . ولكن من أرسلونى ومن استقبلونى لم يكونوا قد نسيوها على الإطلاق كما بدا لى هذا بالإضافة إلى صفة أخرى وهى أننى : أورشليمى .

إن الطائفة اليهودية الكبيرة هناك مشكلة من خليط الوافدين من أقطاب العالم الأربعة بالفعل ومن بينهم كذلك بضع عشرات من الأورشليمين الذين هاجروا من القدس على فترات مختلفة .

خلال اليومين الأولين لوصولى تمت إقامة ثلاث حفلات عامة كبيرة وسمعت الآلاف من التعليقات بخصوص مايجرى فى إسرائيل عامة ، وعلى الأخص بالنسبة للحدث الكبير الأخير . عن مضمون ، وقيمة ونهاية عملية سيناء الحزينة .

وفى خلال هذه الخطب وغيرها تمت بسرعه علاقات طيبه وروابط قلبية بين المبعوث وأبناء الطائفة .

إذا كان أبناء الطائفة ، من شتى المذاقى ، قد فرحوا بالمبعوث ، وشكروه ، وكفلوا له الشهره ، وضاعفوا له كذلك مساهماتهم وتبرعاتهم ، فإن أبناء القدس من بين أبناء الطائفة ، اعتبروا أنفسهم بمثابة عرسان وأن ضياء المبعوث هو بمثابة

، ضياء ساطع عليهم ، وكانوا كلما أتيحت لهم الفرصة قاموا بمديحة وتعظيمه وتباهوا ويتفاخروا به .

وبعد أسبوع ، أو عشرة أيام ، على وجودى فى المدينة ، وبينما كنت مسترخيا فى المساء فى صالة الفندق ، أخبرونى بأن امرأة بسيطه تقف على الباب وتريد أن تصعد لتتحدث معى لمدة لحظات .

وسمحت لها ودخلت امرأة محدودبة الظهر بعض الشىء ، ترتدى فستانا بسيطا ونظيفاً ، وتبلغ من العمر حسب مظهرها مابين الخمسين والستين عاما ، ولا تتميز ملامح وجهها بأى صفة من صفات الجمال ولكن شكلها مع هذا لم يكن قبيحاً .

وبدأت الحديث بلهجة مؤدبة عن الإزعاج وعن التجرؤ وقالت : إننى مرسلة إلى سيادتك من قبل سيدى ، وليس زوجى ، لكى أقول لك أنه ، أى سيدى وهو مانيريكو فويلر الاورشليمى ، الذى تذكره بالطبع ، لأنكما كنتما تقطنان متجاورين الفناء بجوار الفناء ، وكنتما تستطيعان التلاقى ومشاهدة بعضكما فى كل يوم . ولكنه أمرنى أن أقول لك أن تأخذ الحذر فى إستعمال إسمه : فلا أحد هنا يعرفه باسمه الاورشليمى .. لا أحد بالمره . إن له هنا إسماً آخر وهو يقيم فى هــذه المدينة منذ خمسين عاما بالاسم الآخر . وهو يطلب منك الغفران ، ويقبل يديك لكى تأتى أنت إلى منزله ، فلديه الكثير مما يتصل بك ، وهو لايستطيع — ليس مناسباً له بأية حال من الاحوال — أن يأتى إليك .

— هل هو مريض ؟ هل من الصعب عليه أن يأتى ؟ هل هو عجوز ؟

— لا إن صحته جيدة . صحيح أن عجوز ، ولكنه صحيح الجسم تماما .

إنه يريد من سيادتك أن تسمح وتقول لى هل أنت موافق على أن تأتى إليه —

أم لا . إذا كنت ستوافق ، تعطفا ، فهاهو العنوان فى يدى ، يمكنك أن تأتى مساء الغد فى التاسعة . وإذا لم توافق على قبول الدعوة فإن هذا بالطبع ، لن يحفظه عليك ولكن مما سيضايقه جداً أن يؤجل هذا الأمر ، ومن يدرى إلى متى ، ومن يعرف ما إذا كانت ستتحقق أمنيته أم لا . وسيؤسفه هذا للغاية .

— قولى له من فضلك أننى سآتى بكل رضا .

— أنا سعيدة . وانحنت ثم خرجت .

وخرجت السيدة — أما أنا فقد عدت دفعة واحدة إلى الوراء خمسون عاما . إلى القدس ، وها هو ذا ماتيريكو ، الشاب الفوضوى ، المخادع ، الآثم ، الذى كانت تساعده يده فى الخداع والنفاق والتآمر . وفى هذه اللحظة أخذت تطوف وتتدافع فى ذاكرتى أحداث وحوادث وقضايا ماتيريكو ، مثل الشرارات التى تتصاعد وتتطاير من كومة النيران الكبيرة . وفقط وعلى سبيل المثال ليس إلا ، سأذكر حادثة إجرامية واحده لولد شرير واحد حسبما عرفت فى حينها بتفاصيلها الدقيقة للكثيرين فى القدس :

الحادثة الإجرامية : باعت جماعة من البدو من شرق الأردن كمية كبيرة من من الشعير للتجار العرب فى « البازار » (مخازن الحبوب) فى شارع هيمارك فى القدس وأخذت فى مقابل ذلك عشرة أو اثنى عشر جنيها من ذهب نابليون (وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت) .

ووضع رئيس الجماعة العملات الذهبية فى (كمر) وهو حزام مصنوع على هيئة جيب طويل ، وماذا يمكن أن يكون أكثر أمانا من حزام ملفوف حول الوسط ولكن ، وفى مواجهة نشال وقاطع طريق ومغتصب مثل ماتيريكو لا يوجد

أمان فى أى مكان ، وفى أى زمان وفى آية حال من الأحوال . وقام مائيريكو الذى يتجول بإستمرار فى الأماكن التى توجد فيها المخاطره (بالعمل) بمتابعة جماعة البدو منذ لحظة مجيئهم لبيع بضاعتهم إلى أن قادتهم جمالهم وحميرهم إلى الخان (فندق للحيوانات) . ودخلت الجماعة كلها إلى المقهى لتناول الإفطار وشرب القهوة والاستراحة . وكان المقهى كبيراً ومتسعا ويضم فى شعابه وفى أركانه . وفى وسطه عشرات من جماعات الزبائن .

ولكن الضوضاء كبيره . فهناك طرب وغناء وأحاديث كذلك . وجلس مائيريكو فى أحدى الزوايا المختبئة بحيث يتمكن هو من الرؤية ولا يشاهده أحد ، وأخذ يدخن الزجيله فى هدوء بينما كانت عيناه مركزين على (جماعته) وجلس ساعة أو ساعتين . وما أن رأى أن محبى الإستطلاع أخذوا فى التجمع حول جماعة البدو وخاضوا فى الحديث معهم وقام شخص بالتحدث بصوت ذى نغمة بدوية وإتسعت دائرة محبى الاستطلاع من حولهم ، وهنا وجد مائيريكو أن الفرصة سانحه للمرور بجوارهم ، وبطريقة خفية ألقى جمرة نيران صغيره فى ظهر البدوى المتأزر بالحزام . وبعد لحظة أخذت الجمرة فى التنقل وشعر البدوى أن هناك ناراً تشتعل فى ظهره فصرخ فى فزع ، ولأنه أخذ يتلوى ويتحرك بشكل هستيرى ، فإن الجمره المشتعله أخذت تنتقل من مكان لآخر فى جسمه وتجعله يصرخ بصورة أبشع ، وانهمك فى التخلص من الملابس . وفى خلع قميصه وعقـــاله وحزامه أيضاً .

ولما كان البدوى لا يرتدى أى نوع من السراويل الداخلية على الإطلاق ـــ فإنه بدا فى صورة قبيحة وعمه الارتباك حينما وقف شبه عار من فرط أحساسه بالخجل وزادت الفوضى والإرتباك والبلبله بين جمهور محبى الاستطلاع المتجمعين .

أما مائيريكو الذى كان يقف هو الآخر بينهم فقد أخذ يجذب الحزام رويدا رويدا . وما أن أدرك أن الجميع قد تعلقت نظراتهم بالبدوى المحترق حتى مد يده إلى الحزام ولفه حول وسطه وانصرف فى هدوء من المقهى ، وبعد ذلك واصل طريقه جريا واختفى .

فى تلك اللحظات التى طافت خاطرتى فيها بعض الحوادث والقضايا المرتبطة باسمه ، تمثلت أمامى كذلك ملامحه وقسمات وجهه ، كانت هيئة فطة نادرة . شاب متوسط فى قامته وفى هيئة جسمه . وشكله مستدير . وكانت تشوه وجهه أخاديد الجدرى . ونظرات عينيه حادة وثاقبة ، وإن كان بها بعض الشىء من الحول وأنف وشفتان سميكتان وذقن بارزة .

كان بهيئته هذه قاطع الطريق الوحيد فى الشارع اليهودى ، وكان يحمل كل السمات المميزة لعالم المجرمين : لقد كان لدى مائيريكو الأخلاقيات والشرائع والرحمات الخاصة بهـــذا العالم . وإذا كانت السمعة السيئة قد التصقت به كالجلد الملتصق باللحم ، فقد كانت تتردد عنه احياناً كلمات خـــير . ولم يكن الصوت الذى يرددها يجهر غالباً بما يقول ، بل كان خافتاً ويتناقلها سرا فى بيوت اليهود وفى مستعمراتهم ، وذلك لأنه من الصعب أن يخفا شىء مما يجرى . وقد كان يتم التلميح إلى هذا الشىء فى حديث هامس للغاية يقول : « أنه (اى مائيريكو) إنتقم من الكفرة أو « أنه فى مكان ما (عملية) سرقة كبيرة » ، وأن رفاقه المقربين إليه يشهدون بأن كل (الدخل) قد تم توزيعه على المحتاجين والمعوزين. ولكن الانطباع العام لدى مجموع الطائفة تجاهه ، كان أنه يسعى وراء الحوادث الإجرامية والمؤامرات وعمليات الخداع مع الطيش أو الاستهزاء والسخرية دون داع أو فائدة ، لا بالنسبة له ولا بالنسبة لغيره .

ومن هنا فإنه كان لغزا فى نظر الكثيرين ، وعلى الأخص بالنسبة لأولئك الذين يعرفون أسرته الطيبة أو أبية الذى يخشى الرب والذى يقيم الشرائع ولا يعمل إلا الأعمال الخيرية تماما مثلما يسعى وراء الأعمال التى تدر الأرباح .

وفجأة — اختفى مائيريكو من المدينة ولم يعرف احد ما الذى جرى له . وها أنذا أتلقى اليوم خبر من مائيريكو .

حينما وقفت فى اللحظة المتفق عليها فى مدخل منزله وفتح الباب عرفت أنه هو الذى قام بفتح الباب . وأردت أولا وقبل كل شىء ان اتفحص وجهه جيداً ، ودهشت ، نفس النظرة من عينيه التى بها ما يشبه الحول ، نظره حادة وثاقبه تماما مثلما كانت فى ذلك الحين ، بينما بدت سائر هيئته كما لو كانت قد تحسنت وأصبحت أكثر لطفا ورقة على نحو ما ، وربما بسبب ذلك السيل من شعيرات الشيب التى لم تكن كلها بيضاء ، وبسبب الشارب الكثيف إلى حد ما الذى يغطى شفتيه وفمه . لقد بدا وفق منظره العام مثل كتلة آدمية أى : جسد ممتلىء ، غير سمين ، وسميك وعريض المنكبين والظهر ، وبدا كله أصغر بعشر سنوات من سنه الحقيقى . ومد إلى كلتا يديه وقال بلغة بسيطة منبسطة : مرحبا ياسيد يهودا ، تعال تفضل بالدخول لعلنى قد انتظرتك عشرات من السنوات . وبينما نحن نسير فى مدخل المنزل قال : أرجو أن نتحدث بالاسبانية وليس بالكستليانو . فلنتذكر تلك الأيام لاننى لا أعرف التحدث بالعبرية . وإن كنت أفهم الكثير منها .

وأجلسنى على كرسى وثير شعرت انى غرقت فيه . ثم سحب الكرسى الآخر وقربه نحوى وأمسك بيدى وقبلها ، ولاطفها ثم قال : إننى أقبل عن طريق يدك كل اليهود الذين كانوا فى القدس منذ خمسين عاما . لقد كنت أريد أن أسكب دمعة واحدة على الأقل ، على كل السيئات التى صنعتها وسببتها للقدس فى غضون تلك

الايام ولكننى لا أستطيع أن أبكى ، فمنذ وجدت، وحتى فى أسوأ الايام حينما هاجم الموت زوجتى لم أكن أعرف كيف أبكى، ولست أعرف لماذا لا تصعد الدموع إلى عينى . ولكنك تعرف يايهودا أنى منفعل اليوم كما لم أنفعل من قبل . انى ما أن رأيتك حتى دق قلبى كالساعة . وهو لم يدق على هــذا النحو إلا مرات قليلة ، لأن قلب الإنسان مثل البحر الصغير ، واليوم توجد عاصفة فى البحر الصغير فلنجلس ولنستريح ولنتناول شيئا .

وبعد فترة قصيرة بدأ صاحب المنزل الحديث وقال : أريد الآن أن أقول لك لماذا تجرأت أنا الذى لا أساوى ظل ظلك على ازعاجك ومضايقتك بدعوتك للمجىء إلى منزلى . فى الحقيقة أنى سأظل أشكرك على طيبة قلبك ودماثتك .

لقد استدعيتك من أجل موضوعين : الموضوع الأول هو موضوع بسيط وعميق فى آن واحد . أنى منذ أن أدركت أنك بالفعل المبعوث القادم الينا هذه المرة دق قلبى بعنف بين جوانحى وقررت أن اطلب التحدث معك ، والتكلم إليك ، وأن أسمع منك ، وأن تحكى لى وأن أحكى لك ، لانى لزمت الصمت لمدة خمسين عاما كنت فيها مجهولا ، ومختفيا وضائعا وشبه ميت . وها أنا الآن أشعر وكأنى قد وجدت نفسى ، وإنى أعيش وموجود . كمن كان من سكان القدس ثم عثرت أنت على .

ولكن قل لى ، من فضلك ، أولا : هل من الممكن أن أتحدث معك بصراحة وانفتاح وبحرية ، ووفق مايشعر قلبى وحسبما ما يطرأ على بالى ، كذلك فإنه يمكنك ياسيدى إذا شئت ذلك ، أن تسأل عن كل ماتريد السؤال عنه بدون تردد أو ارتياب ـــ أم أن نتحدث أحاديث لف ودوران ومصقوله ، ليست ساخنه وليست بارده ، وأن أذكر لك ماهية الموضوع الثانى الذى دعوت بسببه وننتهى ؟

ـــ لا . لا ياماثير . انى أفضل مائة الحديث الصريح الحقيقة ، والمنطلق ، على الحديث المموه ، التنكرى ، تماما مثلما يفضل كل انسان العملة الصالحة على العملة الزائفة .

هذا حق يايهودا . ولـكن من مثلك يفهم أنه من المستبعد الحديث والحكاية عما حدث لى فى فترة خمسين عاما . انى لـكى أوفى بهذا لن تكفينى أيام عديدة . ولذا فانى سوف أحكى لك ، حسبما يقولون ، شيئا (عن رؤوس الاصابع) .

ليس هناك داع بالطبع لان أحكى عن مائيريكو فويلر الاوشليمى أى شىء (قالها ضاحكا) وذلك لانك تعرفه جيدا ، وأنت بالطبع تذكر أعماله وجرائمه حسبما هى وارده فى (الأربع والعشرين) (٥)

(وكل من يسمعها تقتلع أذناه)

ـــ ماهذا ؟ إنك تعرف آية وما زلت تذكرها ؟

ـــ إن الآيات التى تعلمتها فى طفولتى فى مدرسة (تلمود توراه) ماظلت عالقة بذاكرتى مثل المسامير . وعلى وجه العموم فإننى اتمتع بذاكرة طيبة ، طيبة جدا . انى أذكر كل شىء ،كل ما مر بى عبر كل السنوات ، منذ ولدت حتى اليوم . حتى الأشياء الصغيرة والتافهة والعرضية . إنظر ، حينما كنت فى الثانية عشره درسته فى (الجمارا) ستة أشهر ، ومازلت أذكر حتى اليوم عدداً من فقراتها .

ـــ إنك رجل مدهش ! ألم تستطيع ان تدرس لتعرف الكثير وتصبح متعلما . يا لذاكرة كهذه !

---

(٥) يطلق السفارديم من بين اليهود على اليهود على العهد القديم إسم (أربع وعشرون) وذلك بسبب الأسفار الاربعة والعشرين التى يشتمل عليها العهد القديم .

حقا ، ربما . ولكننى كنت فى صباى مسكينا ... ويائسا ... وربما سأحكى لك عن غير هذا . ولكننى أرى فى الحقيقة ، أنه من الصعب على أن أحكى عن سيل جارف من الأشياء عن نفسى . أننى لا أعرف كيف أبدأ ، ربما تحسن صنعا لو سألتنى أنت .

— هذا حسن ياماثير ، صدقت . وهنا آنذا — بالرغم من أننى أعرف ماضيك فى القدس ، أرى أنه لابد وأن أسألك سؤالا واحدا عن نفس هذه الفترة ، التى هى فى النهاية ، جذر وأساس لحياتك . وإذا تمعنا وفهمنا هذه الفترة فربما سوف تتضح لنا أشياء كثيرة ، وعلى هذا النحو فإن سؤالى هو : هل يمكنك أن تقول لى فقط : ما هو السبب والدافع ، أى ، ما الذى دفعك حينذاك إلى إرتكاب كل هذه الجرائم الصعبة القاسية بدون حتمية وربما بدون فائدة لك ؟ وتوقف صاحب المنزل لحظة طويلة ، وبعد ذلك قال : لقد كان هناك بالفعل عاملان : عامل رئيسى ، والعامل الثانى أقل خطوره .

أما العامل الرئيسى ، فهو اننى كنت دائما سريع الغضب ، ودائم الاستياء ، وساخطاً على نفسى ، وعلى وجهى ، وعلى شكلى . كنت احتقر نفسى بسبب قبح وجهى . وكل مافعلته فى ذلك الوقت — فعلته بسبب الغضب والاحتجاج والثورة ضد من أفسد وجهى على هذا النحو ، ضد الرب ! كذلك بعد أن أرتديت عصابة الدلاة (التفلين) بدأت أشعر بشىء ، كنت أشعر به فى سنوات طفولتى من قبح وجهى . وحينئذ كففت عن الصلاه . ومنذ ذلك الحين وأنا لا أصلى وبعد ذلك ، وطوال سنوات حياتى الطويلة كنت أكثر دائما من التفكير — ربما سأحكى لك بعد ذلك — ووصلت إلى نتيجة هى اننى لا أؤمن بأى حال من الأحوال ولا فى أى ظرف من الظروف ولا بأية صورة من الصور ، بأن الرب قد أعطى نوعا من الدين لليهود ونوعاً آخر للعرب ونوعاً

ثالثا للمسيحيين . ولكن ليس هذا الآن هو موضوعنا . لقد أعتقدت ورأيت أنى مكروه من الخلائق وأصبحت الخلائق مكروهه منى . ولأيام كثيرة ، وليس لأيام بل سنوات كثيرة ، كنت أفكر دائما فى كرب نفسى هذا : فى وجهى الكئيب . وفى الحقيقة فإنى منذ ولدت لم أسمع كلمة طيبة ، رقيقة ، من أى إنسان عنى . فقط إمرأة واحدة هى حبيبتى البعيدة ، وحكيمة جدا (يتراوح عمرها بين ٤٥ ، ٥٠ سنه) وجميلة وطيبة ، كنت أعرفها من بعيد ، وخاضت معى فى أحاديث مرة ومرات ، كانت تحدث إلى بإشياء كانت تنزل على قلبي كالبلسم الشافى ، وكنت حينئذ شابا أبلغ ، من العمر ثلاثا وعشرين عاما ، لم أكن مستقيما ، ولكن هذه المرأة كما لو كانت قد سحرتنى بأقوالها الحكيمة وبنصائحها . لقد كانت هناك عدة أشياء قالتهالى ، وفكرت فيها بنفسى مثلها . ولكن هناك أقوالا لم أتصورها ، ومن ذلك ، قالته لى ذات مرة من أنى يجب أن أكون مقربا إلى نفوس الناس ، بل ومحبوبا إذا ما أكثرت من حسن المعاملة مع الخلائق ، لأن أعمال الخير والعطف ، والرحمة والمساعدة للغير تلطف وتنقى النفس البشرية وهذه الدلائل تزداد فى داخل الإنسان وفى نظرات عينه . لقد قالت لى انها تشعر أنه توجد ملامح رقة فى عينى ، وأننى قريب إلى نفسها بالفعل وأنها تشعر كذلك بما ينطوى عليه قلبى لأنى مقرب إلى نفسها وسأجهرأ وأقول لك أنى كنت على إستمدادلان اثبت لك أنك مقبول منى ، بأن أشبع رغبتك وشهوتك حسبما تشهينى ما لم اكن زوجة لرجل أخر ، لأن من العبث والحمق أن أقوم تجاهك بعمل طيب وجميل بالنسبة لك ، فى الوقت الذى يعتبر فيه نفس هذا العمل بمثابة حماقة وخسه أولا وقبل كل شيء ، تجاه نفسى وبعد ذلك تجاه زوجى وأبنائى وكل إنسان ، بالرغم من أن الأمر من الممكن أن يبقى سرا خافياً ولكن يكفى بالطبع أنى أعرف ما فعلت . ولذلك فعليك أن تتذكر دائماً فى لحظات الحرب القاسية ، القاسية جدا بينك وبين رغبتك الجنسية جاهد وحارل

أن تتغلب على نفسك . إننى أتذكر أقوالها ، كما لو كنت أسمعها اليوم . وقد قال حكماؤنا : أى بطل هذا ، يتحكم فى رغبته الجنسية . وإذا كنت بطلا كهذا ، فمن شأنك أن تنجح فى الحياه من ولقد كانت هى التى أشارت على بأن أعجل بالسفر الى أمريكا لكى أتخلص واتطهر من كل البقع العالقة بى وأن أبدأ فى أن أكون إنساناً آخر ، طاهرا ، فى بلد بعيد .

وخــــلال شهرين أو ثلاثة أشهر حصلت على المال اللازم لتذكرة الباخرة . وأعطتنى نفس هذه المرأة الطيبة جنيهين من الذهب . وعلى فكره ، فمنذ عشرين عاماً بالتقريب حينما إستطعت أن أتعرف على أخبارها علمت أنها توفيت فى عام ١٩٣٠ . ولم أحظ بأن أرد لها مديتها المالية . لقد حزنت أياماً كثيره على هذه المرأه التى كانت لى بمثابة منقذتى وصديقتى ونبيتى . ها آنذا ياسيدى المحترم قد قمت بما ترغب فيه وحكيت لك الكثير عن سيرة حياتى فى القدس منذ خمس عاماً . والآن فلنحاول أن نتناول موضوعنا .

— حقاً ، ياماثير ، ولكنك لم تذكر لى بعد ماهو العامل الثانى الذى دفعك إلى أعمالك فى القدس :

— حقاً ، هذا صحيح . لقد كان السبب الثانى هو غطرسة ، وتكبر العرب المسلمين فى القدس وفى فلسطين . لقد كنت مختلطاً بهم ، وكنت أسير فى رفقتهم وعرفت نوعيتهم . ولقد كنت أحتقر نفسى دائماً من كثرة تفاخرهم وتسلطهم علينا . لم أستطع أن أسمع كيف يتحدثون هكذا عالياً فى آذاننا ، كما لو كانوا ملوك البلاد وحكامها . وناهيك عن ان إحدهم وهو « الابضاى » (الفتوه) العربى كان يلقى الرعب فى شارع اليهود ويجترىء على المساس بإمرأه أو فتى يهودى ، هذا بينما اليهود يقفون إزاءه ملجمى الأفواه . وأنت تعرف كم من المرات هجم اللصوص (المسلمون

القرويون) فى الليل على منازل اليهود وطعنوا وجرحوا الرجال والنساء — ولم يكن هناك من يحتج أو يقوم بالإنتقام . ولقدقمت أنا بالإنتقام عدة مرات بصور فرديه ، وفى الخفاء ، وفى السر ، وكثيراً ما كنت أضاجع نساءهم المحجبات اللاتى لا يظهرن على الملأ ، كنوع من الإنتقام . . . ، ولكن ما الذى يمكن أن يعمله ماتيريكو واحد . « هل أستطيع مغالبة السيل ؟ » (قالها بالعبريه) . ولكن لو كنت واصلت العمل على النحو الذى كنت أتبعه لانتهى فى الأمر إلى القبض على . ثم بعد ذلك ؟ ولذا إضطررت ، آنذاك إلى مغادرة القدس حسبما يقول المثل والعين لا ترى ـ والقلب لا يغتم» . وحينماجئت إلى هنا ، واصل حديثه بأسلوب تلغرافى ، أردت أن أتنكر . فإبتعدت عن اليهود حتى لا يتعرف على أحد من القدس . وكنت أقيم دائماً فى أطراف المدينة ، مرة بين المسيحيين وأقول إننى مسلم ، ومره فى منطقة بعيده أخرى بين المسلمين وأقول إننى مسيحى . ولم أتصادق مع أحد ، وكنت أعمل عملا قاسياً . لقد عملت خلال السنوات السبع أو الثمانيه الأولى مثل الحيوان . ولكننى أدخرت نقوداً . وعشت فى ضنك . وإبتعدت عن النساء وذلك بقصد تنفيذ وصيته تلك المرأه . وحينما أصبح لى رأس مال صغير قمت بالتجاره فى نوعين : فى إنتاج البقر الحى ، وفى الأسمده الزراعية . وسارت الأمور على نحو طيب بالنسبه لى . وكدت أن أبدأ فى الإيمان بالنجاح الذى تهبه السماء . ولكننى ، حينما تعمقت فى التفكير ـ أدركت أن نجاحى كان بسبب الصورة التى مارست بها عملى . وحينئذ كنت أقصد النساء المكلفين جداً ، ولكن فى تحفظ ، وبدون شره . وعشت أكثر من عشرين عاماً ـ إعزباً . وفى خـــلال هذه الأونه تعلمت أن أقرأ وأن أفهم الكستليانو على نحو طيب . وأشتريت العهد القديم بالكستليانو وبالعبريه وتعلمت الكثير جداً بهذه الوسيله . وقرأت كذلك ما فيه الكفاية من الكتب . وأنفردت بما فيه الكفاية بنفسى وفكرت إلى درجة ليست كافية ـ عن نفسى ، وعن الإنسان والطبيعة والرب . ولقد قلت لك من قبل أننى لا أؤمن برب الخلائق ، حسبما

يؤمن سائر البشر . إن رب هؤلاء البشر - هو عدوهم المرعب ، والقاسى جداً ، وهو لم يكف عن ضربى طول حياتى . وأخيراً ، وبعد أكثر من عشرين عاماً عشتها هنا أعزباً ، تزوجت من إمرأه هى ابنة عائلة من عائلات الفلاحين هنا ولكنها يتيمة الابوين . كانت طيبة كالطفلة البريئة وجميلة مثل بنات النبلاء . وكشفت لها عند إنى يهودى وأسميتها ساره . أنجبت منها إبنا وإبنه وهما الآن فى سن البلوغ وحياتهما تسير على ما يرام . وقد ختنت إبنى بوصفه يهودى . أما زوجتى فقد اختطفت من بين يدى بعد سبعة عشر عاماً من زواجنا ، وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها نتيجه لمرض مفاجىء .

ومنذ ذلك الحين لم أعرف أية أمرأه . وهذه الخادمة ، تتولى شئون المنزل أما أبنائى فقد أعطيتهم أرثا فى حياتى ، من أجل أن يظلوا فى حالة طيبة وفى سلام من بعدى .

ومنذ أن ماتت ساره - فقدت سرورى فى هذه الحياة ، وعدت إلى الوحدة والعزلة والإكتئاب واليأس .

وفى الايام الاولى بعد الحرب العالمية الاولى ، حينما أنتشر نبأ وعد بلفور فى العالم ، وارسال مندوب سامى يهودى إلى القدس إهتز قلبى بعض الشىء . ولكن لم انخدع ولم تتغير حالتى النفسيه ولم أؤمن بأن هذا الذى حدث هو بمثابة الخلاص من أجلنا . لقد أشتبهت من بعيد فى أن العرب ذوى الأنفة ، المتكبرين ، سيثورون ضدهم مثل الافاعى ، مثلما حدث بالفعل فى أعمال المفتى اللعين ورجاله . وطوال تلك السنوات التى حكم فيها الإنجليز فلسطين كنت أقول لنفسى : « أنه طالما أن للمسلمين يد فى القدس - فإنه لاخلاص لنا »

وفى خلال هذه السنوات لم أكن أساهم فى الصندوق القومى اليهودى (كيرن كايمت لإسرائيل) ولا فى الصندوق التأسيس (كيرن هيسود) إلا بمساهمات قليلة ، وليس باسمى ، بل باسم يهودى آخر ، لأنى اعترف : كنت عنيداً ، ولم أكن أؤمن بقوتنا ، ولا بمقدرتنا فى التغلب على العرب .

ولكن ، بعد حرب الاستقلال ، فى عام ١٩٤٨ ، حينما عرفنا أن آلافاً كثيرة سقطت فى الحرب . دب التفاخر فى قلبى للغاية . وقلت : أن كان لدينا يهود كهؤلاء ، وجيشاً كهذا ، يمكنه أن يصمد فى مواجهة جيوش ثلاث ممالك عربية (متفاخرة) وهزيمة ثلاثتهم ، فأنى لا أرفع قبعتى أمام هؤلاء اليهود فحسب بل أننى أسجد أمامهم بالفعل .

ولكن مازالت هناك نقطة مريرة فى قلبى : أن القدس القديمة القدس الغالية ، قدسنا ، مازالت تحت سلطان العرب . ولقد سمعت فى كل مرة هنا هدمه ودنسه هذا الحكم الحقير الذرى ، وصممت فى قلبى بينى وبين نفسى : على أنه إذا نجحت إسرائيل فى التغلب وإنقاذ القدس القديمة هى الأخرى فإننى أتبرع لدولة إسرائيل بنصف ما إدخرته طوال حياتى نقداً (اليوم حوالى ٥٥ ألف دولار) ، وأخذت أنتظر من عام لآخر إنقاذ القدس حتى أنفذ مراد قلبى قبل أن تحل نهايتى . وإن كنت أشعر أننى معافى تماماً وصحتى جيده — فإنه ما من إنسان يعرف متى تحل نهايته . وفى هذه الاثناء مرات السنوات فى سياق الزمن — وها قد مرت منذ حرب الاستقلال حتى الآن تسع سنوات . وبدلا من أن تنقذوا القدس قتم بشن حرب كبيره وهائله حسبما قرأت فى الصحف حرب هى مثال ومصدر تمجيد حتى فى نظر الشعوب والممالك الكبرى .

وبالذات بسبب المعاناة والكدر التى تسببه لنا أمريكا وروسيا .

— أريد بما لدى من مقدرة ضئيلة أن أشكر وأن أقوى دولة إسرائيل ، وأنا على إستعداد لأن أعطيك فى يدك شيكا إذا به جاهز معى .

وأخرجه من حافظة جلدية فى جيبه .

لقد قررت هذا منذ شهر ، بعد الانتهاء من عملية سيناء فوراً . ولكن حسبما تفهم ، مازلت هنا شخصاً مجهولا ، خفى ، ضائع ، ومن الممكن القول بأن دولة إسرائيل فقط هى التى كشفتنى لنفسى . أننى لم أستطع أن أتوجه هنا إلى مندوبى المؤسسات وأن أكون بالنسبة لهم أحد (المساهمين) .

أننى سعيد لأننى أستطيع أن أسلمك الشيك فى يدك .

وأرجو أن تعطينى لو سمحت لمجرد الترتيب العادى ، إيصالا مؤقتاً وأن تتشاور مع رؤساء الدولة فيما يمكن استثمار هذا المبلغ فيه ، وكل ماسوف تقرره أنت مع رؤساء الدولة سوف أوافق عليه .

وأخرج من حافظته شيكا وقدمه لى ، مسجل به مبلغ ٥٥ ألف دولار وموقع بإسم (رئيمرالويف) .

— ماهذا الإسم ؟

— إنه اسمى بأحرف مقلوبه (مائير فيولار) هكذا أطلقت على نفس حينما وصلت إلى هنا .

— لقد ذكرت فى بداية حديثك ، إنك منفعل للغاية اليوم . والآن حانت اللحظة التى أقول فيها .

أننى مندهش ومنذهل منك . إنك تدهشنى بمسيرة حياتك ، وبطريقة صنعك لها وبعظمة مشاعرك .

وفى الحقيقة أنك جدير بتكريم كبير ماالذى يمكننا أن نفعله لك فى مقابل هذا الطيب والسامى الذى قمت به ، سوى أن نتمنى لك بأن تحظى برؤية القدس وهى محرره تحت علم إسرائيل ؟

— آه ، إذا حظيت بذلك فسوف أعود للإستقرار فى القدس القديمة ، أنا وكل مالى ، ابنى وأسرته وابنتى وأسرتها .

— هل إلى هذا الحد متأصلة فيك قدسية القدس ؟

— قدسية القدس . لا . ليس هذا هو المتأصل فى . إن القدس إذا كانت محل إحترام لدى الكثيرين بسبب قدسيتها . فلينعموا ويطيبوا بذلك إلى مالا نهاية . ولكننى أحبها محبة النفس لأنها قدس ، ولأنها ملكنا . أننى أحبها مثل الإنسان المعروف فى العالم والذى تعود على أرتياد الفنادق المريحة والطيبة ، ولكنه مع هذا لايجد راحته الكاملة إلا فى بيته الخاص .

أنصت إلى محدثى وتفكرت . وبعد ذلك قلت له . أنك تذكرنى بأشياء طيبة قالها حكماؤنا عن التائبين الذين يتفقون معك بالفعل ؟

— أنا ؟

— نعم . لقد قالوا : حيث يقف التائبون لا يستطيع الصديقون الكاملون أن يقفوا .

(إن الحكماء ، ظنوا أنهم لايمكنهم الوقوف فى العالم الآخر ، فى جنة عدن ، ولكن من الممكن أن ننسب أقوالهم كذلك إلى الوقوف فى عالمنا هذا) ...

لقد كانوا يظنون كانو يعتقدون . النائب للسماء ، وأنا نائب لنفسى وبالذات فى فى هذا العالم ..

وفى لحظة الوداع إتفقنا على أن نظل على إتصال دائم ، وأن نواصل الإتصال بالكتابة بعد سفرى إلى أن يأتى ذلك اليوم المأمول ...

يوم إنقاذ القدس .

إبنة الطبيب

فى الصباح الباكر سمعت روزة ابنة الطبيب لغطا وضوضاء نفذت أصواتها إليها من الشارع فى بلدة القدس . اطلت من نافذة غرفتها إلى ذلك الشارع فرأت الارملة سعدى — أم العروس اليتيمة التى تعين ميعاد عقد قرانها فى مساء ذات النهار — رأتها تنوح وتندب حظها وتلطم رأسها كعادة النساء المغربيات إذا فقدن أحداً من أقربائهن . ووقف من حولها رجال ونساء حائرين . فنزلت روزة إلى الشارع لتستطلع جلية الخبر .

وتوا تبينت روزة من كلام الناس وكلام الارملة نفسها أمر الخطب الأليم الذى حل بهذه التعيسة . أنها كانت تحتفظ فى صندوق خشبى صغير مدفون فى ركن من أركان غرفتها تحت الفراش ، بخمسة عشر جنيها ، هى مهر ابنتها لعريسها ، وكان عليها أن تسلم هذا المبلغ للعريس قبل عقد القران كالعادة . ولكن الصندوق بما فيه اختفى وتم محو آثاره . أنه سرق . والظاهر أن أحدهم اكتشف مخبأه فسرقه أثناء الازدحام الذى وقع فى دار العروس أثناء الحفلة التى أقيمت فيها قبل يوم . أما المبلغ المسروق فقد جمعته الأرملة وابنتها اليتيمة بكدهما السنين الطوال فى الخدمة البيتية . واليوم ، يوم عقد القران ... ولذا قام الشارع وقعد وجلست الأرملة على عتبة دارها تندب باكية ، وانزوت العروس فى ركن من أركان الحوش حائرة تعسة وعيناها مغرورقتان بالدموع الحارة . أما الخبر نفسه فقد وقع فى قلوب سامعية وقع حادث قتل ، فعلت الوجوه سيماء الحزن والاسف . وبلغ الخبر العريس وأباه فأتيا إلى محل الحادث كالحزانى إلى دار فقيدهم . وكان الاب بائع خضراوات فقير ، فاقسم بأنه وابنه كانا يتنازلان عن المهر ، قسما بالله أنهما كانا يتنازلان عنه ، لولا أنه يحتاج إلى هـــذا المبلغ كأساس لكيان عائلته الجديدة .

أنه كان صانعاً عند أحد الاسكافية وقبل ميعاد زفافه بأسبوع ترك معلمه واستأجر لنفسه دكانا وجهزها بالعدة والبضاعة المطلوبة للعمل ، وهكذا انفق الدوطة (المهر) سلفا ، انفقها كلها تقريبا ، ومن أين يسدد هذا المسكين ديونه ؟

وبينما الناس على تلك الحالة قدم رجال البوليس وأخذوا فى التحقيق والاستقصاء ، ولكن الأرملة لم تكن لتستطيع الادلاء بأية معلومات واضحة . أن دارها غصت بالناس ، فمن عساها تتهم بالسرقة ؟ من منهم كان سبب بلائها ؟

ابتعدت ابنة الطبيب عن جمع المحتشدين واسندت ظهرها إلى الحائط مغمومة مكتئبة . وكلما مرت بها الدقائق ، كلما عظم فى نظرها هول المصيبة التى حلت بهؤلاء البؤساء وتبينت فداحتها . فالام والابنة قد رتنا بأنظارهما إلى هذا اليوم الميمون السنين الطوال ، لجمعتا طيلة تلك الأيام قرشا إلى قرش بكدهما وعرق جبينهما وتقتيرهما على نفسيهما . ولما جاء اليوم المنتظر اسودت الدنيا فى أعينهما ! آه لو كان فى حوزتها ، هى ابنة الطبيب ، لو كان فى حوزة أبيها هذا المبلغ ، لأعطتهما إياه . ترى ما كان أعظم سعادتها هى لو كان فى مقدورها أن تجلب السعادة بطرفة عين لهؤلاء الناس !

ولكن هذه الخيالات لم تلازم ابنة الطبيب طويلا ، فأخذت تفكر فيما إذا لم يكن فى استطاعتها إيجاد مصدر لهذا المبلغ . ولما تبين لها أن الساعة تتطلب منها أن تقوم بأمر عملى قدر مجهودها ، وطدت عزمها على ذلك بثبات ورباطة جأش ، كعادتها فى مثل هذه الأحوال . تقدمت إلى الأرملة وقالت لها بصوت صريح سمعه جميع من حولها من الناس : انهضى وهيئى كل شىء للزفاف كأن لم تحدث السرقة ، وأنا كفيلة بأن آتيك بالمبلغ المفقود قبل ساعة الزفاف . أنى كفيلة بجمعه من الجمعيات الخيرية الاشكنازية والسفارادية ومن دور الأغنياء

خلال هذا اليوم . أنى أعدك بأن اتيك بهـــذا المبلغ حتى الغروب — انهضى .

وتفرست الأرملة فى وجه روزه باستغراب وتردد ، وكانت تميل إلى تصديق كلام ابنة الطبيب ، ولكنها تتذكر إن حالة الطبيب قد ساءت فى الأيام الأخيرة . ثم أن ابنة الطبيب نفسها ليست إن فتاة صغيرة السن ، فمن أين لها المقدرة على الوفاء بما وعدت ؟

وأدركت روزة مادار بخلد المرأة فقالت لهـا : أراك ترددين فى الاعتماد على — فلا ترددى ! سآتيك بالمبلغ مهما كلفنى الأمر ، وأنا مسئولة عما أقوله .

اطمأن المحتشدون إلى لهجة روزة فحثوا الأرملة على النهوض قائلين : انهضى ، ألم تسمعى وعدها الصريح ؟ أنها ابنة الطبيب ، وهى تدرك ماتقول . أنها قادره على الوفاء بوعدها .

نهضت المرأة متثاقلة تحت وقرهما وقالت : حسنا ، سأفعل ماتريدين ، والله يعينك فى مسعاك . وسمع هذا الكلام العريس وأبوه فاطمأنا إلى الوعد غير مخيرين ، وقال الأب الفقير : لايزال متسعاً من الوقت حتى المغرب ... إننا على موعد ... إلى ساعة الزفاف ...

عادت روزة مسرعة إلى دارها فأبلغت أمها ما اعتزمت عليه . أدركت الأم أن الأمر شاق جدا، ولكنها لم ترغب فى إثباط عزيمة ابنتها أو صدها عن مسعاها الخيرى، ولذلك قالت لها : حسنا ياعزيزتى ، أرى فى صدرك يخفق قلب شفوق ... ولكن عليك أن تعلمى منذ الآن ، منذ البداية لكن لا تهن عزيمتك ويستولى عليك اليأس أن الأمر الذى اعتزمت عليه أصعب من أن تقوم به فتاة حديثة السن مثلك ..

خمسة عشر جنيها — أنه مبلغ عظيم ! وجمعه من الناس يكاد يكون مستحيلا ، وخصوصاً فى يوم واحد . أنه لمن أصعب الأمور .

— مبلغ عظيم — قالت روزة — أن فى المدينة دون شك عشر عائلات غنية تنفق على الفستان الواحد ثلاثة أو أربعة جنيهات بدون أدنى مبالاة . فهل تعطى شيئا من هذا المبلغ فى سبيل الصدقة والإحسان ؟

تبينت والدة روزة فى ابنتها الفتاة أصرار أبيها وعزمه الثابت فسكتت . وبعد أن غيرت روزة ثيابها ودعتها أمها حتى الباب وأوصتها أن تخرج منه بالرجل اليمنى لما فى ذلك من التفاؤل .

ذهبت روزة توا إلى دار صديقتها جولدة وقصت عليها الخبر وما قررت عمله ، تأثرت جولدة لعظم المصاب ولكنها رأت أن ما اعتزمت عليه صديقتها من المستحيل تحقيقه ، ألا أنها لم تجرؤ على مفاتحة روزة برأيها هذا .

— مالك حائرة ؟ — قالت روزة — قومى وغيرى ثيابك وتعالى معى . ولكن قبل كل شيء قولى لى بكم ترغبين فى المساهمة من دراهمك الخاصة ، فضلا عما سنأخذه من والديك ؟

— قدر ماتفرضين على . فأنت تعلمين أن لدى ثلاثة جنيهات خاصتى

— ساهمى بجنيه واحد ، ولكن تلك فاتحة خير .

— حسناً ولكن أليس هذا مبلغ كبير ؟ . .

— كلا ، كلا : ماحاجتك إلى المال ؟ التلهية وشراء الأشرطة والامشاط ؟ أمامك أمر تتعلق به سعادة شاب وفتاة وسعادة آخرين سواهما أيضاً ، وها أنا أيضاً أتبرع بجنيه واحد هو كل ما أملكه .

أخرجت جولدة من حقيبتها جنيها وقدمته لروزة ، وانتظرت الاثنتان قليلا حتى عاد أبو جولد من الكنيس فقصت عليه روزة الخبر ، فتأثر بدوره أيضاً ، ودون أن ينبس ببنت شفة نقدها جنيها واحدا ، شجعت هذه الفاتحة الفتاتين ، فخرجتا سوية من الدار للشروع فى جمع التبرعات .

كان حساب روزة جليا مختصرا ، أنها تأخذ جنيهين من الجمعية الخيرية السفارادية وجنيهين من الجمعية الاشكنازية ، وجنيهين آخرين من الصراف الغنى المعروف السنيور فوريلو ، وثلاثة جنيهات تجمعت لديها منها ومن صديقتها وأبى صديقتها . أما الستة الباقية فتجمعها من دور الاغنياء ولذا شرعت الاثنتان فى التردد على دور الاغنياء أولا . وفى ذلك النهار حتى الظهر أستطاعت روزة أن تتبين للمرة الأولى فى حياتها كم من قلة الاحساس وضيق العين ، والشر يكمن فى قلوب الكثيرون من الأغنياء . ففى حين أن القليلين منهم شاركوها عطفها على العائلة البائسة وتبرعوا عن طيب خاطر ، وجدت الكثيرين قساة القلوب جدا . فكانت بعد كثير من المقدمات والإيضاحات والأوصاف والمناقشات لاتحظى منهم إلا بالرفض البات أو ببعض النقود يقدمونها لها كرها . ألقت روزة الدريهمات فى وجوه مقدميها فى بعض الدور ، ولكنها رأت نفسها مضطرة إلى قبولها فى دور أخرى لكى يكتمل لها المبلغ ، ستة جنيهات . وبعد أن جمعت خمسة منها تصدى لها فى الشارع شاب عربى حسن الهندام تدل طلعته على الغنى وكرم الأصل — ففاتحها بشئ من التردد وكثير من الأدب قائلا بالفرنسية : أرجو العفو على اقدامى على محادثك ايتها الآنسة الشريفة ! تفضلى بالإصغاء الى هنيهة : لقد بلغنى خبر المصاب الذى حل بجارتك الارملة المسكينة وأمر عزمك الشريف على مساعدتها . فتكرمى بفضلك وأقبلى منى أنا أيضا هذا المبلغ

الطفيف اشتراكا منى فى المسعى الخيرى الذى عقدت النية على القيام به ، قال الشاب ذلك وقدم لها جنيها واحدا .

عرفت روزة فى هذا الشباب ابن ذلك الشيخ العربى الوقور صديق ابيها ، ومع ذلك ترددت هنيهة فى قبول المبلغ منه ، ثم قالت : أشكرك ياسيدى على معروفك هذا شكراً جزيلا ، فقد كنت وطدت النفس على جمع هذا المبلغ كله من أبناء قومى لاعتقادى الراسخ بأن من واجبهم أن يعطفوا على بؤسائهم .أما وقد دفعتك شهامتك على المساهمة فى هذا العمل . الإنسانى فما على إلا قبول هبتك بكل تقدير . قالت ذلك ثم تناولت الجنيه من يده وودعته بإيماءة من رأسها شاكرة .

لم تلق روزة صعوبة جمة فى الحصول على المبلغين اللذين طلبتهما من صندوق الجمعيتين الخيريتين . بقى عليها أن تحصل على الجنيهين من السنيور فوريلو ذلك الصراف الغنى المعروف ببخله وشحه وحرصه على الدرهم الواحد كما يحرص الانسان على أغلى درة وأثمن كنز لديه . فهل تفلح فى ادخال الرحمة إلى قلبه المتحجر .. ؟

بلغ أبنة الطبيت فى الساعة الواحدة بعد الظهر أن الصراف فوريلو موجود فى مكتبه ، فقصدته توا بصحبة صديقتها جولدا . وكان الصراف فوريلو شيخا قد تجاوز الستين ، له عينان عمشاوان ووجه عبوس مكفهر . وكان الناس يقدرون ثروته ببضع مئات الآلاف من الجنيهات ، ومع ذلك كان يحيا حياة صغار التجار كان يقصد مكتبه مشيا على الاقدام ويعود إلى داره مشيا على الاقدام أيضا ، ورغم أن أجرة الركوب كانت آنئذ مليما فقط فنادراً ما كان يركب فى مركبة . أما إذا كان مستعجلا أو تعبا من المشى ، ومر به الحوذيون وعرضوا عليه الركوب فكان يرفع إليهم يده مشيراً بأصبع واحدة ومعنى أشارته : إذا أخذتنى بمليم واحد ركبت عربتك . وكان ملبسه ومأكله مضغة فى أفواه الناس وهدفا لسهام سخريتهم

لم تعرف روزة الصراف فريلو الا بمرآة وبما سمعت عنه من كلام الناس . ولذا عقدت النية على مصارعته طويلا حتى تخضعه لارادتها ذلك أن المرارة التى تجمعت فى صدرها إثر زيارتها بعض بيوت الأغنياء عند الصباح كانت تغلى فى فؤادها وتثير دماءها ..

لما دخلت روزة وجولدا مكتب الصراف كان الصراف نفسه جالسا فى ركن مقعده ، وجلس أمامه فى مقعد أوسع رئيس مستخدميه . وإلى جانبه تاجر كان يتحدث إلى الصراف .

تقدمت روزة من الصراف وسلمت عليه ثم عرضت عليه مطلبها بصراحة وجرأة ، راجية منه الإحسان بما يناسب شرفه وطول باعه .

بدت على وجه الصراف أمارات ضيق الصدر والانقباض ، ولكى يتخلص من اللجاجة قال لكاتبه بالفرنسية أن ينقدها جنيها . ثم خاطبها بالاسبنيولية: إذهبى إلى الصندوق ليدفعوا لك .

لما سمعت روزة كلامه جلست على المقعد بعناد ظاهر ولازمت السكوت . أما جولدا فوقفت إلى جانبها وهى تعبث بالمظلة التى كانت فى يدها .

— ماذا ؟ — قال الصراف مستغربا — ها قد أمرت بإعطائك مرادك من الصندوق ، والصندوق هناك فى الغرفة المجاورة

— أننى أجيد الفرنسية والإسبنيولية والعربية — قالت روزه بإصرار — وأنا لا أتحرك من هنا الا اذا اعطيتنى جنيهين . .

— ماذا ؟ صاح الصــــراف بسخط كالملسوع ، ثم سكت لان الدهشة عقدت لسانه .

فأجابت روزة بكلمات هادئة موزونة دون أن تنظر إلى مخاطبها : إن غنيا مثلك تبلغ كنوزه مئات الآلاف — ملزم بدفع جنيهين لنجدة عائلتين لا سيما والأمر يتعلق بشخصين فى عنفوان شبابهما .

— اذهبي فى أمان الله يا فتاة ، أمامنا شغل كثير وليس لدينا متسع من الوقت لمناقشتك . قال الصراف ذلك بامتعاض واشمئزاز ، كمن ينفض عن ثيابه قذارة علقت بها ، وغايته ان يظهر للفتاة بأنه لن يؤخذ بوقاحتها وإلحاحها .

— لن أزيد كلمة على ما قلته . . . ولن أتفوه ببنت شفة ، ولكنني لن أبرح مكانى هذا حتى تعطينى جنيهين .

تفرس الصراف فى روزة مدهوشاً ثم التفت إلى رئيس مستخدميه وقال : ترى من هى هذه الغادة ؟ وأى ريح أتت بها الينا ؟

— ألست حفيدة الدكتور رودوفيتش والحاخام يوسف توليدانو ؟ سألها المستخدم كأنه لا يعرف حقيقة أمرها بالضبط .

— أجل أنا هى ! ولما سمع السنيور فوريلو هـــذا الكلام تظاهر بالتجلد وكظم الغضب ، ثم قال بصوت البائس الساذج : كثر الله من أمثالك يا ابنتى . ولكنى لا أستطيع أن أعطى أكثر . . . لا استطيع . . . فالحياة صعبة . . . وغلاء الحاجيات فاحش . . . مريع ! فى الماضى — قال مكتئباً — كنا نشترى رطل الفاصوليا بأربعة قروش ، والآن بثمانية . مئة فى المئة ! والسمن ؟ متى دفعنا اثنى عشر قرشا ثمناً لرطل ! انى أذكر أن ثمن السمن كان أربعة وعلى الأكثر خمسة قروش . والدقيق ؟ واللحم ؟ أسعارها كالنار ، كلما مددت يدك إلى حاجة تكويك نارها . أجل هـــذا بسبب كثرة ذنوبنا وخطايانا . آه ، آه . آه ! تنهد الصراف ثلاثاً خاتمة لكلامه وتعزيزاً لحجته .

ضبطت روزة نفسها لئلا تنفجر ضاحكة من كلامه ، ثم أجابته بصوت بسيط جاف : صدقت يا سيدى . بسبب ذنوبنا وخطايانا الكثيرة . فإذا كان الأغنياء يكنزون فى صناديقهم عشرات آلاف الليرات الذهبية ، وهم مع ذلك لايحسنون للمحتاجين ولا يغيثون الارملة واليتيم الا بالنزر اليسير ، فلا عجب إذا حل البلاء وضاق الفضاء . انى لم أكن لاصدق أن غنياً مثلك يتكلم عن السمن والفاصوليا على مسمع من فتاة تطلب إليه الاحسان فى سبيل عمل خيرى كثير . ولكن ما دام الأمر كذلك فاعتقادى أنه ليس من العدل .الاانصاف إن تكون ذا ثروه طائلة وعلى الإخص ، ليس من العدل والانصاف أن أخرج من هنا دون ان أقبض جنيهين .

— هذا الكلام لا يليق بفتاة . . . بفتاة من عائلة شريفه . كيف تتفوهين بهذا الكلام البذىء — وبخها الصراف بعنف .

— حسناً ، الحق معك . لن أنبس ببنت شفة . ولكنى لا اسمح لك بالكلام أيضاً . . .

— إعطها نصف جنيه - قال الصراف لمستخدمه متوجعاً - ولا حول ولا . .

— لم آت إلى هنا للمساومة ، ولذا أرجو - من سيدى ان يتذكر كلامى ويفقه معناه جيداً . فالدراهم التى طلبتها تعوزنى لاتمام المبلغ المطلوب . وسأمكث هنا طول النهار ، وإذا ذهبت فسأتبعك حتى تعطينى مطلبى . وسنرى إذا كان العدل والحق والرأفة لا تتغلب عن بخلك . . .

— إذن — صاح الصراف غاضباً - سنخرجك عنوه ! يا شاؤول ! ادع شرطياً ليخرجها من هنا !

ــ لن يجرؤ أحد على مسى ــ قالت بهدوء تام ــ لا خادم ولا شرطى . أننى تمسوية النبعة . لاتدع أحداً يدنو منى . وإلا طلبت شرفى منك ياصاحب مئات الآلاف ! ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ خذوها ، أبعدوها الدم يغلى فى عروق .

تقدم منها هذان الاثنان واخذا يلاطفانها قائلين أن سلوكها لايستحسن أبداً . ما معنى أصرارها ؟ هل تؤخذ الصدقة عنوة من أحد ؟ هـذا ما تصدق به . . . فما معنى هذا الإصرار ؟

ــ ما معنى هذا ؟ أنا التى أسألكم ما معنى هذا ؟ ــ ما معنى ان غنياً ذا ثروة جاه عرضين يقسو قلبه على الفقراء المساكين الذين قضوا حياتهم فى العناء والشقاء ؟ لماذا لايعطف عليهم ؟ وبماذا ينقص ماله إذا تصدق بمبلغ ضئيل كهذا ؟ وما هما الجنيهات بالنسبة لثروته الطائلة ، ولم أخجل من سلوكى ؟ أفى سلوكى عار ، أم فى سلوكه !

وساد السكوت لحظة .

ثم واصلت روزة كلامها بلطف مخاطبة الغنى نفسه : صدقنى بانى لاأرغب فى أزعاجك أبداً . أننى كالطفلة الصغيرة أمامك . . . ولـكننى اعتقد ان القسوة من الشيطان . فـلا تدع الشيطان يتحكم فى قلبك . أنه يسلبك سعادة الاحسان ، وأى سعادة أكبر من ان يحس الإنسان لاخيـه الإنسان . ويجلب السعادة للبؤساء الذين أثقل الدهر بالهموم . فـكر جيداً . هل جئت أطالبك بما يفرضه عليك واجب الإنسانية ؟ أننى آسفة على ما سببته لك من ألم وسخط . فكر فى الفقراء المساكين ، وكم يكون فرحهم عظيماً عند آتيهم بالمبلغ المطلوب بعد ساعة أو ساعتين !

ــ غفر الله ذنوبنا ــ قال الصراف راضياً ــ أعطوها مرادهـا ودعوهـا تذهب فى سبيل الله ، ليته الأمر بذلك . . .

هكذا أفلحت روزة فى الحصول على صداقة السنيور فوريلو .

وفى النهار ذاته شاع الخبر فى جميع انحاء المدينة ، وهز الناس الرؤوسهم معجبين كيف أن كيف ان أبنة الطبيب أفلحت فى أذابة ذلك القلب الحجرى الكامن فى فى صدر السنيور فوريلو .

وقبل ميعاد عقد القران برهة سلمت روزة للارملة خمسة عشر جنيهاً بحضور الكثيرين من الفضوليين . فانهالت عليها الأرملة والعروس وجميع أفراد العائلتين بالقبل وأكثروا لها الدعاء وسالت دموع السعادة من أعينهم ، ووقفت روزة حائرة تعلو وجهها حمرة الخجل وسط الجموع الهاتفة .

قشـــرة البرتقال

تأليف : شموئيل يوسف عجنـــون

ألقيت قشرة برتقالة فى الشارع قشرة من تلك القشور التى تمهـــد مثيلاتها فى المساحات والشوارع وحيثما تتجه ، وكان كل من يمر بها يصيبها بقدمه ، فإذا كان من المتأنقين راح يفحص حذاءه ليتأكد من أنه لم يتسخ ثم يمضى إلى حال سبيله . أما إذا لم يكن منهم فإنه يجر رجليه ويتابع سيره — ذلك أنه حتى لو كان للمرء سبع عيون لما استطاع أن يرى كل قشرة ملقاة فى طريقة . كانت القشرة مستقرة فى مكانها يصيبها كل من يمر بها . وحدث أن زلق بها رجل عجوز فسقط .. حطم عظامه ونهض . وما حدث للعجوز حدث لفتاة . صحيح أن عظامها لم تتبعثر ، لكن ماكان من أدوات فى حقيبتها تبعثر : مرآة ومشط ومسحوق ذهبي للشعر ، ودهان أحمر لصبغ الشفتين ، وآخر للاظافر ، وزيت تتضمخ به وروائح عطرية ، وملقط لالتقاط الحواجب ورسائل حب لزوجها ولصديقتها ، وكذلك سائر أدوات الجسم والروح ولأن هذه الفتاة لم تكن عجوزاً ولا بشعة ، فقد رغب الكل فى مساعدتها وجمعوا ما انتثر لها . وأما قشرة البرتقالة ، وهى ليست من أقرانها فقد ظلت مستقرة فى مكانها .

أما الساخطون المتذمرون الذين يعتبرون أنفسهم دائماً مهضومى الحق ، فقد . رأوا القشرة وحسدوها لأنها ملقاة فى استرخاء .. تسبب الضرر والحزن والخجل ولا يمها شيء أبدا . ولأنهم غاروا منها ، فقد غضبوا وشرعوا يتذمرون ويصبون جام غضبهم على كل المرتاحين المطمئنين فى العالم ، وعلى القشرة .

أما المتدلون فى الدولة ، أولئك الذين يسبق منظقهم عواطفهم فلا يدلون سبباً بسبب . . فقد تطلعوا إلى القشرة برمتها وقالوا : نحن لا نشكو القشرة وإنما نشكو من رماها ، يا له من نهم يملأ كرشة بالبرتقال ثم يرمى القشور فى الخارج ، فيكثر بذلك عدد المشوهين وذوى العاهات فى الدولة .

وآخرون تهمهم شئون الدولة ألا أنهم لا يمتنعون عن نقد أعمالها ، قالوا : يجب ألا نشكو من رمى القشرة ، وإنما من البلدية التى لا تبعث بخدمها ليكنسوا القشرة .

أذن ماذا فعل هذا ؟

لقد أكل برتقالة . فهل تراه أكل من نتاج الخارج ؟ أنه إنما أكل من فاكهة بلادنا ، وليت أمثالة يكثرون فى الدولة ، لأنه يكتفى بما تقدمه الدولة له ، ولا يتطلع إلى فواكه بلاد الخارج التى تستورد بالعملة الصعبة . لكن البلدية التى لا تزيل القشرة هى التى تستحق التوبيخ أنها تجبى الضرائب . وماذا تعطينا مقابل ذلك ؟ قشور وفواكه ! وهل تقتصر وظيفة الدولة على جباية الضرائب دون أن تعمل شيئاً مقابل ذلك !

سمع أحدهم وقال : وحياتكم إذا ما جاء الجابى فسأغلق باب بيتى فى وجهة ؟ أو ليس من الأفضل أن نؤمن حياتنا تأميناً مضموناً بنقود الضرائب لئلا يحدث معنا ما حدث لذلك العجوز الذى نكب بالقشرة فزلق وسقط .

واعترضه داعية من دعاة صندوق الأراضى ، وقال له قد يكون من الأفضل أن يقدم سيدى تلك النقض لصندوق الأراضى الذى يشترى الأراضى ويتركها بورا ، فلا خوف من القشور فيها ، ولا خوف طبعاً من أن يزلق سيدى ويسقط .

غضب ذلك الرجل الذى الزم نفسه بعدم دفع الضرائب ، وقال له : فى كل

مناسبة تحشرون اسم صندوق الاراضى ، فلا يمر يوم لا يطالبون فيه منى نقود لصندوق الأراضى . الخامس عشر من فبراير كان يوم صندوق الأراضى ، وكذلك التاسع من أغسطس وكذلك عيد الفصح ، وقس على ذلك سائر الأيام . يارب العالم ! هل تراك خلقت يوما فى السنة لا يطالبون فيه مالا ؟ زيادة على ذلك ، فإن هناك أيام يطالبون فيها مالا أكثر من عدد أيام التقويم السنوى .

— وهل سيدى سيدفع ؟

— وهل لدى الخيار فى الامتناع عن الدفع ؟

— وكم يدفع ؟

— كم أعطى أنا ؟ حتى العملة التى أدفعها طبعت عليها حروف الدولة ، ولكن أرجوك ياسيدى ، ما دخل صندوق الاراضى هنا ؟ أن لم أكن مخطئاً فإننا إنما نتحدث عن القشور !

ووقفت زوجة أحد مواطنى الدولة وصرخت : أواه ! بسبب قشرة كهذه كسرت حماتى رجلها . .

لقد ذهبت إلى حيث ذهبت فاصطدمت بقشرة برتقال أو قشرة موز .. الشيطان يعرف أية قشرة . . فزلقت بها وسقطت وكسرت رجلها اليمنى أو اليسرى . . لقد تمت سبعة من الافرشه لطول ماضطجعت فوقها . . وبعد أن شفيت أتعتقدين أن حالتى تحسنت ؟ أنها عندما كانت تدب فى البيت متكئة على عصاها ، كنت أتسلل وأهرب إلى الخارج ، منـــذ أيام المؤتمر الأخير لم أر خارج البلاد . . ولانهم ذكروا المؤتمر فقد أخذوا يتحدثون عنه .

ظلت القشرة ملقاة فى مكانها ، وظلت تتسخ تدريجياً حتى امتقع شكلها ،

وفقدت جمالها . ولكن تلك القشرة كانت محظوظة ، فلم يكن نصيبها النسيان كسائر زميلاتها المهملات فى النفايات منذ أيام المؤتمر السابق ، وليس ثمة من يفكر فيها .

كان هناك رجل لغوى فى الدولة ، يتتبع أحاديث الناس ويصحح أغلاطهم .. ورأى القشرة فأراد أن يصلح فيها أمراً . أمسك بأحدهم وقال له : ماذا تقول فى هذه القشرة ؟ قال : ماذا يقال : أنها قشرة كسائر القشور قال له : ليس هـذا قصدى . أنى لاأسأل عن القشرة بل عن كيفية كتابتها ، عن املائها ، أننى أصرخ دائماً بأن كل من يكتب قشرة (بالياء) ليس الا مخطئاً ، ومع هذا فلا يزال الكثيرون يكتبون الكلمة بهذا الشكل الخاطىء وهذا تشويش يجب أن يلبس من أجله الحداد !

وبات يخش ثانيه أنه بسبب كتابة (القشرة) سينسى الناس القشرة ذاتها . ولكن هذه القشرة كما قلنا محظوظة ، أذ عادت لتصبح موضوعاً لحديث الناس .. فى تلك الساعة مر أحدهم فرأى القشرة وقال لمن تجمعوا حولها : اننى أعجب كيف لاتصور القشرة وتنشر صورها فى الصحف ! ولكن يجب أن نطلب أولا من المشتغلين فى الشئون العامة أن يتوجهوا إلى الكتاب بغية أيقاظ الشعب بمقالاتهم فيتبرع بالمال من أجل الصور ، وليرى الناس أن هـذه القشرة قد تسبب العثرة للرائح والغادى ، أن المهجر هو الاخر سوف لايدع يده مغلولة شريطة أن يأخذ الصور مصورون خبيرون ، لكى يمتع أخواتنا فى المهجر عيونهم بمناظر البلاد !

وقف أحدهم وقال : أى عيب وجدتم فى هـذه القشرة ؟ بالعكس : أنها دليل الحرية .. دليل على أن كل أنسان فى الدولة يعمل مابدا له .

وقف آخر وقال لذلك الرجل الذى يطلب الحرية من النفايات : ما العمل والتلمود ينص على منع ألقاء النفايات فى أورشليم ؟

وتصادف أن مر من هناك عجوز كان يتجول فى المدينة يجمع الصدقات فقال له : أتراك قد نفذت كل ماورد فى التلمود من تعاليم باستثناء هذا ؟ خل التلمود لمن ينفذ وصاياه . . أنظروا إلى حاسرى الرؤوس هؤلاء . . لايكفيهم أن أخذوا الكتاب المقدس ، فراحو يتطلمون إلى التلمود . .

وخاف صاحب كتاب الدولة من يتخاصموا فهم أن يبعد القشرة التى توقع الكراهية والحسد . وانحنى والتقط القشرة ووضعها فى مكان ما .

شاهدت ذلك أمرأة غنية فقالت : وماذا بالنسبة لباقى القشور ؟ وماذا بالنسبة لبقايا الورق والصحف وكل أنواع النفايات التى تملاء البلد ؟ أرجوك ياسيد . . !

هناك قشرة تفاح . . وهناك قشرة جريفرت ، وهناك حشايا كتاب من الكتب التى يدسها المحرضون فى يد كل رائح وغاد . وهناك مصيدة مكسورة فى داخلها فأر ميت . . أمن المعقول أن تظل هـــذه الأشياء كلها على حالها حتى يتعفن الجو !

سمع أحدهم حديثها فقال لها :

إرتاحى ياسيدة ! ان البلاد ستقسم ، ولا أحد يعرف حتى الآن من سيكون نصيبه هذا المكان ! فلربما يـــكون من نصيب جيراننا .

فماذا يهمنا إذا مابقيت هذه النفيات ملقاه فى مكانها ؟

ولأنه ذكر تقسيم البلاد فقد هاجوه وأخذوا يخاصمونه وكان هـو يصيح : ماذا تريدون منى ! إننى لم أقل أبداً أننى أرغب فى التقسيم ! لم أقل الا ماهو مكتوب فى الجرائد ، أما هم فقد مضوا فى صياحهم .

قال صاحب كتاب الدولة لنفسه : تقسيم أو لا تقسيم ... أننا مادمنا هنـا فيجب أن يكون موطننا نظيفا من النفايات وانحنى وبدأ يزيل النفايات .

وما أن بدأ يزيل النفايات حتى بدأ الجميع يساعدونه بالنصائح ، بعضهم بتقديم نصيحة جيدة ، وبعضهم بنصيحة أفضل منها ، كيف تجمع القشور وكيف تنقل ، وإلى أين يجب أن ترمى ، وماشابه . .

وحتى من السماء جاءته المعونه ! كيف ؟ فى تلك الساعه هبت ريح فنقلت نفايات الشارع كلها .. بقايا الجرائد والكتب كذلك ، وهى أشياء روحية أكثر من قشور الفاكهة . . تدخلت الريح فيها فأخذت ترتفع عن النفايات لتلطم وجوه الناس . ولكن لما كانت روحانيتها ثقيلة فقد عادت وسقطت فى النفايات . . وعاد صاحب كتاب الدولة لازالتها وعاود جميع أصحاب النصائح تقديم نصائحهم . . لقد كان بوسعهم أن يغذوا بلداً كبيراً بنصائحهم .

لم تكن جميع النصائح متساوية . . صاحب كتاب الدولة يأخذ قشرة برتقالة ليرميها ، فيأتى أحدهم وينصحه بأن يرمى قشرة الجريفوت أولا . يرفع قشرة الجريفوت فيأتى آخر وينصحه بأن يرمى قشرة الموز . يرفع قشرة الموز فيأتى ثالث ويقول : ليست هكذا انما القشرة الفلانية أولا .

ولكى ينفذ كل هذه النصائح . بدأ صاحب كتاب الدولة يعمل بكلتا يديه . ولكن أصحاب النصائح كثيرون ، وأيدى الانسان قليلة ، وبينما كان هذا يحاول أن يرضى الجميع تجمع سائر أصحاب النصائح يتناقشون حول ما يجدر أن يرمى أولا ، ومايستحق أن يرمى أخيراً ، ولانهم كانوا يتناقشون فقد بدأوا يتخاصمون .

هنا يترتب على صاحب كتاب الدولة أن يقص حدثا جذرياً لا يحدث فى كل يوم . لقد اعتادت الدولة أن ترى أبناءها يتشاجرون ، فلا يأتى أى شرطى لوقف المشاجرات .. ولكن فى تلك الساعة قفز شرطى فجأة . وجاء ينتهر هذه الزمرة من الناس التى تتشاجر فى مكان عام .. وعندما تبينوا أن الشرطى غير

مرتاح إليهم ، ذهبوا إلى حال سبيلهم . وعندما رأى صاحب كتاب الدولة أنهم ذهبوا جميعاً ، قال لنفسه : الآن لا يعطلك إنسان عن عملك ، وحالا ضاعف من نشاطه وأخذ النفايات حتى بدأ الشارع ينظف قليلا من قذارته .

رأى الشرطى صاحب كتاب الدولة يقف وحده فى الشارع ، فدعاه وقال له: أنت الذى سببت تلك الفوضى .. أخرج دفتره وكتب ايه أسمه ليقدمه إلى المحاكمة بتهمة أنه يسبب تجمهر الناس فى الشارع مما يؤدى إلى فضائح .

قال له صاحب كتاب الدولة : فليسمح لى سيدى أن أقص عليه الحكاية .. مررت فى الشارع ورأيت قشرة ملقاة فى مكان عام يتعثر بها الغادون والرائحون ولا أحد يبعدها . وقلت فى سرى فلا بعدها أنا ! وما دمت قد بدأت بها فقد أكلت الشارع كله .

صفر الشرطى بشفتيه وقال : إذن فأنت تعترف بكونك اشتغلت فى إزالة النفايات ؟ قال صاحب كتاب الدولة : ليس هنا لك ما أنكره ، لقد قلت للسيد أمورا صحيحة ، وأنا على استعداد لأن أكررها . قال الشرطى : أين رخصة عملك ؟ وأخرج الشرطى دفتره ثانية وسجل مخالفة جديدة ، تهمة مزاولة عمل بدون رخصة .

وأنا أذكر الشرطى بخير ، فلأنه ثم يبقى معه ، لقد كانت تلك وكان ساعة الغذاء ، ساعة غذاء للجميع وكان هو نفسه مسرعا للغذاء .

ووقف صاحب كتاب الدولة وتطلع إلى النفايات محدثا نفسه : آه لمن أراد أزالة بعض النفايات فى الدولة فما حال دولة لم تنظف حتى الآن من نفاياتها !

الشمـــوع

وأخيراً تفرغت للذهاب إلى البحر . كنت مشغولا طيلة ستة أيام العمل ولم أتفرغ للاستحمام ، وفي وقفة السبت بعد منتصف النهار تفرغت لنفسي من كافة أشغالي ، وأخذت بعض ثياب الغيار وذهبت الاستحمام . واعترضني السيد حايم أبروبو . والسيد حايم أبروبو قامته أقصر من المتوسط وكرشه مستدير أو لعله مربع .. وظهره منحن ورأسه يرقد على صدره ، ووجهه بشوش على الدوام ، والبسمة لا تفارق شفتيه . كانت تلك البسمة تجذب فؤادي إليه رغم معرفتي أنها لا تعنيني . طاطات رأسي وحييته .

رد على التحية وقال . «أنت تقصد الصلاة مع أصحاب الأمور المقبولة» .

أومأت إليه برأسي أن نعم .. ورغم أنني لم أتفوه بذلك فقد كذبت وأنا لم أكن لا أريد أن أكذب ، إلا أن قلبي لم يطاوعني أن أقول له شيئاً مغايرا لكلامه . كنت في حيرة كحالي كلما أقابل السيد أبروبو ، لعلي أنني لست مرغوبا لديه ، أو لعل ذلك لأني قد تعلق نظري بابنته ولكنها ليست مهيأة لأجلي .

انسقت وراءه ، ودخلت معه بيتا لم أدخله من قبل . كان البيت مهيئا لاستقبال السبت ، ولكن أهل البيت كانوا منشغلين بأشغال أيام العمل ، ووقف بائع كتب يعرض كتباً باللغة السامرية . أخذت أقرؤها فاستغربت أن كل ما هو مكتوب فيها معروف لدى . من ذلك أمور كتبتها بنفسي . فوردت في كتاباتهم ومن ذلك أمور أردت كتابها ولم أفعل لأن القلم لم يستوعبها .

كان جدي الواقف عن طرف يتطلع إلى ويلازم الصمت . كانت طاقيته السوداء ترقد على قمة رأسه ، وكانت عيناه شبه مغمضتين ، وكان يخيم عليه حزن غريب وكان

سالفاه الأبيضان يتدليان على خديه النحيفين وكأنهما جلاجل من فضة يحتبس رنينها فى داخلها .

وبينما أقرأ غرب النهار . ذهب حاييم أبروبو حيث ذهب ، ووقف أنا حيثما وقفت ، رأيت أربع شموع بيضاء مغروزة فى أربعة شمعدانات من نحاس ، وهى مائلة على وشك السقوط . وقفت أقومها لكيلا تحرق الغطاء والمائدة . إعوجت شمعة فى يدى ، وانفصمت أخرى بين أصابعى ، وأعوجت الشمعتان الباقيتين أيضاً .

ندمت على متابعتى للسيد حاييم أبروبو ودخولى فى أمر لا يخصنى ، أما وقد شرعت فيه فليس من الميشور تركه . مسحت جبينى وطرحت صرتى جانبا كى أخنف عنى ، وعدت أعالج الشموع . ارتعشت يداى وتلبكت أصابعى . رفعت رأسى فألفيت كافة البيوت فى الحارة تضوى بها شموع السبت وأهل البيت غاضبون قلت فى نفسى أن هذه البيوت قد سبقت فى أشعال الشموع والسبت لم يدخل بعد ، ومهما كان من أمر الإسراع . صوبت نظرى إلى جـــدى ، تدلت شفته السفلى واسترسلت كمن لا يرضى عما تراه عيناه .

عدت وقلت فى نفسى ها أنا واقف هنا أعالج شمعة لسواى ، مع أنى مــــلزم بالذهاب إلى البحر لاستحم .

وما أن تذكرت البحر حتى رأيته ممتداً أمامى، وأناس كثيرون يقفون فى فى الماء حتى صرتهم ، قلت فى نفسى مالى لا أذهب ؟ أنحنى شخص نحوى وحملق فى الخارج ، وأعاد رأسه إلى الوراء ، وقال « نهاران » الحقيقة أن لا شأن لقوله نهاران بما نحن فيه ، ورجح عندى أنه يعنى ظلاما . أى أن ذلك الشخص استعمل لغة المجاز لكيلا يخجلنى . نهضت فزعاً وذهبت إلى البحر .

تعاظم البحر وانصبت مياهه كالسور ، امتدت حافته واتسعت ، ووقف أناس كثيرون بين أحواض المياه الساطعة بضوء الشمس الغاربة . كان منهم عراة ومنهم يلبسون شيئا ما ، ومنهم من يلف قميصه عينيه ، كمن أدخل رأسه فى قميصه ولم يسدله بعد على جسده . فتشت عن موضع أضع فيه صرتى فالفيت كل المواضع مشغولة . وقفت مكتسياً بين عراة فخجلت ، صرت أجول ببصرى هنا وهناك فرأيت شبه جسر يبرز إلى البحر . وضعت صرتى تحت الجسر بجانب أحد الأحواض ، ونزعت ثيابى ، وأوشكت أن أقفز إلى البحر .

أقلقنى أنى قد لا أعرف بعد ذلك أى قميص هو النظيف : أذاك الذى خلعت ، أم ذاك الذى أخذته معى لكى ألبسه بعد الاستحمام ارتفعت مياه البحر وغمرت قدمى ، فوثبت وصعدت إلى الجسر . وما أن صعدت إلى الجسر حتى اهتز وطفق يتأرجح .

النبات الشيطانى

من الادب الاوتوبيوجرافى — للشاعر العبرى حييم نحمان بياليك

مسقط رأسى

لست أذكر كم من فصول الصيف والشتاء مرت علينا ، منذ وجدت نفسى فى قريتى ومسقط رأسى حتى غادرناها أنا وأبناء عائلتى لنسكن إحدى ضواحى المدينة القريبة . فلقد كنت طفلا ملقى بين النفايات لم يكتمل لى من عمرى ، كما أظن خمس سنوات . وهل يدرك طفل مقاييس الزمن ؟ من المحقق أن أحكام الطبيعة الازلية لم تتغير فى قريتى أيضاً ، فلقد أقبلت فترة وأدبرت أخرى فى أوانها والعالم يجرى بمجراه ، ولكن ذلك العالم ، عالمى الأول القديم ، الذى أخرجته معى من القرية والذى مازال يحتل من قلبى زاوية خاصة — ذلك العالم الغريب العجيب الوحيد فى نوعه — يخيل لى أنه هو الذى لم يعرف شتاءاً ولا خريفاً أبدا . فكل القرية ، كما كانت فى تلك الايام ، وملء بصرى ، تبدو نسيجاً واحداً كاملا — كله صيف صرف . فالسماء صيف ، والارض صيف ، والاحياء والنباتات كلها تضج بالصيف . وحتى « فيجله » التى كانت فى مثل عمرى ، وصديقتى الوحيدة فى القرية كلها — هى الاخرى كانت كلها صيفاً . صيف لا أجد فيه سوى يوم شتاء واحد قارس ، كله ثلج وجليد ، يقف قاسياً غاضباً ، كأنه لص مساح بيلطته المدلاة على جانبه ، وقريباً منه ماتى فى الوحل ، كالجثة المداسة ، يوم عاصف وحيد يذوب شراً ويقطر حزناً . لكن هذين اليومين ، لم يكونا سوى يومين شاذين لايؤبه لهما . فقد كانت دنياى ، ابتداء من الشب فى جدار بيتنا الصغير حتى الحرش الاخضر الذى لاتخترقه العين فى نهاية القرية — هذه الدنيا كلها كانت صيفاً .

فوق هذا البساط الذى تملأه زرقة السماء وخضرة العشب ، تتجسم الآن مطرزة أمام عينى كل مناظر حياتى فى أيامى الأولى ، مناظر هادئة خفيفة كالضباب الطاهر، نصفها ألغاز ونصفها أحلام ، ومع ذلك ، لامثيل لها فى صفائها ووضوحها ، ولا وجود كوجودها : لقد كانت مناظر فيها رى لنفسى ، وصوراً رائعة منحتنيها السماء مجانا ، تبرعاً من الله وإحساناً من لدنه ، ورحمة لطراوة سنى وقصر يدى ، وتعويضاً لعجزى عن النطق والتعبير عن أشواق نفسى . فلقد كنت يومها ، غضاً صغيراً مهملا . ولم أكن بعد أعرف أن أسأل أو أن أسمى الأشياء بأسمائها . ولم يكن يكن بجانبى أحد ليفتح فمى ويوقظ روحى . لا من يمسك بيدى ولا من يحيطنى بعنايته . كنت كالفرخ اليتيم ضل وحيداً فى المكان المحيط بقنه ، وقد تركنى أبى وتركتنى أمى ، وما بقيت عين ترعانى . ولكن الله أحاطنى برحمته وآوانى تحت كنفه ، وسمح لى أن أجلس صامتاً عند موطىء قدميه ، ألعب بهدوء بما أنسل من خيوط ردائه وبأطراف جبته . فوكل بى فى النهار ملائكته الخفيين ، يسلوننى بالأحلام ، ويثيرون على شفاهى البسمات دون أن يرى ذلك أحد ، وأرسل إلى فى الليل أقزامه الصغار يغنون أمامى على ضوء القمر ويطردون خوفى ، دون أن يسمع ذلك أحد . وأسكنهم حولى بحيث يرون ولا يراهم أحد ، وزج بهم فى عتمة كل زاوية وظلام كل حجر ، فملأ قلبى بخشية حلوة ، وذهول إلهى . يد الله الخفية هى التى زرعت كل سبلى بالعجائب وغرست ألغازاً فى كل جهة تسكن إليها عينى . فكل كومة حجارة أو عود شجرة — مثار عجب . وفى كل حفر وجحر صامت ؟ ومن أسكن الظلال الخرساء فى جدران البيت ؟ من الذى يكدس جبالا من النار فى أطراف السماء ، ومن الذى يعلق القمر فى الغابة الملتفة ؟ إلى أين تجرى قوافل السحب ؟ وخلف السحب ؟ وخلف من تركض الرياح فى الحقل ؟ فيم تغنى مشاعرى الصباح؟ وفيم يخفق قلبى بشدة ساعة الأصيل ؟ ما لمياه المنبع تبكى بصمت، وما لفؤادى يولع لسماع خريرها ؟ العجائب تطوقنى وتلاحقنى ، وتملأ رأسى

الصغير المسكين — دون أن أستطيع منها فراراً أو أجد ملاذاً . ولكن تلك المناظر التى شاهدتها فى طفولتى فتحت على سعتهما ، وعمقت مشاعر قلبى ، لأرى ماهو خفى فى المكشوف ، وما هو غامض فى الواضح . وما أن أفتح طاقتى نفسى الصغيرتين ، عينى ، على السماء ، حتى تتدفق على مناظر إلهية من جميع مهاب الريح ، دون أن أدعوها . وأحياناً تطفو وتصعد إلى من قرار الصمت ، فتتراءى لى وكأنها مناظر من حلم منعكسة على صفحة بركة صافية ، وما من قول وما من كلام ، مجرد مناظر فقط . حتى الكلام الذى فيها لاصوت له ولا مقاطع ، وإنما هو نطق عجيب ، كأنه مخلوق وجد لضرورة اللحظة تبخر منه الصوت — وظل هو قائماً . وأنا أيضاً لم أسمع كلامها بأذنى . وإنما وصل إلى نفسى عن طريق آخر خفى . هكذا يصل إلى طفل نائم فى سريره ، خفقان قلب أمه وحنان عينيها ، حين تقف فوق رأسه تراقبه قلقة خجلة ، وهو لايعلم . وقد تتشكل المناظر وتأتى من خلال بقايا الأصوات وتمازجها . فكثيرة هى الأصوات السابحة فى فضاء العالم . وهى مختلفة متباينة ذات وجوه لاحصر لها . فمن الذى يدرك وما تنطق به ؟ أو ما تسكنه فى قرارتها ؟ هناك أصوات نهار وأصوات ليل . منها المتعجرفة ومنها المتواضعة ، منها الجهورية ومنها الضعيفة . أصوات تستمر إلى مالانهاية ، وأخرى تنقطع فجأة . منها ما هو استنجاد غريق فى أقصى الأرض ، ومنها ما هو صرخة قتيل يتخبط بدمه فى غابة . أصوات تتراءى لى كأنها أرواح لاجسد لها ، تسير فى سبيل الله ، وتحمل رسالته هنا وهناك على أجنحة الريح ، تنطلق كالسهام من مخبأ إلى مخبأ ، تندفع لحظة ثم تختفى فجأة ، دون أن يعرف أحد من أين خرجت ولا أين تحل ، ودون أن تلمحها عين مخلوق . وأحياناً حين لم تكن حواسى تعرف بعد حدوداً أو حواجز ، كنت أسمع الصمت وأرى الأصوات حتى لتختلط تخوم الواحد منها فى نفسى بتخوم الآخر . فقد كان الصوت يجر إلى المنظر يقود إلى الصوت ، والرائحة تقود إلى الاثنين معاً . كما لم أكن أعرف بعد المقاييس والسرعة .

فكانت التلة الصغيرة فى الحقل تبدو لى كأنها جبل هور[1] ، وبركة الماء كالمحيط ، وحدود القرية نهاية العالم .

لقد صدق الذين قالوا : إن الإنسان لايرى كل شىء ولا يحظى بكل شىء إلا مرة واحدة .. فى طفولته . فالمناظر الأولى العذراء كما وجدت يوم خلقها الله ، هى أجسام الأشياء وخلاصتها ، أما ما يأتى بعدها ، فما هو سوى نسخ مشوهة عن الأصل . إنها شبيهة بالأصل من حيث هى رموز واهية له . ولكنها ليست الأصل بعينه . ولقد تأكدت من ذلك بنفسى . فكل مناظر السماء والأرض التى كنت أباركها بعد ذلك خلال أيام حياتى — لم تكن تغذى إلا من عمق رؤيتى الأولى . لقد شاهدت أخيراً سماء إيطاليا ، وزرقتها الحلوة ووطئت قدماى قمم جبال سويسرا . وعندها همست لنفسى منفعلا : متى رأيت زرقة هذه السماء ؟ وأين عرفت جبالا أعظم إرتفاعاً وهيبة من هذه الجبال ؟ وكلما رأيت شمساً فى غروبها أو فى شروقها الرائع وقفت ذاهلا أتساءل : ألم أر ذات يوم غروبا أو شروقاً أكثر روعة وجمالا مما أرى الآن ؟ وإذ أمر على خضرة حقل لا أدرى لم يلمع أمامى فى لحظة خاطفة منظر العشب ، منظر نفس العشب ، كما رأيته مرة فى القرية ، حين كنت لا أزال برفقه مربيتى العجوز ، رحمها الله . كان ذلك العشب مخضلا مونعا ، حيا جديداً وقد غمره الماء العذب حتى وسطه ، وتناثرت فيه زهور صغيرة تبهج النفس ، تطل برؤوسها الصفراء الندية من بين الأعشاب ، وفى عين كل زهرة لؤلؤة من الدمع صافية مرتعدة .

---

(١) مكان وفاة هرون أخى موسى (راجع سفر العدد ، الأصحاح الثالث والثلاثين آية ٣٨) .

وبعد أن غادرنا القرية إلى حيث غادرناها — وكنت يومها فى حدود الخامسة أحسست بالعالم يكلح بعض الشىء وبصنمائه يعتم . وفى مسكان سكنانا الجديد ، فى ضاحية المدينة ، استقبلتنا أيام عمل مليئة بالصخب والفوضى ، كما هى الحال فى بلدة يهودية ، بكل ما فى أيامها من عبء وغيظ وشر . فكنت كلما ازدادت حولى ضجة الناس ازددت انطواء على نفسى ، وقلت بهجة قلبى واعياده . أما المعلمون الأغبياء الذين وقعت فى أيدهم فقد طردوا بسياطهم ووجوههم العابسة ، ما علق فى نفسى من مشاهد طفولتى . فالمشاهد الأولى ، مشاهد من لدن الله ، لم تعد تتجلى لى إلا إذا وجدتنى وحيداً ، بعيداً عن ضجة النهار ومحيط المعلمين . فكانت مختبئة خلف ستار تسترق إلى النظر بين الحين والآخر فتحيى فى نفسى تلك الرؤية وتجسدد قواها . وكانت تنظر لحظة ثم تختنى ، تطل وتختنى وبهجة تلك الأيام العجيبة تقطر فى قلبى قطرة قطرة ، كأنها ترياق حياة غالى الثمن ، ولكنها فى الغالب لم تكن لتكشف لى من عالم طفولتى سوى النزر اليسير . فكانت تبدو لى من خلال الهواء ، وعلى حين غرة ، نتف صغيرة من المناظر التى عرفتها : فتتفة من سماء بعيدة بطهارتها القديمة ، وقطعة من أرض خصبة فى بداية الربيع تنبعث منها رائحة الأرض يوم خلقها الله . ثم تبدو لى وكأنها تـــبرز الآن فقط من تحت استار الثلج البارد ، وجسدها لا يزال يهتز وينتفض ، وعريشة منعزلة فى مقثأة مهجورة ؛ وغروب شمس قد اشتعل فى أطراف السماء والتهب ، وصوت نواح يصدر من غابة ، وزقزقة عصفور غريب فى الليل ، وقمر معلق فوق مدخنة أحد السطوح ، وعشرة يصلون صلاة العيد فى بيت والدى ، وجماعة من أطفال مذعورين يندفعون إلى البيت صارخين : الذئاب هاجمت القرية . وبجانب هـذا كله يهود ملتفون « بالطاليت » [1] يقفون فوق السطح متجهين بوجوهم نحو الغابة ناحية الذئاب ،

(١) الطاليت وشاح يرتديه اليهود أثناء الصلاة .

وقد بسطوا راحاتهم فى الفضاء وراحوا يقلدون صوت الدببة : آهو ! آهو ! ثم فجأة تظهر « فيجلة » . نعم أنها هى ، مختبئة خلف الشجرة المنيفة تطل على برأسها الحظة وتصرخ : كو ! كو !

ولكن فى لحظات حلوة مليئة بالقدسية ، حين يمتلىء القلب بالمصير امتلاء العنب الناضج به ؛ وحين تتفتح أبواب الرحمة فجأة من تلقاء نفسها ، فى مثل هذه اللحظات يكفينى أن أغمض عينى لحظة لتنكشف لى كأنها فى ضوء برق ساطع ، سيرة حياتى كلها منذ بدايتها ، فأراها يتوجها ضوء أبيض صاف يضىء مسالكها جميعا من بدايتها — فى لحظة كهذه تقام أمامى قريتى فجأة ، وتتجلى الأول . كأنما تخرج فجأة يد نارية خفيفة وسريعة ، فتمتد إلى بخلاصة طفولتى كلها ، هدية أيام وسنين ، مطوية ومودعة فى صرة صغيرة ، فى رقة واحدة من رفات العين . عندما مرة أخرى أرى مسكن فجر حياتى ومهد طفولتى رؤية العين . أراه هو ، بكل ما فيه والعالم الذى يحيط به ، ما أكبر منه وما صغر — دفعة واحدة لا ينقصه شىء . وعندما أتذوق ثانية طعم الرؤية الأولى ، وتنتصب أمامى قريتى جاثمة فى زاوية ملتسية من « فولهينيا »(1) حيث المستنقعات والغابات التى لا نهاية لها . نعم ، تظهر قريتى أمامى ، بأيامها ولياليها ، بأعيادها وسبوتها ومواسمها السنوية معا ، فيبدو لى منظرها كما خلقه الله أول مرة . صغيراً مطمئناً ومتواضعا . أنها ما زالت منتصبة هناك كما كانت ، فى المكان الذى خصص لها يوم خلق الله العالم فى ستة أيام ، نصفها على أرض مستوية والنصف الآخر على منحدر ، وهى مستترة فى ظل أشجارها وشوكها ، محاطة ببساتينها ومقابرها ، تتحمل عبء حياتها الطاهرة بهدوء حزين وتركن للصمت ، لا شىء فيها تغير ولا اختفى منها شىء ولا سقطت منها حبة .

---

(1) منطقة فى روسيا ولد بياليك فى إحدى قراها .

فبيوت اللبن وأكواخ الخشب المنخفضة المتناثرة فى السهل والجبل كقطعان غنم مذعورة، ما زالت على حالها . والحرش الصامت ، الذى يتآمر على من بعيد ، من وراء القرية وهو ملتف بعتمته الباردة — لا يزال هو هو . كذلك التلة الخضراء الرابضة أمامى ، قدام بيت أبى تماما ، ربوض حيوان مرعب جائع ، أو ثور برى فوق الطريق ، لا تزال كما هى — تبتلع كل يوم ، فى كل عشاء ، رغيفاً من الذهب ، هو الشمس الغاربة خلفها . كل مساء رغيف ، كل مساء رغيف ، وعلى حالها أيضاً لا تزال البركة اللامعة بجانب التلة كأنها مرآة مضيئة تعوم فيها فراخ الوز تتطهر وتغتسل ثم تنقلب فإذا رؤوسها فى الماء وذيولها إلى السماء . والممرات الملتوية كالأفاعى تخترق الحقول والساحات ، ثم يقودها شوقها الأبدى إلى أبعاد خفية فتضيع نهاياتها — هى الأخرى لم تتغير . وبهدوء وصمت ، كما يحدث فى الحلم ؛ تنتصب أمامى مواسم السنة كلها : سبت وأيام عمل ، صيف وشتاء ، أيام رضى وأوقات غضب ، حنان نهار وهواجس ليل — هى وأجزاؤها وأجزاء أجزائها كل شىء يقفه وضده بجانبه وقد امتزجا معا دون أن يذوب أحدهما فى الآخر . كل فصل ونوره الذى يميزه وكل يوم ومنظره الخاص به . ومع ذلك فكلها تتجمع — مرة أخرى فى الحلم — فى وحدة متكاملة اسمها : قريتى . فأيام الربيع الشابة بزهورها البيضاء وخضرتها اليانعة تنمو وتتفتح بسرور واهتزاز بجانب أيام الصيف المتهبة المحملة بالحر والذهب — ثم تنطفىء فيها بحزن صامت ، فوق جمراتها الهامسة ما بين أمسيات موسم القطيف الحزينة وأطراف سماء الشتاء العابسة المنخورة ، وفى بعض اللحظات تلمع من خلالها بواكير الثلج الصافى الجميل يزفرف هادئاً مطمئناً ، كأنما استيقظ من اغفاءة قصيرة فى هواء العالم ، ليجتذب انظارى ويبث فى قلبى برودته البيضاء اليانعة . فهى فى خزانة ذاكرتى لاجىء بها من الموت ، وبقية صغيرة من شتاء كامل سرق من قلبى ولا أعرف أين استقر . لقد ضاع ذلك الشتاء وزال ، مثلما

زالت من قلبي أيضاً ، ببدايتها ونهايتها ، عاصفة رهيبة ،كانت قد ادركتني فجأة من درب التلة بين الأعشاب المرتفعة منحدراً إلى بيتي . فمن أقاصي الأرض خائفة مذعورة وتجهمت السماء وسادت الظلمة . وزأرت الغابة فجأة من بعيد ، واقتلعت أشجار السرو من جذورها ، والتصقت أعشاب التلة بالأرض مرتعدة ، وتعالت هامات غبار وطارت سطوح القش فى الفضاء . وقبل أن أتمالك نفسى ، وجدتنى أنا الآخر أطير . نعم أقسم أنى طرت . فقد صدمتنى فجأة هبة ريح عاصفة ، فرفعتني عن الأرض كالريشة وأطارتنى إلى أسفل التلة ، حيث السياج النباتى المحيط بيتنا . أما كيف دخلت بعد ذلك إلى البيت — فذلك ما لا أذكره . ترى أى ساذج يمكن أن يتجرأ ويحاول أن يفسر للناس طعم الطيران ومذاقه ؟ فى الأحلام فقط قد يتذوق المرء جزءا من ستين من طعم تلك اللحظة .

أحياناً حين أصحوا ، أقول لنفسى مرددا : ذلك كله لم يكن أبدا . فالقرية ، تلك القرية ،كما أراها بخيالى لم توجد على الاطلاق . لا هى ولا الغابة ولا الاقزام ولا . و فيجله ، ولا أى شيء آخر من هذا كله . فما ذلك كله سوى خرافات وأحلام نبتت ،كالنباتات البرية ، من تلقاء ذاتها ، فى تربة حقيقة صغيرة — لتزيد من حلاوة تلك الحقيقة فى نفوس الأطفال . ثم أواصل تفلسفى قائلا : على كل حال ، من المؤكد أنه حدث خلط أزمنة وتشويش مطالعات وأن متأخرا قد تقدم ومتقدما قد تأخر . فقوة الخيال كثيرة الاختراع ويجب إلا يعتمد على الخيال .

ليت ذلك صحيح ! فإن إيمانى المطلق بأن هذه الإختراعات حقيقة وقعت لم يتأثر بهذه الأفكار قيد شعرة . فماذا يهمنى ان كانت تلك الأمور قد وجدت حقاً أم لم توجد قط ؟ فكيانها مستقر فى نفسى ، ووجودها راسخ فى لحمى وعظامى . لقد نقشتها يد الله على صفحة حياتى ، فمن يقدر على محوها ؟ وإذا كانت الأحلام على

هذه الصورة — فليس كعمقها حقيقة ولا كواقعها واقع . أنها تبقى فى قلب المرء مادام حياً يرزق ؛ بقاء النبيذ المحفوظ فى عناقيد عنبه ، شذاها لا ينتهى ومذاقها لا يتلف . على العكس ، كلما إزداد مرور الايام إزدادت روعة وحدة . وكلما إزدادت قدماً إزدادت رسوخاً وحلاوة . وفى الحق أنه ما من نبيذ أشد خلاوة وتأثيراً من أسطورة طفولتنا . قطرة واحدة منها تكفى أحياناً لكى تسكر القلب حتى الجنون ، حتى ضياع النفس . فتبارك إسم ملاكنا الطيب الذى لا يصب فى أفواهنا من رحيق تلك الطفولة سوى قطرة قطرة ، فى فترات متباعدة ، فإذا مازاد عن الحد قطرة واحدة ، أو كانت تلك القطرة أكبر مما ينبغى — توقف قلب الإنسان عن النبض فوراً ، ومات بالسكتة .

ومن الواضح لى إنه يوم توافينى المنية ، وتنفتح أمامى أبوب هذه الدنيا لاغادرها — فى تلك الساعة الأخيرة ستخرج لى مرة أخرى كل مناظر طفولتى من خلف الستار . وستأتى وتقف أمامى مجتمعة فى معسكر واحد . كلها ستأتى لا يتأخر منها واحد ، بكل ما فيها من جمال وخير ، وبكل ما فيها من نورها الأول — تماماً كما شاهدتها فى مطلع حياتى . وستقف أمامى واضحة صافية وتنظر إلى بصمت . وفجأة سيشرق عليها نور الأيام السبعة [1] وعندما تنطفىء مع إنطفاء ضوء نفسى إلى الأبد . . .

إن ما ترويه الأحلام لباطل — ولكن ليس كل الأحلام . وأنا أيضاً قبل أن أبدأ هنا بسر شذرات وفصول من حياة مشرد من أبناء إسرائيل وما كان يختلج فى نفسه من آمال وأحلام صادقة — أرجو أن يسمح لى بأن أروى أحد أحلامى

---

(١) هو نور أيام الخليقة السبعة الذى أدخر ، حسبما ورد فى قصص التلمود ، ليشع يوم القيامة على الصالحين البررة .

الشخصية ، بدون رابط واضح — كما هو باد — مع ما تقدم وما تأخر ، إلا حين يقتضى الأمر الفصل بين المتقدم والمتأخر بفاصل صغير . أنه حلم نقش على صفحة قلبى منذ القدم ، وظل راسخاً فيها بكل صفاته وتفاصيله حتى هذا اليوم . ولست أدرى إن كنت سأنفذ بأحداث ذلك الحلم على حقيقتها إلى نفس أحد ، وأهم من ذلك ، إن كنت سأنجح فى أن أجعل هذه النفس تتذوق ما كان فى ذلك الحلم من نور خاص وجو فريد فى نوعه — وما أشق مثل هذا الأمر فيما يتعلق بالأحلام . — ومع ذلك ليكن ما يكون فسأروى حلمى . لقد كان ذلك الحلم حقيقة ، كأنه شيء واقعى ملموس . ومن هنا فإنه يخلو من الغرابة والإضطراب ومما يثير الذهول . ولعل هذا الأمر — هكذا يبدو لى — فى محله .

لقد رأيت فى حلمى ، طريقاً طويلا ثقيل الرمال ، يمتد أمامى ، وقد غص بقوافل عادت لتوها فى السوق — وأنا فى وسط هذه القوافل . لست أعلم كيف ومن أين وصلت إلى هنا ، إنما رأيت نفسى أسير وسط جماعة ضاجة صاخبة ، وأنجرف خلفها كأننى مفقود الإرادة . ومن حــــولى ضجيج وصراخ وصخب ، وعربات خاوية وأخرى محملة ، يضاف إليها ركاب وسائقون ومرافقون ، ثم فرسان يمتطون الجياد وآخرون راجلون ، وخلق كثير من الناس والبهائم — وجميعهم يتحاملون على أنفسهم ويزحفون بتثاقل ومشقة ، وسط سحب غبار وغمار رمال ، كان السير شاقاً كأنه شق اليم . والعجلات والأرجل غارقة حتى منتصفها فى رمال وغبار وقيظ كلت منهما القوى ، فبدوا جميعاً عابسة ونفوسهم ثائرة ، وكلهم يتصايحون ويضربون بهائمهم بقسوة بالغة . ويبدو أنهم لم يصيبوا فى السوق خيراً ، وان أحداً منهم لم ينل لصف ما كان يشتهى ، فصبوا جام غضبهم على بهائمهم التعسة . وكانوا كلما إزداد الطريق مشقة ، إزدادوا قلة صبر ، وضجة وفوضى ، حتى لم يعد أحد منهم يسمع ما يقوله زميله . وإنما كانوا يحـــث الواحد منهم الآخر على التقدم

أو يؤخره عنه وهم يتصارخون بألفاظ مثل : « هيه هيه ... مل عنى وأعبر يارجل » . أو « قف . قف ... لا تتحرك من مكانك يابن الكلاب » . لكن أحداً منهم ما كان ليتحرك أو يتراجع بمحض إرادته . يسير كما يسير الجمع ويتوقف عن السير كما يتوقفون . وكنت أنا أيضاً واحداً من مجموع القطيع ، اتخبط بينهم — دون أن أعرف فيم أنا هناك . وإنتابنى التعب ، وأحسست برأسى يوشك أن يتصدع وكان يغمى على — ولكننى كنت أواصل السير رغماً عنى ، وقد أختلطت الأمور على . وفيما أنا سائر ، إذا بى أشاهد ما يشبه الأعشاب على ضفة جدول . فتحت عينى على سعتها — وأقسم لكم أننى شاهدت أمامى أعشاباً حقيقية على ضفة جدول أعشاب حية نضرة مرتفعة وكثيفة ، تمتد على طول الطريق من الجهة اليمنى ، كأنها حاجز أخضر يفصل بين عابرى ذلك الطريق وبين عالم آخر عجيب يمتد وراءها . رأيت ذلك فأنتعشت نفسى . ولكن من عجب إننى لم أشعر بوجود هذه الأعشاب قبل هذه اللحظة : إذ لا بد أنها كانت موجودة هنا منذ البداية ، وحتى الآن يظهر انه لا أحد يحس بوجودها سواى . أحسست بنفسى تنجذب إلى تلك الأعشاب بعنف ، ولكننى واصلت السير خلف القوافل دون أن أكف عن التفكير مما رأيت . وقلت لنفسى : « هناك خلف هذا الحاجز النباتى ، عالم آخر . عالم مشرق آمن . وسأعرفه وحدى دون سواى » . — ثم واصلت سيرى أجرر قدمى فى أثر القوافل ... بعيداً بعيداً . لكن عينى لم تنقطعا عن مراقبة الأعشاب لحظة واحدة . ثم ... يا للعجب ، فعبر الرقاع غير الكثيفة والمتباعدة فى الحاجز النباتى ومن خلال الفجوات الضيقة التى كنت أمر بها — يتراءى لى من خلال ذلك ما يشبه خيال مخلوق غريب يجلس وحيداً فيما وراء الحاجز على العشب ، على ضفة جدول صاف وقد إتجه بظهوره إلى الأعشاب وبوجهه إلى الماء الصافى الهادىء . ويظهر ان ضجيج القوافل العابرة لم يخترق الحاجز النباتى إليه ، إذ كان يبدو وكأنه غارق فى

عالم آخر بعيد ، كان جالساً فى موضعه كالمسمار المثبت فى جدار ، متجهاً بوجهه إلى مرآة الماء ، لا يتزحزح لا يتحرك . ورغم ذلك فإنه كان ، كلما واصلت السير وابتعدت ، يظل فى مواجهتى . وكانت صورته السوداء المنعكسة فى الماء بعيداً — تلمع بين حين وآخر أمام ناظرى من خلال الأعشاب ومن خلال كل فجوة بينها . كأنه هو والجدول الصافى وكل ما حولهما يرافقوننى بصمت وعلى غير علم منى ، كأنهم ينتقلون من أماكنهم قليلاقليلا وبنسب لاتدركها العين ، ويحلون فى مواجهتى — تماماً كما تنتقل صورة القمر على صفحة ماء النهر . ترى من هو هذا المخلوق العجيب ؟ ألم أعرفه من قبل ؟ ألم أكنه ؟ ألم يكن قريباً منى ومن نفسى حتى أبعد حدود القرب ؟ ألست مثله ؟ أليس من واجبى ، وليكن ما يكون ، أن أنسلل من هنا وأهرب فى هذه اللحظة إلى ذلك العالم الطاهر الآمن المتدخل خلف الحاجز الأخضر ؟ أليست ضفة هذا الجدول الصافى الطاهر ، هى نفس الضفة التى جلست عليها منذ أمد بعيد ؟ — ومع ذلك فأنا مازلت أسير خلف هذه القوافل بعيداً بعيداً . ولقد غطتنى سحب الغبار وغمرنى الضجيج وأنا أواصل السير مبتعداً . أين أعشاب الجدول ؟ لقد اختفت ، تركتها خلفى — هى وعالمها الطاهر وجدول الماء الصافى والمخلوق العجيب الجالس دائماً على ضفة الجدول . وفجأة تذكرت ما طارت له نفسى : ذلك المخلوق العجيب الذى تركته ورائى على ضفة الجدول ، لم يكن إلا أنا . أنا لا أحد سواى ...

كان هذا هو ما رأيته فى الحلم — أما تفسيره فعلمه عندالله ، ولنترك الآن ذلك المخلوق العجيب جالساً فى مكانه . ولنحذر أن نقلق راحته . ومن يدرى ، فقد تشرق صورته يوماً ما ، مرة أخرى ، من خلال الفجوت . أما أنا فأضرب منذ الآن فى غمرة الرمل ، مع القوافل باحثاً عن طريق .

أصبع أبهامى وإحاجى العالم

لم يحدث أبداً أن ساد بينى وبين والدى سلام حقيق . ويخيل لى أنه كان يرى فى عبثاً منذ ولدت ، فكان أشبه بمن وقعت فى يده بضاعة فاسدة فلم يدر ماذا يفعل بها : فلا هى تصلح للاستعمال ، ولا أحد يشتريها . فقد شاء حظى أن يرزق بى والدى على غير إنتظار ، بعد أن زوجاً غالبية أبنائهما ويئسا من أن يرزقا بأطفال جدد . فقد كنت البطن الثامن ، إبن الشيخوخة . ولقد روت أمى لجارتها أن والدى أبدى بعض الامتعاض حين هنأته القابلة بمولدى : « مبروك » . وروت لهن أيضاً إننى نفيت ، بعد مرور ثلاثين يوماً على ولادتى ، إلى بلدة مجاورة ، حيث وكلت بى مرضعة غريبة . وكانت تلك المرضعة ضامرة الثديين — عدم المؤاخذة — فكانت ، إذا ما صرخت جوعاً ، تضع ابهامى فى فمى لأمصه ... فلما عدت من هناك ، كانت ساقاى معوجتين ، وكرشى منتفخاً ، وعيناى بارزتين ككرتين من زجاج . وفيما عدا ذلك اعتدت أن آكل الكلس الذى يغطى الجدار ، وأن أقضم الفحم ، وأن أمص ابهامى ...

لقد تحولت عادة مص الابهام إلى طبيعة ثانية فى نفسى ، فلم اكف عنها إلا بعد أمد طويل . فكنت أجدنى حين أغرق فى التفكير ، أمتص إبهامى ، وعندما كان أبى — الذى كان صارماً بطبيعته — يصفعنى صارخاً فى وجهى : « يامصاص . يا أبا غليون » . — فقد كان منظر ابهامى فى فمى يذكره بمنظر عجوز كثير التفكير يدخن غليوناً — ولكنى لم أكن لأابه له أو لصفعاته أو للاسماء والالقاب التى يسبغها على ، فله شأنه ولى شأنى . وبمجرد أن يغادر البيت ، كنت الوذ فى الحال بأحدى الزوايا أجلس وحيداً ، أفكر وأمص ... بم كنت أفكر ؟ — لا أدرى . كنت

أجلس منكمشاً كالسحلية فى قوقعتها ، وأغرق فى أحلام اليقظة . وكان كل ما أراه أو أسمعه حولى ، يبد لى أشبه بالحم . فكان قلبى يمتلىء بذهول صامت وهواجس لا صورة لها ولا إسم . كان كل شيء يثير عجبى ... « تكتكة » ساعة الحائط ، الظل ، والبقع التى على الجدار ، صمت الغرفة الخاوية ، العتمة التى تحت السرير والأحذية الملقاة هناك ، الإشعة الحمراء الدقيقة من نور النافذة والغبار المتطاير فى الهواء — كل هذه كانت بالنسبة لى أسراراً وأحاجى تستوجب الدراسة . وكنت أنا ضائعاً بينها ضياع النملة بين الأعشاب ... وكانت هى الأخرى تعيش حياتها سراً مثلى ، ولكن قلبى وحده كان مشغولا بها . كنت ان حدثنى أحد أسمع ولا أسمع ، وإن سئلت أمراً ، أحملق وأصمت . كان فؤدى مشدوداً على الدوام إلى مكان : بقعة على الجدار أو دبابة طائرة ... وكانت روحى تنفذ ، كالشبح ، إلى أعماق كل شيء ، فتسكن إلى أعماق أشجار أو حجارة صماء تمتص منها كل شيء ولا ترد إليها شيئاً . .

ولم يكن أحد فى البيت يحيطنى بعنايته . فوالدى الصارم الواهن كان دائما منهمكاً مشغولا ، لا أدرى بماذا . وكانت أمى تتذكرنى ، ولكن دائماً بعدفوات الاوان . كانت تصرخ « ياويلاه ... الطفل لم يأكل بعد ... الطفل لم يغتسل بعد ... أين الطفل ؟ » ... بينما الطفل ، أى أنا شموليك ، يجلس فى تلك اللحظة فى مكان خفى ؛ تحت السرير أو فى الفجوة التى تحت الفرن ، أو فى الساحة خلف خلف السياج — أجلس وألعب وحدى . وكانت الجارات حين يصادفنى ينظرن إلى بنوع من الشك ، وينقرن جباههن بأصابعهن إشارة إلى أن دماغى ليس كما يجب — والعياذ بالله — ثم يتهامسن ويبصقن⁽¹⁾ فإذا ما دخلت أمى صمتن فجأة ...

---

(١) بصفة ضد الروح الخبيثة لطردها .

من بين جميع الأدوات التى فى البيت جذبت انتباهى أكثر من أية أداة أخرى ، المرآة القديمة التى كانت معلقة فوق الأريكة . فقد كانت فى نظرى أعظم أحجية فى عالمى كله. فحين كنت أنتصب على الأريكة أمامها ، كنت أرى فى داخلها مرة أخرى، غرفة وأدوات ، وأرى نفسى والخزانة المقابلة والأدوات النحاسية فوقها : نفس الأدوات تماماً ، سوى أنها تبدو داخل المرآة مائلة فى إنحدار توشك كل لحظة على السقوط . وكان الأمر كله يبدو لى معقداً : أولا من أين وصلت هذه الأشياء جميعاً إلى داخل المرآة ! وثانياً : لماذا لاتتهاوى الخزانة مع الأدوات النحاسية التى فوقها !

ركزت اهتمامى كله لاكتشاف الأمر على حقيقته فى فرصة مؤاتية،وما أسرع ما أتيحت لى الفرصة لذلك. فقد خرج أبناء البيت جميعا إلى حيث خرجوا ،وبقيت أنا وحدى . وكان الوقت ظهرا ، وفى وسط الأرضية يمتد خيال النافذة كبركة من ضوء متداخلة أشعته — والذباب يأتى وينغمس فيها ، ودجاجة منمرة تتنزه ببطء وبخطوات قصيرة ، وتقرق بصوت واه كأنما غلبها النعاس — وكانت كلما غمرها يتذهب ريشها ، فتبدو كأنما تداخلت فيها أشعة الشمس وقد مال لونها إلى الحمرة . اعتليت الأريكة بخفة ومددت نفسى فى مواجهة المرآة —حقا أنها لتغص بالكثير فها هو شمويلك آخر ينتصب فى مواجهتى تماما وقد لامس أنفه أنفى : تراجعت إلى الوراء قليلا وإذا هو الآخر يتراجع ، تقدمت — فتقدم هو أيضاً ، قلت بنفسى : إذا كان الأمر كذلك ، فلاجعد وجهى وأمد لسانى ، — وإذا هو الآخر يفعل نفس الشىء . رحت أحرك لسانى بحركة صدر عنها صوت : « حى . . حى . . حى . . . » — فحرك هو الآخر لسانه ، ولكن دون أن يصدر عنه صوت : « حى . . حى . . حى . . . » إذ أنه لا يسمع صوتاً . أن الأمر ليثير الاستغراب وأنا خائف قليلا — ورغم ذلك فاننى أتابع التحديق فى المرآة . . . أن الأرضية داخل المرآة تبدو مائلة ، وبركة الضوء فى وسطها تكاد تنكسب . . . وبقية

الادوات مائلة أيضاً أو معلقة بمعجزة .. أوه . إذا سقط مثلا ، لا قدر الله — الهاون الذى فوق الخزانة فسيحطم دماغى ... ويمتلىء قلبى بخوف غامض ولكنى ما ألبث أن استعيد جرأتى فأعود إلى التحديق ثانية . — أن على أن أكتشف سر الأمر — وليكن ما يكون . لابد أن بهلوانا أو جنيا يجلس خلف المرآة ويقوم بكل هذه الأعمال السحرية .

وساءلت نفسى : « هل انظر فيما وراء المرآة أم لا ؟... من يدرى — لعل يدا خفية ستصفعنى على خدى . وهل يعجز الجن الشرير عن شىء ؟» . لكننى وجدتنى أغامر وأمسك باطار المرآة لارى ما يكمن خلفه — ثم أتراجع على الفور ... ثم أنظر ثانية — ثم أتراجع ثانية ... وفجأة إذا بالمرآة تهتز وتهتز معها الأرضية والغرفة والاوانى وأنا ...و ... تراخ ... وضاع رشدى ، وأظلمت عيناى .. وإذ بى أتهاوى ساقطا تحت شظايا الحطام ...

حين ثبت إلى نفسى رأيت أن الغرفة ، والحمد لله ، لم تتهدم . و انما انزلقت المرآة من بين المسامير الاسفلين وظلت معلقة بالعلاقة فقط ... بينما برز من بين الاريكة والجدار دفتر والدى : فلقد سقط بطبيعة الحال من خلف المرآة وانحصر بين الفواصل . على كل حال لم يحدث سوى ضرر بسيط : فقد قفزت الدجاجة من الفزع على المائدة واسقطت كأسا وطارت إحدى شظاياه إلى وسط بركة الضوء فبدت شديدة اللمعان ، كأنما حلت عليها فجأة عجيبة زادتها لمعانا ..

كانت نتيجة هذا العمل . كنتيجة كل ما فعلته فى بيت والدى من قبل — صفعات على خدى .

وفى ذلك اليوم حكم على أن أذهب إلى الكتاب .

ففى هذه الفترة تقريبا ، انتقل والدى من منزله فى القرية واستقر فى ضواحى المدينة القريبة — فكنت أنا من نصيب معلم أطفال ، من أبناء تلك الضاحية .

الأبجدية وما بين السطور

لم يبتسم لى الحظ فى الكتاب . فقد كنت منعزلا ومختلفاً عن زملائى ، وكانوا هم أيضاً منعزلين عنى . كنت منطوياً على نفسى ، أبنى عالمى دون أن يشعر بى أو يعلم بأمرى أحد . حتى معلمى ونائبه — العريف — لايفقهان شيئاً . فهما لايعرفان سوى الضرب كل بأسلوبه الخاص : فالمعلم يهوى على الطلاب بسوطه أو قبضته أو مرفقه أو بالعصا ، أو أى أداة أخرى يمكن أن تؤلم . أما العريف — فقد كان له أسلوب فظ مختلف : فحين لم أكن أرد على السؤال كما يجب ، كان يمد إلى خمس أصابع محدودبة مفترسة متباعدة ، ويروح يجذب بها عنقى . فى تلك اللحظة ، كان العريف يتراءى لى أشبه بالفهد أو بأى حيوان مفترس غريب الشكل — فيتملكنى رعب قاتل . لقد كنت أخشى أن يسمل عينى بمخالبه النجسة ، فكان الخوف يشوش أفكارى فأنسى ما تعلمته بالأمس . وكان يرينى بأصبعه صورة حرف ويسأل : « ما هذا ؟ » فتدور عيناى فى محجريهما ويرتعد جسدى كله وأصمت وقد فقدت القدرة على النطق .

فى الحقيقة أن ما لقننى إياه المعلم ونائبه لم يكن يدخل إلى قلبى . وإنما كان يدخل أذنى فقط ، من خلال الفود(١) الأيسر . أما أذنى اليمنى فكانت تنفذ إليها دروس أخرى تتصاعد إليها من بين سطور كتاب الصلوات ، ثم تنضم إلى ما كان فى قلبى من قبل . فالسطور نفسها ، وكذلك الحروف ، لم تكن إلا رموزاً واهية لتلك الدروس . فمنذ اليوم الأول حين أرانى العريف لوحاً كتبت عليه حروف

---

(١) يرسل اليهود المتدينون حتى الأطفال منهم شعر الفودين (راجع لاويين ، الأصحاح التاسع عشر ، ٢٧) .

الأبجدية سطراً بعد سطر — قفزت إلى ذهنى صورة جنود أثر جنود ، من هؤلاء الذين يمرون بين حين وحين أمام بيتنا ؛ يتقدمهم حامل الطبل: طوم.. طررام .. وكانت أكثر الحروف شبهاً بالجنود ، تلك الصفوف من حروف « الألف » [ ] « والجيم » N [٨] وحركات الضم التى تحتها [٠.] . أنها جنود تماما ، جنود مسلحون من قمة الرأس حتى أخمص القدم . فحروف « الألف » تبدو وعلى ظهورها حقائب وهى تسير منحنية وقد ناءت بحملها كأنها ذاهبة للمناورات . أما حروف « الجيم » فتبدو منتصبة وقد خطت إلى الإمام ، كأنها تستعد « لمارش » عسكرى ... وراحت عيناى تبحثان فى اللوح وزواياه ... لحظتها سمعت العريف يسألنى : « عم تبحث ؟ » .

فأجبت وعيناى لاتزالان تبحثان : « عن حامل الطبل » ..

عندها ألقى العريف المؤشر من يده ، ثم أمسك بذقنى ورفع رأسى إلى أعلى قليلا ، وحدق فى وجهى بعينين حيوانيتين ... وفجأة ، استيقظ من تفكيره قائلا « انزل ! » .

كلمة واحدة قالها ، لا أكثر . وبعدها صعد إلى المنصة فى الحال طفل آخر سواى بينما هبطت أنا يملأنى الشعور بالخذلان ، وانفردت فى زاوية دون أن أعرف ما يريده العريف منى . أمضيت ذلك اليوم كله أفكر بكتائب الجنود والعساكر . وفى الغداة ، حين صعدت إلى المنصة ثانية ، أرانى العريف صورة حرف « الألف » وقال :

— هل ترى عصا ودلوين ؟

— أجل . صحيح . أقسم أننى أرى عصا ودلوين .

فقال العريف وهو يشير إلى الحرف :

— هذه هى « الألف » .

فرددت خلفه قائلا :

— هذه هى « الألف » :

— ما هذه ؟

— « عصا ودلوان » — قلت ذلك وأنا أشعر بغبطة عظيمة على أن بعث لى الله سبحانه وتعالى ، هذه الأدوات الجميلة هنا .

فعاد العريف يقول :

— لا . قل : « ألف » .. تذكر : « ألف » ، « ألف » .

— « ألف » . « ألف » .

وحين هبطت من أمامه ، طارت « الألف » من قلبى فجأة واستقرت بدلا منها « ماروسيا » الفتاة الأجنبية التى تستقى الماء ، فظلت طوال اليوم لاتزول من أمام ناظرى . فكنت أشاهدها كما هى تماما : بقدميها الحافيتين وجدائلها الكثة ، و « وعراقة » الدلاء فوق كتفيها . ثم ها هى البئر وبجانبها الحوض وفراخ الأوز العائمات فى البركة المجاورة ، وحديقة الراب « ألتر كوركو » .

وفى صباح اليوم التالى سألنى العريف : « ما هذه ؟ » — وأشار إلى « الألف » . فأجبت مسروراً باكتشافى :

— أوه . . . هذه « ماروسيا » .

ألقى العريف المؤشر من يده ، ثم باعد بين أصابعه ، وفجأة تراجع عما كان يهم أن يفعله ، — وبدلا من ذلك أمسك بذقنى وقال :

— أيها الأعمى . . « ألف » . « ألف » .

— « ألف » . . « ألف » . . « ألف » ! ..

بقية الحروف أيضاً كانت تتراءى لى متعددة الوجوه : على شكل بهائم وحيوانات وطيور وأسماء وأدوات ، أو مجرد مخلوقات عجيبة لم أجد لها حتى الآن شبيهاً فى الدنيا . « فالشين » أشبه بأفعى ذات ثلاثة رؤوس . و « اللام » — أشبه بلقلق مد عنقه ووقف فى الماء على رجل واحدة . تماما كذلك اللقلق الذى يعشش فى رأس الشجرة التى خلف بيتنا . « والجيم » — جزمة ، كتلك الجزمة المرسومة على علب صباغ الأحذية وجنى صغير له ذيل يلمعها بهمة ونشاط . . . و « الدال » — أشبه بفأس . . . وعلى غرار ذلك كنت أرى بقية الحروف . . . وفى بعض الأحيان كان أحد الحروف يتراءى لى اليوم على هذه الصورة ، وفى الغد على صورة أخرى . وكان هذا كله يحدث تلقائيا ، بدون قصد أو جهد أبذله . فالصورة التى كانت تبدو لى عتيقة — كانت تزول ، وتحل محلها صورة أخرى جديدة .

وحين وصلت إلى جمع الحروف فى كلمات — وجدت أمامى خليطاً من مخلوقات عجيبة مختلفة ، كلها تسير فى جماعات صغيرة متراصة ، هذه بجانب تلك أو تلك خلف هذه ، ظهراً لبطن وبطناً لظهر ، بينما « النون » المنتصبة و « الفاء » الفطساء تقفزان دائماً على قدم واحدة وتتقدمان الجميع . أما « اللام » فتسير منتصبة وقد تدلت حوصلتها وارتفع رأسها ، كأنها تقول لزميلاتها : انظرن . فأنا أعظمكن ارتفاعاً . وفى تلك الأثناء « الياء » ، هذه المخلوقة الصغيرة التى لا صورة لها فى عينى والتى ليس لها ما تعتمد عليه — ومع ذلك فهى أحب الحروف إلى نفسى . أنها ترى دائماً وكأنها سابحة فى الهواء تسير تلقائياً بدافع من قوة الاستمرار ، حتى ليهتز قلبى شفقة عليها ، فأخشى أن تضيع بحجمها الصغير بين زميلاتها ، أو أن تداس وتسحق ، لاسمح الله ، فى وسطهن .

هذا الخليط من الصور كان يصرف أذنى عن سماع شرح العريف حين يمـلى

عنق بأصابعه . فني الظاهر ، كان فمي يردد خلفه كل مقطع . أما قلبي ، فكان يهيم في تلك الأثناء في واد آخر ، يلتقط صورة ويقذف أخرى ، يرسم أشكالا ويغرق في أحلام اليقظة ... وفي بعض الأحيان كان صوت المقاطع يتداخل هو الآخر في نسج خيالاتي فيمنحهن لونا أو وجها جديداً ، برابط أو بغير رابط . وحين كان يتهيأ لي أثناء القراءة إجتماع صور مثيرة للضحك — كنت أنفجر ضاحكا بصورة فجائية . وكان ضحكي هذا يثير أحشاء العريف فيصب على جام غضبه . لا أدري فيم يغيظه ضحكي ؟

لم يكن زملائي في « الكتاب » يولونني انتباها أبداً . كما لم أكن أنا أعبأ بهم . فحين كانوا يلعبون داخل « الكتاب » — كنت أجلس جانباً وأراقب لعبهم ، أو انسحب إلى زاوية أمص أصبعي وأفكر . كنت أهيم في تلك الصور التي يضمها « كتاب الصلوات » ، وبالأشكال التي تنتج عن تمازج هذه الصور — فأصل بخيالي إلى أقصى ما يصل إليه الخيال . وكان قلبي يأخذ من هذه الصور كل ما يقدر على أخذه ، فيهضم لبها ويرمي قشرتها . وحين كان الأطفال يخرجون للعب في الفناء — كنت أبحث عن ملجأ حتى أجده ، فأجلس منعزلا وألعب وحدي . وفي كل مرة يحين فيها دوري للقراءة ، كانوا يبحثون عني وقتاً طويلا ، حتى يجدوني جالساً أمص إبهامي خلف سياج ، أو مستلقياً في العتمة في إحدى زوايا الممر .

في الطريق إلى بيتي ورحلتي في الصحراء والبحر

كنت أخرج كل يوم قبل الغروب لأعود إلى بيتي مزوداً بمثل هذه المعلومات الواضحة الدقيقة . كان زملائي يتفرقون بفرح وسرور متجهين إلى بيوتهم أو إلى ألعابهم ، بينما أظل أنا وحدي في الطريق . وكان بيت والدي يقع في معزل ،

بعيداً عن الضاحية ، قريباً من الحرش . وكان على لكى أصله أن أسير وحيداً فى طريق رملية صعبة ، تمتد بين أسراب الشجر فوق أرض مقفرة ليس عليها بيت ، وإن اجتاز مكاناً خطراً فى منتصف الدرب : جسراً صغيراً ممتداً فوق قناة الماء ، تقول الإشاعات أن جنياً صغيراً من طائفة المهرجين اتخذ له تحته مسكناً . صحيح أنه يروى بأن الجنى الصغير يتساهل مع الأطفال ولا يمسهم بأذى . ورغم ذلك ، فإننى حين أرى الاكليل الذهبى لنور الشمس الغاربة ، يختفى عن رؤوس الاشجار رويداً رويداً — يذوب قلبى هلعاً . فمن وراء النهر ، من الحرج ، يتناهى إلى ساعتها صوت خفى يصرخ : « كوكو » — فيخيفنى قليلا وأنا أسير وحدى ببطء ، بين صفوف الشجر الممتدة على جانبى الطريق . وكانت بقع نور حمراء زاهية تنعكس لامعة على ، بينما تكون قدماى غارقتين فى الرمل وروحى الآسية تحلق بى إلى آفاق بعيدة .

وفيما أنا كذلك ، إذا بى أتصور أننى لست ذاهباً إلى بيتى ، وإنما أنا عابر سبيل جوال ، يجوب الأرض والبحار بعصاه وحقيبته . فمنذ أيام لا تحصى ، نسيت متى ابتدأت ، خرجت ضارباً فى الارض أجول فيها دون أن أصيب ، حتى الآن — ياويلاه — قسطاً من الراحة . لقد تسلقت جبالا وهبطت وديانا وانتقلت من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى أخرى ، دون أن يعرف أحد من أنا ولا من أين جئت ولا أين أنا ذاهب ..

وفى الطريق ، انضممت طفلا إلى إحدى القوافل ولد اسماعيل الدودانيين (١) ومنذ ذلك الوقت لم افارقهم . فكنت حينما ذهبوا اذهب ، وحينما حلوا حلوا احل . كنا نسير نهارا فى الصحارى فى أرض قفراء لا ماء فيها ؛ مأوى للافاعى

---

(١) من القبائل الرحل (راجع إشعياء ، الأصحاح الحادى والعشرين ، ١٣).

والصلال والمقارب . وكان الشبان يسيرون بجانب جمالهم المحملة برزم من الحرير والدمقس والأرجوان والقرمز ، وبصرر لا تحصى من الكثيراء والبلسان وباق أنواع العطور . أما الشيوخ ، ذوو اللحى البيضاء المتوجون بالعمائم ، فكانوا يسيرون فى رأس القافلة مرتدين ملابس زاهية ، ويركبون أتناً بيضاء . بينما أرجلهم الجوربة المصندلة تكاد ترتطم بالأرض وتترك على الرمال آثاراً .

أما فى الليل ، فكنا نميل إلى الغابات لننام . هنالك كنا نؤجج مواقد ونضطجع حولها على الأرض ، تحيط بنا من كل جانب حجارة صفت حولنا على شكل المزارب المحيط بسطح البيت ، لتصد عنا شر الحيوانات الكاسرة . كما كان يفعل أبونا يعقوب تماما ، على حد تفسير الراب شلومو يسحاق[١] .

وفى مكان ما ، كان ينضم إلينا الجبعونيون أيضـــاً ، أولئك الفلاحون العراة ، بثيابهم البالية ونعالهم المرقعة وقربهم المشققة والمربوطة . كانوا طوال الطريق ، يسيرون جانبا كجماعة مستقلة ، وجوههم حزينة وعيونهم مذعورة ، كأنهم يخفون فى أنفسهم سرا . ولم يكن أحد من رجال القافلة يعرف من هم ولا ماذا يكنون فى نفوسهم . إلا أنا ـــ شموليك ، فقد تكشفت لى خباياهم من قبل ، أثناء مطالعتى فى سفر يشوع .

ولو قدر الله لى ، لملت لأبيت ليلة واحدة أيضا فى « بيت مدارش » سام وعابر[٢] فى المكان الذى اختفى فيه أبونا يعقوب طوو أربع عشرة سنة متواليه ،

---

(١) أحـــد كبار مفسرى التوراة والتلمود . عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى .

(١) من المعتقد أن سام بن نوح ، وعابر بن سام ، أنشآ مكانا لتعليم أحكام التوراة قبل أن يأتى بها موسى .

هربا من أخيه عيسو (١) . وانى لواثق أنى كنت سأجد المسند الذى كان يعقوب يضع عليه توارته وهو يتعلم والمقعد الذى نام عليه — منتصبين هناك خلف الفرن ، حتى هذا اليوم ....

ومرت أيام وأسابيع وشهور أخترقنا خـــلالها صحراء « تسين » وقطعنا صحراء « باران » دون أن يصل سيرنا إلى نهاية . لقد انتفخت أقدامنا وبليت ثيابنا ونعالنا وجف خبز المؤونة ونقتطه العفونة ، وتقصدت قرب الماء بعد ان لم يعد فيها قطرة وطبة ، وأصبحنا على أسوأ حال ... وفجأة إذا بأعيننا تقع على « حصصون تمر » فدبت الحياة ثانية فى نفوس رجال القافلة . وأغذت الحمير والجمال سيرها كأنها السعاة . وقبل غروب الشمس ، قبل حلول السبت ، القينا جميعا عصا الترحال . هناك فى « حصصون تمر » وجدنا أثنى عشر نبعا من ماء زلال بارد ، وسبعين شجرة نخيل . فقضينا السبت هناك بجانب الماء . بعد « حصصون تمر » غدت دربنا مريحة سهلة ، وغدا سيرنا أشبه بنزهة ممتعة ، فسرنا من « رمون بيرتس » إلى « متقة » ، ومن « متقة » إلى « حور هجدجاد » ومن « حور هجدجاد » إلى « يطبتا » (٣) . فكانت المدن والقرى تمر أزاءنا تترى . وكل مسيرة بنى إسرائيل التى أمتدت أربعين سنة فى الصحراء — كأنها مرت فى برهة من الزمن (٤) .

وفجأة ، وجدتنى فى سفينة مقلعة إلى « أوفير » وحولنا البحر « بحر طرطوس » ولحن بين الماء والسماء . وفى مؤخرة السفينة كان ينام على صرته رجل عجوز ،

---

(٢) راجع تكوين ، الاصحاح السابع ولعشرين وما يليه .
(٣) مواضع مر بها بنو اسرائيل لدى خروجهم من مصر .
(٤) راجع عدد ، الاصحاح الثالث والثلاثين كله .

أليس هذا هو النبي يونان؟ [١] . لئن وصلنا إلى حيث نقصد ، فسنحصل على مال كثير سنجد ذهبا بكثرة الحجارة ، وسنملأ كل فراغ فى السفينة تبرا . وإذا لم تتكاسل فسنصل فى طريقنا إلى « أرض الحويلة » التى يمر بها نهر « فنشون » [٢] . ان ذهب تلك البلاد هو أكثر ذهب الأرض جودة ، عيار ٩٦ . كذلك يوجد هناك البلور والخرز اليمانى . وفى ظنى أيضا أن نهر « سمبطيون » [٣] سوف لا يكون بعيدا عن تلك الجهات .

وحين افقت من خيالاتى — كانت الشمس قد انحدرت إلى ما وراء الغابة خلف النهر ، وراحت خيوط ذهبية من شمس الأصيل تتخبط بين أغصان الشجر وتنزلق ساقطة من ورقة إلى أخرى بدون توقف . . . لحظة ، وتغوص الشمس فى شرنقتها ومن بين أشجار الغابة جميعا ، راح يتطاول على الأشجار جميعا بقامته المديدة — كما حدث بالأمس فى مثل هذه الساعة — شبح ذو رأس وكتفين ، ناظرا إلى الساحة الواسعة بغضب ، ماتراه يكون؟ شجرة أم عملاقا؟ أم قاطع طريق مسلحا؟ وحت أتتم « الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته » [٤] .

---

(١) هو النبى الذى هرب من يافا على سفينة وذلك تملصا من أداء رسالته التى فرضها الله عليه (راجع يونان ، الاصحاح الاول كله) .

(٢) هو النهر الذى يخرج من الجنة ويحيط « بجميع أرض الحويلة حيث الذهب » (تكوين ، الإصحاح الثانى ، ١١) .

(٣) اسم أطلق فى التلمود على نهر أسطورى يرمى بحجارة كبيرة إلى أعلى فى أيام الاسبوع بحيث يتعذر اجتيازه . أما فى السبت فيهدأ ، ويستريح . ويقال أن أسباط بنى اسرائيل العشرة التى نفاها البابليون تسكن ما وراء هذا النهر .

(٤) راجع مزامير ، المزمور السابع والثلاثين ، ٣٢ .

مقالات وترجمات عن الأدب العبرى الحديث والمعاصر
للدكتور رشاد الشامى

١ ـــ صراعات النفسية اليهودية فى أدب ياعيل ديان ـــ مجلة الهلال ـــ سبتمبر ١٩٦٩

٢ ـــ النغمة الصهيونية عند الشاعر العبرى بياليك مجلة الهلال ـــ أكتوبر ١٩٦٩

٣ ـــ بربارة ـــ قصة من الأدب العبرى بقلم اليعيزر فيزل ـــ مجلة الهلال ـــ نوفمبر ١٩٦٩

٤ ـــ المنحى التبريرى للعدوانية الإسرائيلية فى الأدب العبرى المعاصر ، مع ترجمة قصة « شكسبير » للأديبة الإسرائيلية شولاميت هرأوبين ـــ مجلة الأسبوع العربى ـــ بيروت ـــ العدد ٦٥٠ ـــ السنة ١٣ ـــ ٢٢ سبتمبر ١٩٧١ .

٥ ـــ التمرد على الموت بلا ثمن فى الأدب الإسرائيلى ـــ مجلة الأسبوع العربى ـــ العدد ٦٥٣ أكتوبر ١٩٧١

٦ ـــ الأدب الاسرائيلى لجيل حرب ١٩٤٨ بين الإلتزام الصهيونى والبحث عن الذات ـــ مجلة شئون فلسطينية ـــ عدد رقم ٩ مايو ١٩٧٢ .

٧ ـــ نماذج من الأدب الإسرائيلى المعاصر بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ـــ مجلة شئون فلسطينية ـــ عدد رقم ١٠ يونيو ١٩٧٢

٨ ـــ الفكر الصهيونى فى شعر بياليك (بالاشتراك مع دكتور عبد الوهاب المسيرى) ـــ مجلة شئون فلسطينية ـــ عدد رقم ١٢ أغسطس ١٩٧٢

٩ ـــ « تحت شجرة التوت » ـــ عرض لقصة اسحق شيلاف ـــ مجلة شئون فلسطينية ـــ عدد رقم ١٤ ـــ أكتوبر ١٩٧٢

١٠ — الأدب العبرى وتكريس — التوسع الصهيونى — مجلة شئون فلسطينية ١٥ نوفمبر ١٩٧٢

١١ — مرحلة الانتقال فى الأدب الإسرائيلى المعاصر — أيام تسيكلاج لسيملانسكى يزهار وأدب التخبطات والشكوك — مجلة شئون فلسطينيه — عدد رقم ٣٣ مايو ١٩٧٤

١٢ — مرحلة الانتقال فى الأدب الإسرائيلى المعاصر — ظواهر مختلفة — مجله شئون فلسطينية عدد رقم ٣٤ — يونيو ١٩٧٤

١٣ — قرار اتهام ضـــد الأدب الإسرائيلى — صحيفة المساء القاهرية ٢ أغسطس ١٩٧٣

١٤ — الباحث عن الثراء (رواية عن الفساد الداخلى واستغلال أفريقيا للكاتب الإسرائيلى شمعون برى) صحيفة المساء ٩ نوفمبر ١٩٧٣

١٥ — اللقاء الأخير (قصة مترجمة بقلم الكاتب الإسرائيلى مردخاى طبيب) — المساء ٢١ يونيو ١٩٧٤

١٦ — بعد الحرب بيوم واحد (قصة مترجمة بقلم الكاتب الإسرائيلى يجآل ليف) — المساء ٢ أغسطس ١٩٧٤

١٧ — من أدب الحرب فى إسرائيل : قصتا : والله يا أمى إنى أكره الحرب الحرب تحب الشباب للكاتب الإسرائيلى يجآل ليف — صحيفة المساء ١٦ نوفمبر ١٩٧٤

١٨ — فصل عن قصة حياة ايمليخ ملك شكيم (استهار) — قصة مترجمة ، بقلم بنحاس ساديه المساء ٢٤ يناير ١٩٧٤

١٩ — أشعار من أسرائيل عن حرب أكتوبر — المساء ٢٨ نوفمبر ١٩٧٥

مراجع عن الأدب العبرى الحديث

بالإنجليزية :

1. Benzion Benshalom : Hebrew Literature Between The Two World wars, Jerusalem, Zionist organization, youth and Hechalutz Department, 1953.

2. Eisig Silberschlag : Hebrw literature, An Evaluation, New. York, Herzl pres, 1959.

3. Gabriel Preil : Israeli poetry in peace and war, New-York, Herzl press, 1959.

4. Hillel Bauli : Some Aspects of Modern Hebrew poetry, New-York, Herzl press, 1958.

5. Isiah Rabinovich : Major Trends in modern Hebrew Fiction, Translated from Hebrew by M. Roston, The University of Chicago prees, London, 1968.

6. Reuben Wallenod : The Literature of Modern Israel, New York, Herzl prees, 1956.

7. S. Halkin : Modern Hebrew Literature, Trends and Values, London, 1950. (pp. 44—53).

— Mayer Waxman : A History of jewish literature, 5 Vols. New-York; Bloch Publishing Co. 1941. Vol. 4, The modern eriod. p

— Jacob. S. Raisin; The Haskalah Movement in Russia (philadelphia; jewish publication Society, 1913).

— Shalom Spiegel; Hebrew Reborn (Philadelphia; Jewish Publication Society, 1912).

— A. S. Waldstein; The Evolution of modern Hebrew literature (1850—1912), Columbia univeristy Oriental Studies, Vol. 9 (New-York; Columbia Univeristy Press, 1916).

بالعـبرية :

١ ــ (أ) شانان : الأدب العبرى الحديث بتياراته . دار نشر «ماسادا» ، رامات جن ــ إسرائيل ١٩٧٣

٢ ــ باروخ كورتسفيل : أدبنا الحديث ــ استمرار أم ثورة ــ دار نشر شوكن ــ القدس ١٩٧١

٣ ــ ف . لاحوفر : تاريخ الأدب العبرى الحـــديث (جزءان) ، دار نشر « دفير » تل أبيب ــ الطبعة الثالثة عشر ١٩٦٦ .

٤ ــ يوسف كلاوزنر : تاريخ الأدب العبرى الحديث ــ دار نشر « دفير » القدس ــ تل أبيب ١٩٣٠ .

٥ ــ إسرائيل تسيفبرج : تاريخ الأدب الإسرائيلى ، ٦ أجزاء ــ تل أبيب ومرحافيا : يوسف شربرك ومكتبة العمال ١٩٥٦ ــ ١٩٦٠

٦ ــ جرشون شيكد : الأدب العبرى (١٨٨٠ ــ ١٩٧٩) ــ الجزء الأول دار نشر « كيتر » والكيبوتس الموحد ــ ١٩٧٨ .

بالعربيـــة :

١ ــ د . إبراهيم البحراوى : الأدب الإسرائيلى بين حربين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٣ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٧ .

٢ ــ د . نازك عبد الفتاح : أضـــواء على الأدب العبرى الحديث ــ القاهرة ١٩٧٤ :

الفهرس

رقم الصفحة

الجزء الاول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

رقم الصفحة